

مقدمة في السمعيات

الحمد لله أحمدك يامن تنزهت ذاته عن الأشباه والنظائر وأشكرك شكراً
أستزيد به من درر الفوائد زواهر الجواهر، وأسألك يامولاي غاية الدراية لعلم التوحيد
ودوام العناية بالهداية والوقاية في البداية والنهاية.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده واحد أحد فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله السراج الوهاج
وصدر الشريعة صاحب المعراج وحاوي المقامات الرفيعة.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم
سيدنا ومولانا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين
وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر. وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل
فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيأحماة الإسلام وحراس العقيدة:

تذكرون أننا قسمنا علم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

إلهيات - نبويات - سمعيات.

وقد أكرمنا الله تعالى فتناولنا أغلب ما يتعلق بالقسمين الأولين، أعني بهما
الإلهيات والنبويات، ونحن اليوم بحمد الله تعالى ندخل إلى الباب الثالث من هذه
الأقسام أعني به السمعيات، أي كل ما وردنا سمعاً من الكتاب والسنة، أو بعبارة
أخرى عالم الغيب، كل ما غاب عن حسنا، ذلك أن في الوجود عوالم حقيقية لا
ندركها بحواسنا، أقرها إلينا الروح التي يحيا بها كل واحد منا، من ينكر وجود الروح؟
لا أحد، من يعرف ماهية الروح وحقيقتها؟ لا أحد.

فكل ما شاهدناه وأدركناه هو الذي سمّاه القرآن عالم الشهادة، وكل ما غاب
عن حواسنا هو عالم ما وراء المادة أو هو عالم الغيب.

انتبهوا - أيها السادة - عالم الشهادة يستوي في الإيمان به والتصديق به الناس جميعاً، حتى الحيوان الأعجم يدرك بحسه وجوده، فلا فضل في الإيمان به لأحد على أحد، لأن ذلك من العلم الضروري ولكن الفضل كل الفضل في الإيمان بالغيب، فيمن يؤمن بما لا يراه ويصدق بوجوده، اعتماداً على صدق الخبر به، وهذا ما يمتاز به المتقون ولذلك جعلها **اللَّهُ** أول صفة وصف بها المتقين، فعلى موجات سورة البقرة: ﴿الْم. ذَلِكَ الْكِتَاب لَا رَيْب فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ /البقرة/.

فكيف نؤمن بالغيب؟ وما هو الغيب الذي يجب أن نؤمن به ونعتقده؟
أيها الإخوة: أجيب عن هذين السؤالين بإذن **اللَّهُ** تعالى مع الحلقة الخامسة والثمانين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا **اللَّهُ سيدنا محمد رسول **اللَّهُ****

إخوة الإيمان:

قضيتنا اليوم قضية هامة جداً، فعلينا فتح أذهاننا وعقولنا، أصغوا وأقبلوا بقلوبكم علي، والقضية هي:

كيف نؤمن بالغيب ولم يعطنا **اللَّهُ** الحواس التي ندركه بها، إننا لو تركنا لحواسنا نعلم عليها وحدها، ولعقولنا نحكم بها على ما جاء من طريق الحواس فقط، لبقينا على جهلنا بما وراء المادة أو ما نسميه عالم المثال، فكان من حكمة **اللَّهُ**، ومن رحمته بنا، أنه لم يترك العقل في عجزه عن إدراكها، بل أخبره بما يحتاج إليه من خبرها.

وهذه الأخبار لا تأتي من داخل النفس، بل من خارجها، وليس من قبيل الحدس النفسي، ولا الإلهام الروحي، ولا الوميض الذهني، ولا الاستنتاج العقلي، ليس صادراً عن الطاقة الإنسانية، ولكنه آتٍ من خارجها بطريق من الطرق الثلاثة التالية:

الأول: أن يضع **اللَّهُ** هذه الأخبار في الإنسان بإلهام أو بمنام، أو بنوع من

التلقي الذي لا عمل فيه للإنسان ولا يستطيع الوصول إليه باجتهاد فيحس بها ويعبر عنها.

الثاني: بأن يسمعها من غير أن يرى قائلها الحقيقي فتصل إلى أذنه ويدركها ويعيها.

الثالث: وهو الأعم الأكثر أن يرسل الله واحداً من مخلوقاته الخيرة والمطوعة المغيبة عنا التي تسمى الملائكة إلى واحد من البشر يختاره الله ويصطفيه فيبلغه رسالة الله، ويأمره أن يبلغها الناس.

فهذه ثلاثة طرق ليس لها رابع، اسمع الى مولك عز وجل وهو يبين هذه القضية: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ /الشورى: ٥١/.

ولذلك كان الغيب الذي هو ركن الإيمان، والذي يكفر منكروه ويخرج من ملة الإسلام هو ما جاء في القرآن، أما الغيب الذي ورد في السنة الصحيحة فلا يكفر منكروه ولا يخرج من الملة بل يفسق.

وهذا الفرق بين الكتاب والسنة يحتاج إلى شيء من البيان، ذلك أن ما أبلغه الرسول ﷺ من الوحي وما نطق به من الحديث هما في الأصل درجة واحدة في قوة الاحتجاج بهما، فالقرآن وحي من الله بلفظه ومعناه، والحديث وحي من الله بالمعنى، واللفظ لفظ الرسول، أليس قد قال مولانا: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ /النجم/.

والصحابه الذين سمعوا من الرسول الآية يبلغها، والحديث ينطق به لم يكونوا يفرقون بينهما في وجوب العمل وفي الحجية ولكن الفرق نشأ من الرواية والنقل، فالقرآن نقل نقلاً متواتراً، نقله آلاف الصحابة عن النبي، ونقله آلاف التابعين عن الصحابة، ونقله آلاف تابع التابعين عن التابعين وهكذا حتى وصل إلينا بحيث نجزم بأن النص الذي في المصحف هو الذي نزل به جبريل على سيدنا محمد ﷺ وهو الذي بلغه سيدنا محمد ﷺ أصحابه ما نقص منه شيء ولا زيد فيه شيء ولا أبدل

منه شيء [وانتبهوا إلى هذه العبارة ما نقص منه شيء ولا زيد فيه شيء ولا أبدل منه شيء: وكل إنسان يقول إن الذي في المصاحف ليس القرآن كله وأن من القرآن ما ليس في المصاحف التي يتداولها المسلمون كل هذا كفر وخروج من ملة الإسلام]. أما الحديث فنقل أغلبه آحاد عن آحاد، أشخاص عن شخص، أو شخصين عن شخصين، ولقد بذل علماء الحديث في تمحيص روايته والفحص عن رجاله أقصى ما تصل إليه الطاقة البشرية، ولكننا لا نقطع مع ذلك بأن الحديث الذي بين أيدينا والذي رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن قد قاله رسول الله ﷺ بلفظه تماماً كما وصل إلينا القرآن.

ليس من فرق أن ينقل جمع كبير القرآن الكريم إلى جمع كبير ممن بعده، بين أن ينقل واحد في الحديث إلى واحد إلى واحد، أليس هناك فرق؟ نعم إذاً الفرق بالرواية، ولما كانت العقيدة أساس الدين ويترتب على الإخلال بها الكفر والردة، وكان لا يحكم على المسلم بالردة مادام في الأمر احتمال «ادرؤوا الحدود بالشبهات» لذلك قلنا من أنكر عقيدة جاءت بالقرآن كفر، ومن أنكر عقيدة وردت في السنة فسق ولا يكفر.

فما هو هذا الغيب الذي أخبرنا به الشرع المطهر والذي يجب الإيمان به ويترتب على إنكاره الكفر؟

هذا هو السؤال وهو درسنا اليوم والذي علينا أن نحفظه لترتقي، ولأبدأ معكم من نقطة الصفر لترتقي معاً شيئاً فشيئاً نحو هذا العلم لنخرج من بعدها مؤمنين معتقدين بهذه القضية الإيمانية، قضية عالم الغيب.

عالم الغيب الذي يجب أن نؤمن به أقسام، كل قسم منها يسمى غيباً ولأمثل لكم ذلك:

١- قسم لم ندركه نحن ولكن أدركه غيرنا من البشر كقصة سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وقومه لم يدركوها بحواسهم، لم يسمعوها ولم يروها ولكن بني إسرائيل أي أولاد سيدنا يعقوب يوسف وإخوته أدركوها وعاشوها وكانت

هي وقائع حياتهم، هذا يسمى غيباً بالنسبة لنا ولا يسمى غيباً بالنسبة لهم.

٢- القسم الثاني قسم لم يدركه البشر وإن كان من الممكن أن يروه لو خلقهم الله في ذلك الوقت، لو أوجدتهم كالحوادث التي كانت في الأرض من قبل خلق آدم وأخبار المخلوقات التي كانت تسكنها، ولكنهم لم يعرفوا عنها في الواقع وعن أخبار خلق أبيهم آدم وعن بداية الحياة البشرية إلا ما تلقيناه عن طريق الوحي.

٣- قسم لا يمكن إدراكه ولا الحكم عليه بالعقل ولا الإحاطة بحقيقته، كصفات الله عز وجل وما غاب عنا من مخلوقات كالملائكة والجن والشياطين وأحوال يوم القيامة والحساب والعقاب والثواب بمعنى ما قال الشيخ الشرنوبى:

ويجب الإيمان بالذي ورد	عنه من المولى المهيمن الصمد
كالخشر والصراط والميزان	والبعث والثواب في الجنان
والحور والولدان والأملاك	والأنبياء والجن والأفلاك

هذا هو عالم الغيب الذي سوف نشرحه من الآن وحتى نهاية ملف التوحيد أسأل الله أن يعيننا على ذلك.

نحن اليوم بالركن الإيماني السادس - الإيمان بالملائكة - الملائكة الذين أكرمهم الله وشرفهم وأفرغ عليهم الصفات القدسية فهم كرام برة أتقياء طهراء، عصمهم الله بعصمته، ووجههم نحو عبادته وطاعته يسبحون الليل والنهار لا يفترون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهذا الذي أخبرنا به القرآن الكريم وإليكم نص العقيدة من أولها إلى آخرها:

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾. /البقرة/.

الملائكة تلك الأرواح القائمة في أجسام لطيفة نورانية قادرة على التمثل بأمثلة مختلفة بإذن الله تعالى.

اسمحو لي - معشر السادة - أن أنتقل بحضراتكم إلى صاحب الجبين

الأنور والروض الأزهر، إلى القائد الأعلى للأمة الإسلامية سيدنا محمد ﷺ، فإن أعرابياً غريباً وفد إلى الصحابة لم يعرفه أحد منهم، أتى بثياب نظيفة وراح يسأل سيدنا محمداً ﷺ عن أمور الدين وكتباته، ولأن الأمر يتعلق بالعقيدة علينا الانتباه جيداً.

أيها السادة: صرح الناطق الإيماني وعملاق الإسلام سيدنا عمر بن الخطاب بما يلي:

بينما نحن جلوس في المسجد مع سيدنا رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل (انظروا من القادم) شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر (تأمل هذا المنظر ما أحلاه) لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وفي رواية النسائي: أنه وضع يده على فخذ النبي ﷺ.

انظروا إلى هذا الأدب عندها قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام! فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً.

فقال الرجل: صدقت. قال سيدنا عمر: فعجبنا له يسأله (سؤال الجاهل) ويصدق (جواب العالم) صدقت.

قال: فأخبرني عن الإيمان؟

فقال ﷺ: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى.

قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟

قال ﷺ: أن تعبد الله كأنك تراه (مشاهدة)، فإن لم تكن تراه فإنه يراك (أي يراقبك)، لذلك ركنا الإحسان المراقبة والمشاهدة، انتبه أن يسألك أحد بعد الآن أو يمتحنك ويقول لك: الإحسان... ما ركناه، فتسكت. لا بل احفظ أن للإحسان ركنين: هما المشاهدة والمراقبة.

فالمشاهدة: أن تعبد الله كأنك تراه، هذه المشاهدة كأنك تشاهده.
والمراقبة: فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال السائل: صدقت. قال: فأخبرني عن الساعة؟
فقال ﷺ: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. (حتى أنت لا تعرفها)
فقال: أخبرني عن أماراتها (علاماتها).

فقال ﷺ: أن تلد الأمة ربتها (سيدها) (أي أن الحر يتزوج أمة فتلد له صبياً
أو بنتاً فتصبح هذه البنت حرة وسيدة فتصبح سيدة أمها) وأن ترى الحفاة العراة
رعاء الشاه يتطاولون في البنيان (أهل البدو يبنون ناطحات السحاب، أبراج كذا
يتطاولون في البنيان).

ثم انطلق (الأعرابي) ثم قال عمر فلبثت ملياً، ثم قال لي رسول الله: يا عمر
أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم
دينكم.

وهكذا - معشر السادة الكرام - تمثل سيدنا جبريل بصورة أعرابي يراه
الصحابه ويسمعوا سؤاله، ويسمع جواب رسول الله ﷺ ويتعلم أمور الدين عن
طريق السؤال والجواب لتنزل في قلوبهم وترتسم في ذاكرتهم.

ولهذا نزلت الآيات القرآنية لتعلن بأن إنكار وجود الملائكة كفر، قال تعالى:
﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾
/النساء: ١٣٦/ إذاً الملائكة أجسام نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة بإذن
الله تعالى، وعلينا أن نعتقد أنهم خلقوا قبل البشر، وأنهم درجات وأصناف في أصل
الخلق وفي مقام العبودية، جعلهم الله تعالى رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع
قال تعالى ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾.

فبأي الأمثال تتشكل الملائكة؟ ما هي أعمالهم؟ ما هي عباداتهم؟
أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود
بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن

يُوحَدُ اللَّهُ.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

الإيمان بالملائكة الكرام

الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع، يزيد في الحق ما يشاء إن شاء الله على كل شيء قدير.
الحمد لله العليم بما كان وما يكون، المدبر الحكيم فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال.
وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً عبده ورسوله صفوة الخلق، وعین الكمال المبعوث بين يدي الساعة، وصاحب الحوض والشفاعة، وأفضل من دعى إلى الخير أتباعه، فله السمع والطاعة.
فقل من قلبك سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد:

فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة، وقفت معكم في الجمعة السابقة على حقيقة عالم الغيب، أو السمعيات كما سماها علماء العقيدة، والسمعيات هي القسم الثالث من علم التوحيد الذي ندرسه منذ عام ألف وأربعمئة وست عشرة،

وقلت لكم إن الشيخ عبد المجيد الشرنوبى صاحب المنظومة لخص لنا أهم السمعيات فقال:

ويجب الإيمان بالذي ورد عنه من المولى المهيمن الصمد
كالخشر والصراط والميزان والبعث والثواب في الجنان
والحور والولدان والأملاك والأنبياء والجنّ والأفلاك
فهذه هي أهم السمعيات التي سنأتي على ذكرها بإذن الله تعالى.

إخوتي في الله:

بدأت معكم بالقسم الثالث بالإيمان بالملائكة، وأنه يجب علينا الاعتقاد بأنهم أرواح قائمة في أجسام لطيفة نورانية قادرة على التمثل والتشكل بأشكال مختلفة بأمر الله وإذنه، لا يوصفون بالأنوثة ولا بالذكورة ولهذا رأينا نبينا ﷺ يقول: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وخلق آدم مما وصف لكم بالقرآن».

فالملائكة مخلوقات نورانية، وأما الجن فقد خلق أبوهم الأول وهو الجن من نار السموم، اسمع إلى مولاك يقول: ﴿وخلق الجنّ من نارٍ من نارٍ﴾ /الرحمن: ١٥/ أي نار مخلوطة بهواء، والفرق بين الملائكة والجن: أن الجن كالبشر تشملهم صفة الذكورة والأنوثة ويجري بينهم التناسل والتناسل، وأما الملائكة فلا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، وقد قال المشركون قديماً: إن الملائكة إناث. فرد عليهم مولانا رداً قاصماً فقال عز من قائل: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم سكتب شهادتهم ويُسألون﴾ /الزخرف: ١٩/ ولهذا نص علماء العقيدة على كفر من قال بأنوثة الملائكة، من قال إن الملائكة إناث فقد كفر، لأنه عارض صريح القرآن، كما نص علماء العقيدة على فسق من قال بذكورتهم، لماذا؟ لأن القرآن سكت عن مسألة الذكورة ولكن السنة بيّنتها، فبأي الأشكال تتشكل

الملائكة؟ أجيب اليوم عن هذا السؤال بإذن الله تعالى مع الحلقة السادسة والثمانين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أَدْعُو المؤمنين المخلصين ليرفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة مريم:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾ والشاهد ﴿فتمثل لها بشراً سوياً﴾ الملك سيدنا جبريل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام تمثل لها بشراً سوي الخلق، كامل البنية، وفي الأحاديث الصحيحة أن سيدنا جبريل كان يأتي نبينا ﷺ بصورة رجل أعرابي حسن المنظر، وكثيراً ما كان يتمثل له بصورة الصحابي دحية بن خليفة الكلبي حيث كان هذا الصحابي جميل الصورة حسن الهيئة، وأما في الحرب فكانت الصورة تتناسب والمقام، ففي الصحيحين وبعد غزوة الخندق ووضّع السلاح جاء الأمين سيدنا جبريل بصورة محارب وعليه السلاح، وقال للقائد الأعلى للأمة ﷺ: أوضعت السلاح يا رسول الله؟! والله ما وضعناه، اخرج إليهم، فقال ﷺ: إلى أين؟ فقال: مشيراً إلى بني قريظة فخرج إليهم نبينا ﷺ، وإليكم رواية الإمام البخاري: إذ قالها وهو (سيدنا جبريل) وهو ينفذ رأسه من الغبار، وعند ابن سعد في الطبقات (فذهب جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم من الأنصار) ففي الحرب يأتي بهيئة الحرب وهو شاكي السلاح.

وهكذا - معشر السادة - نرى كيف أن الملائكة تتمثل على حسب

الحالات التي تناسب، يأتون بها كما أمرهم بها عز وجل، وإليكم هذا الحديث الذي أخبرنا عنه سيدنا محمد ﷺ: إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى (أبرص بياض الجلد وهو لا يرى في الشمس والأقرع هو الأصلع وأعمى) أراد الله أن يتليهم (يختبرهم) فبعث إليهم ملكاً فقال له: أي شيء أحب إليك؟ فقال الأبرص: لون حسن وجلد حسن، قد قذرتني الناس جميعاً (ابتعدوا عني) قال فمسح الملك فذهب عنه فأعطني لوناً حسناً وجلداً حسناً بإذن الله فقال له الملك: وأي المال أحب إليك فقال: الإبل فأعطاه ناقة عشرةاء حاملة وقال له: بارك الله لك فيها.

وأتى الملك الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك. فقال: شعر حسن ويذهب الله هذا عني الذي قذرتني الناس لأجله، فمسحه الملك فذهب عنه فأعطني شعراً حسناً بإذن الله تعالى، فقال الملك: فأني المال أحب إليك؟ فقال: البقر. فأعطاه بقرة حامل وقال له: بارك الله لك فيها. وأتى الملك الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله علي بصري فأبصر به الناس. قال: فمسحه الملك فرد الله إليه بصره لساعته قال: فأني المال أحب إليك قال: الغنم فأعطاه شاة والدأ. فأنج هذا الإبل والبقر، وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، ثم أراد الله أن يمتحن هؤلاء الثلاثة.

أتى الملك إلى الأبرص في صورته فقال له الملك: رجل مسكين انقطعت به الحبال وليس له بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال أسألك بغيراً أتبلغ به في سفري. فقال الأبرص: إن الحقوق كثيرة فقال له الملك: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرک الناس، فقيراً فأعطاك الله تعالى فقال الأبرص: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال له الملك: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الملك الأقرع أيضاً في صورته (أي أقرع) فقال له مثلما قال للأبرص، فرد عليه الأقرع مثل ما رد الأبرص. فقال الملك: إن كنت

كاذباً صيرك الله إلى ما كنت. وأتى الملك الأعمى في صورته وهيئته (ضرير) فقال له: رجل مسكين وابن سبيل وانقطعت بي الأسباب في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالله الذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال الأعمى: قد كنت أعمى فرد الله علي بصري، وكنت فقيراً فقد أغناني، فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك بشيء أخذته الله. فقال له الملك: أمسك عليك مالك فإنما ابتليتكم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبك.

أيها السادة وأما سيدنا أسيد بن حضير فهو الآن يقرأ القرآن، يحدثنا أنه يقرأ سورة البقرة في إحدى الليالي المباركة، وإذا بنور يتدلى من فوقه كأنه المصباح بين السماء والأرض وهو يقرأ ويخشع في قراءة القرآن. وإذا بالفرس تضج خلفه وابنه نائم قريب من الفرس فخشي على ولده من حركة الفرس فسكت، لكنه ما إن أذن الفجر حتى أقبل على حبيب القلوب سيدنا محمد ﷺ قال له: يا رسول الله جرى معي كذا وكذا: فقال له الحبيب الأعظم: اقرأ أبا عتيك تلك الملائكة تنزلت لقراءة سورة البقرة، أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب.

لكننا - إخوة الإيمان - لنا وقفة تأمل في مسألة التشكل والتمثل بالملائكة، إذا كانت الملائكة تتمثل بصورة بشر هل تنالهم الأحكام البشرية عندما يتمثلون بها؟ هل يأكلون مثلما يأكل البشر؟ هل يشربون مثلما يشرب البشر؟ هل يمرضون؟ أرى لزماً عليّ توضيحاً لهذا الموقف العقائدي أن أعرض على حضراتكم هذه القضية، فقد عرضت لسيدنا الخليل سيدنا إبراهيم تماماً، تعالوا بنا لننزل زائرین على سيدنا إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذا دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون﴾ /هود: ٦٩/ ما رأيتمكم قبل ذلك ﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ شواه لهم ﴿فقربه إليهم قال: ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا: لا تخف وبشره بغلام عليم﴾ قال المفسرون: كان هؤلاء الأضياف: سيدنا جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، إذ هم حين يتمثلون بصورة البشر لا يأكلون ولا يشربون، ولا تعزيبهم الأحكام البشرية عندما يتمثلون بها، لكن الصورة البشرية قد تتأثر بما تتأثر به الأجسام البشرية، وأكبر دلالة على ذلك حديث ذكره سيدنا رسول الله ﷺ قال: جاء ملك الموت إلى سيدنا موسى فقال له: أجب ربك، فنظر سيدنا موسى فرأى رجلاً يدخل عليه بيته بدون إذن ويأمره وهو نبي الله ﷺ ومن أولي العزم ورسالته نارية، فاحتدّ منه فلطم موسى عين الملك ففقأها، قال فرجع الملك إلى الله ﷻ، قال: يارب إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد أن يموت وقد فقأ عيني، قال فرد الله ﷻ عليه عينه البشرية وقال: ارجع إلى عبدي موسى فقل الحياة تريد، فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور (على ظهر ثور) فما توارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة فقال موسى: ثم مه (ماذا يكون بعدها) قال الملك: الموت، قال سيدنا موسى: فالآن عن قريب.

فهذا الحديث - أيها الإخوة - يدل على أن صورة الملك البشرية تتأثر مثلما تتأثر الأجسام والعناصر، فإذا كان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون فبم تكون قوتهم أو قوتهم بم؟ إن الآيات القرآنية صرحت بأن قوتهم أو قوتهم تكون بالتسبيح والذكر والصلاة والعبادة والصلاة على سيدنا محمد ﷺ لا يعترتهم تعب ولا فتور، اسمع إلى مولانا عزوجل يقول ﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ / الأنبياء: ١٩ / لا يتعبون لا يملون ﴿فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ فالملائكة يسبحون ربهم، وفي آية أخرى يستغفرون لمن في الأرض، عليهم السلام، وقال تعالى ﴿والصافات صفاً، فالزاجرات زجراً، فالتاليات ذكراً، إن إلهكم لواحده﴾ / الصافات / أقسم مولانا سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة الصافات الذين يصقون للصلاة والعبادة بين يدي مولانا، وهذا له شاهد من الصحيح ففي الحديث: ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟ قالوا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ فقال ﷺ يتمون صفوفهم المتقدمة ويتراصون في الصف. وأما الزاجرات زجراً فهي الملائكة التي تزجر السحب لتسوقه حيث أمرها الله تعالى، وأما التاليات ذكراً فهم الملائكة تتلو كلام الله تعالى، اسمع إلى مولانا ﴿كلا إنها تذكرة. فمن شاء ذكره. في صحف مكرمة. مرفوعة مطهرة. بأيدي سفرة. كرام بررة﴾ / عبس: ١١ / وقال عنهم ﴿وإننا لنحن الصاقون وإننا لنحن المسبحون﴾ / الصافات: ١٦٥ / وقال ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ / البقرة / ولذلك اسمع البشارة من النبي ﷺ يقول: «فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعل لنا ترابها طهوراً إذا لم نجد الماء» فقل من قلبك الحمد لله.

أترون - أيها السادة - كل تلك العبادة التي لا تنقطع من الملائكة في كل لحظة ومع ذلك فإن الملائكة يعترفون بأنهم مقصرون، يقولون إذا كان يوم القيامة

«سبحانك ما عبدناك حق عبادتك» رغم أنهم لا يفترقون يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، فالملائكة لا تفتر عن التسبيح في كل زمان وفي كل مكان وفي كل جهة، وهم الآن معكم يشهدون توحيدنا، اسمع إلى نبيك ﷺ يقول: «ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر وكف إلا وفيه ملك ساجد أو راعع لله، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئاً» حتى إن نبينا ﷺ يصفهم في حديث «إن لله ملائكة ترعد فرائضهم من خيفة الله ما تقطر منهم دمعة إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجوداً منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم ولن يرفعوها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله وقالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك».

إخوة الإيمان:

إننا في البيان الختامي لمؤتمرنا الإسلامي هذا الذي نعقدته كل يوم جمعة اسمعوا التوجيهات الأخيرة، وبنود المؤتمر يوجهها إليكم رئيس المؤتمر سيدنا محمد ﷺ اسمعه يقول لك: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظن السماء وحق أن تئط (يسمع لها صوت من كثرة الملائكة) ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها ملك واضع جبهته لله تعالى ساجداً، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله».

وهكذا - معشر السادة - وقفنا اليوم على حقيقة الملائكة، وهم معنا هنا يسبحون الله ويوحّدونه، فمن كان معنا هنا فليوحّد الله.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أمين وحي السماء

سيدنا جبريل

الحمد لله الذي ابتداء الإنسان بنعمته، وصوره في الأرحام كيف يشاء بحكمته، وجعل له السمع والأبصار، وأخرجه من ظلمة الأحشاء إلى سعة الأرض والفضاء، ورباه بإحسانه وغذاه بنعمه وأجرى له رزقه إلى أن صيره إلى ما إليه صار.

سبحانك اللهم لا نحصي ثناء عليك، وهبت الإنسان نعمة العقل، وخصصته بهذا الفضل، فعرفك به كل العرفان، وآمن بك حق الإيمان إلا من فسدت فطرته وكتبت شقوته.

حمداً لك اللهم أن هديتنا إلى توحيدك فكنا من المؤمنين من عبيدك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نرجو ثوابه ونخشى عقابه ونبتغي إليه الوسيلة، ونسلك إلى هداه سبيله.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ومصطفاه لا بلاغ الرسالة وإخراج الناس من الضلالة.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر. وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

حديثنا اليوم عن رئيس من الرؤساء، وعظيم من العظماء، علقت على صدره الأوسمة وأعطى من الجاه والمكانة ما لم يعط أحداً من قبله، يسير في الأرض ويطير في السماء في جميع جهات الدنيا فلا يرده أحد، أطاعه كل أنسي وجني وحيوان وجماد حتى لقب بالأمين وبروح القدس، والناموس.

رئيس لا يعتريه الغضب ولا الشهوات، لم يستول على الرئاسة اغتصاباً وعدواناً أو بدفع الأموال والرشا والخداع والنصب على عباد الله، إنه عبد الله ورسوله سيدنا ومولانا جبريل قولوا عليه الصلاة والسلام.

فنحن بدأنا ننزل ضيوفاً على رؤساء الملائكة واحداً واحداً منهم سيدنا ملك الموت، وسيدنا إسرافيل وسيدنا ميكائيل وسيدنا جبريل، وكل هذه الأسماء تنتهي بـ«إيل»، وكل اسم فيه «إيل» فهو معبد لله لأن اسم إيل بالعبراني معناه: الله.

وقد روي عن جدي زين العابدين سيدنا علي بن الحسين «كما رواه ابن جرير» أنه قال: اسم جبريل عبد الله، واسم ميكائيل عبيد الله، واسم اسرافيل عبد الرحمن، وأما ملك الموت فقيل «كما ورد في الكتب القديمة» أن اسمه عزرائيل ومعناه عبد الجبار. عليهم الصلاة والسلام.

ومن أسرار هؤلاء الثلاثة «جبريل وميكائيل وإسرافيل» وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ أن الله تعالى جعلهم أسباب الحياة: فسيدنا محمد جاء بروح العالم قال له مولانا: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ /الشورى: ٥٢/.

وبهذه الروح تحيا الأرواح والقلوب حياة سعيدة أبدية في الدنيا والآخرة، اسمع إلى الأمر الإلهي الأزلّي يأمرنا ﴿ياأيها الذين آمنوا استجبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾.

وأما سيدنا جبريل عليه السلام فهو صاحب الوحي الذي يوحى الله تعالى إلى الأنبياء وهو سبب الحياة للعباد والبلاد.

وأما سيدنا ميكائيل فهو الموكل بالمطر الذي به حياة الأرض والنبات بل والإنسان والحيوان.

وأما سيدنا إسرافيل فهو الذي ينفخ في الصور فيحيي الله تعالى الموتى بنفخته فإذا هم قيام لرب العالمين.

إننا باختصار مع الحلقة السابعة والثمانين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة التكويد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فلا أقسم بالخنس. الجوار الكنس. والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس. إنه لقول رسول كريم. ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثم أمين. وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين﴾.

إخوة الإيمان:

رأى سيدنا رسول الله ﷺ سيدنا جبريل الأمين مرتين على صورته الحقيقية، تارة في مكة وتارة عند سدره المنتهى ليلة المعراج، وهو المراد من هذه الآية، رآه وله ستمئة جناح، رآه منهبطاً يثير من ريشه تهاويل الدر والياقوت «ما يدهش الناظر بجماله» ودّر أنواره التي حلاه الله بها.

وهذا ثناء من مولانا لعبده جبريل، وتبيان أنه واسطة وحيه بالقرآن الكريم إلى حبيبه ومصطفاه سيدنا محمد ﷺ، وهذا فيه بيان مقامه العظيم، ولذلك أرسل إليه عظيم الملائكة وكبيرهم، وصاحب الكلمة المطاعة، وانتبهوا إلى هذا الوصف الجميل

لسيدنا جبريل، ومن الذي يصفه ؟ إنه خالقه ومصوره ﷻ رب العالمين، يقول عنه: بأنه كريم، وذو قوة، ومن قوته أنه يمنع الشياطين أن تدنو من القرآن العظيم أو تنال منه شيئاً، أو يزيدوا فيه أو ينقصوا منه، وهو الذي رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل، وبريشة واحدة من أجنحته رفع خمس مدن كبرى يقوم لوط ثم قلبها ثم أهوى بها بإذن الواحد القهار.

وليس ذلك فقط بل هو أيضاً مطاع في المالأ الأعلى فيما بين الملائكة المقربين، يصدر عن أمره، ويرجعون إلى رأيه، وإذا نزل في أمر حفت به الحشود والجنود من الملائكة تحت رايته وإمارته وقيادته.

وهو أمين وحي السماء وموصله بأمانة إلى أنبياء ﷻ ورسله من غير تغيير وتحريف، هذا هو الذي نطق به الكتاب المبين ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين، بلسانٍ عربي مبين﴾ / الشعراء: ١٩٣ / الروح، روح كله، لا كأرواحنا في أجسامنا، بل روح عظيمة قوية التأثير، ولهذا كان من الحكمة أن يرسله مولانا إلى السيدة مريم فيخلق سيدنا عيسى ويعطى قوة على إحياء الموتى بإذن ﷻ تعالى.

ولأجل هذا فلسيدنا جبريل قدسية خاصة وطهارة من الأدناس، لأنه ينزل بالتقديس من ﷻ تعالى أي ينزل بتطهير النفوس وتقديس العقول والقلوب، ينزل بالقرآن، اسمعوا إلى مولانا يقول:

﴿قل نزل به روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا...﴾ / النحل: ١٠٢ / .
ولهذا فهو روح القدس، والقدس معناه الطهارة والبركة، لأن التقديس هو التطهير والمباركة، فهو روح الطهارة والبركة عليه الصلاة والسلام، وإليك هذا التوجيه النبوي الشريف «ه - طب - حا» يقول:

«إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا ﷻ وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم

استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته».

أيها الإخوة:

عرفنا حتى الآن صفات هذا الملك الكريم وأنه ينزل بالسرائع الربانية والكتب الإلهية على الرسل، ولهذا يسمى الناموس الأكبر أي «صاحب سر الخير»، وحين جاء نبينا إلى ورقة بن نوفل يحدثه بما جرى معه عند نزول أولى آيات القرآن الكريم، قال له ورقة حين سمع الآيات: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، فهذه الوظيفة الأولى.

وأما الوظيفة الثانية للأمين جبريل فهو التأيد للرسل الأكرمين، أي أن الله يؤيد به أنبيائه ورسله الأكرمين عليهم الصلاة والسلام، وإليك هذه القضية الإيمانية التي صرح بها مولانا على موجات سورة التحريم:

﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾.

إن مولانا يخاطب السيدة عائشة وحفصة رضي الله عنهما في حادث الغيرة بين نسائه ﷺ ويقول لهما إن تتعاوننا على حبيبي محمد ﷺ فإنني أنا الله ناصره ومتولي أمره، وكذا عبدي جبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك كلهم أعوان مظاهرون ومؤيدون لعبدي وحبيبي محمد، فأنا الله لا أترك رسولي ولا أسلمه لأحد، هذا هو فضل نبينا ﷺ.

وقد ذكر مولانا أيضاً تأييده لسيدنا عيسى بجبريل فقال ﴿وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾ /البقرة: ٢٥٣/ وبهذا التأيد حفظه الله تعالى من أعدائه اليهود فقد تمالأ عليه اثنا عشر ألف يهودي لقتله فلم يتمكنوا منه:

﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين. إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك﴾ «بالنوم على القول الصحيح» ورافعك إلي ومطهرك من الذين

كفروا... ﴿٥٥﴾ آل عمران: ٥٥.

وإليكم البشارة: إن مولانا يؤيد المؤمنين الصالحين بسيدنا جبريل، اسمع إلى مولانا يقول على الموجات الإيمانية من سورة المجادلة:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ /المجادلة: ٢٢/. والشاهد: وأيدهم بروح منه، ولهذا اسمع إلى حبيبك النبي ﷺ وهو يقول لسيدنا حسان حين كان يهجو المشركين والكفار قال له «ق»:

«اهجهم وجبريل معك، أجب عني ثم قال: اللهم أيده بروح القدس، ثم قال «د»: إن روح القدس مع حسان مادام ينافح - يدافع - عن رسول الله...»

فالله يؤيد المسلمين والصالحين بسيدنا جبريل، وليس هذا فقط بل ويجب جبريل بهم «بأحابه الذين آمنوا وعملوا الصالحات» وكذا يبعث جبريل في الذين كفروا، هذا ما صرحت به الأحاديث الشريفة، اسمع إلى حبيبك رسول الله ﷺ يقول «ق - ت»: إذا أحبَّ الله عبداً نادى جبريل: إني قد أحببت فلاناً فأحبه، فينادي في السماء «أي الملائكة: إنَّ الله يحب فلاناً فأحبه» ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ /مريم: ٩٦/.

وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل: إني قد أبغضت فلاناً، فينادي في أهل السماء ثم تنزل له البغضاء في الأرض.

ولذا لما أبغض الله قوم ثمود بعد أن رفضوا الإيمان وآذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاح فيهم جبريل من فوقهم صيحة هزّت قلوبهم وخلعتها، وجاءتهم الرجفة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس وانتقم الله منهم، وما هو من الظالمين ببعيد.

أيها السادة:

لقد بلغ سيدنا جبريل عند الله وعند رسوله منزلة كريمة ومحبة عظيمة ورتبة مكينة، وظهرت هذه المحبة في قلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأسلوب الخطاب، كان نبينا يخاطب سيدنا جبريل بصيغة الإخوة فيقول له: يا أخي يا جبريل، وكان ينتظر زيارته ويتربها ويستزيده منها حباً فيه واشتياقاً إليه فعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبريل «ق»: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فأنزل مولانا عز وجل قوله: ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً﴾ / مريم: ٦٤. وهذه المحبة وذاك الشوق سببه أنه كان يصاحب نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في مراحل حياته وفي أسرائه، ويظهر له مقامه ورتبته وتقديمه إماماً بالأنبياء، وصاحب نبينا في المعراج فكان يفتح له أبواب السموات، يفعل كل ذلك قياماً بواجب التعظيم والاحترام لمقام نبينا، حتى تركه في موقع فوق السموات السبع وقد رأى أمامه بحراً عظيماً من نور قال: يا أخي يا جبريل أرى بحراً عظيماً أمامي، ما هذا البحر؟ فلم يجبه سيدنا جبريل، قال: يا جبريل أرى بحراً عظيماً أمامي، ما هذا؟ فلم يجبه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن يمينه فلم يره، فالتفت خلفه فرآه بعيداً، فرجع إليه وقال: يا جبريل: أفي هذا المكان يترك الحبيب حبيبته فقال سيدنا جبريل: يا محمد، ذاك مقامك عند الله، وأنا هنا مقامي ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ / الصافات / لو تجاوزت حدي لاحترقت بنور العظمة الإلهية.

وسأل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيدنا جبريل سؤالاً، اسمعوا صيغة السؤال واسمعوا

جوابه، قال رسول الله ﷺ «مشكاة المصابيح وأبو نعيم»: يا جبريل: هل رأيت ربك؟.

فانتفض جبريل «ارتعد ارتعاداً شديداً من الهيبة الإلهية» وقال:

- يا محمد إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نور، لو دنوت من بعضها
لا احترقت «بنورها».

فهذا جبريل مع أنه أحد رؤساء الملائكة لم ير الله تعالى، ولم يره أحد من
الأنبياء أيضاً، أما سيدنا محمد ﷺ فإنه رأى الله تعالى بعيني رأسه يقظة لا مناماً
وقال: نور أنى أراه.

سيدي أبا القاسم يارسول الله:

وقيل كل نبي عند رتبته ويا محمد هذا العرش فاستلم

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

رؤساء الملائكة الثلاثة

الحمد لله الذي أحيا علوم التوحيد فأينعت بعد اضمحلالها، واعيا فهوم الملحين عن إدراكها فرجعت بكلالها، أحمدته وأستكين له من مظالم أنقضت الظهور بأنقالها، وأعبده وأستعين به لعظام الأمور وعضاها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بحصول الدرجات وظلالها، واقية من حلول الدركات وأهوالها.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أطلع به فجر الإيمان من ظلمة القلوب وضلالها، أسمع به وقر الآذان، وجلا به رين القلوب بصقالها.

سيدي أبا القاسم يارسول الله:

أنت الذي قاد الجيوش محطماً عهد الضلال وأدب السفهاء
وسموت بالبشر الذين تعلموا سنن الشريعة فارتقوا سعداً
صلى عليك الله ياعلم الهدى، ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك
الحمام.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر. وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحق من جعلته رحمة

للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة يقول مولانا عز وجل في محكم كتابه الكريم على موجات سورة فاطر: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الحمد لله﴾ فاطر السموات والأرض، جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير.

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية مظاهر قدرته وآثار قوته المشهودة في تكوين السموات والأرض، ثم عطف على ذلك بذكر ملائكته سبحانه، وأنه جعلهم رسلاً في تنفيذ أوامره التكوينية وفي تبليغ وحيه وأحكامه التشريعية، وأنه سبحانه زاد في خلقهم جمالاً وبهاءً وقوة، فجعلهم أولي أجنحة، فمنهم ذو الجناحين، ومنهم ذو ثلاثة أجنحة، ومنهم ذو أربعة أجنحة، والله عز وجل يزيد في الخلق ما يشاء حسب ما تقتضيه الحكمة فإنه لا تعجز قدرته عما خصصته إرادته واقتضت حكمته فهو القادر المقتدر، ولهذا ورد في الصحيحين عن ابن مسعود أن نبينا ﷺ: رأى جبريل له ستمئة جناح. أي على صورته التي خلقه الله عليها، رآه وقد سد ما بين السماء والأرض «سد الأفق».

أيها السادة:

كانت وقفتي معكم قبل شهر رمضان المبارك مع أمين وحي السماء وسفير الأنبياء، مع سلسلة رؤساء الملائكة الذين هم أفضل الملائكة، وسمحوا لي قبل الكلام مع الرئيس الملكي التالي، أن أرجع معكم قليلاً إلى الوراء لأعيد معكم سلسلة الأفضلية الواجب علينا اعتقادها فيمن خلق الله تعالى وتذكرون أن:

- ١- أفضل الخلق على الإطلاق نبينا سيدنا محمد ﷺ.
- ٢- ويليه في الأفضلية أولو العزم من الرسل سيدنا إبراهيم ثم سيدنا موسى ثم سيدنا عيسى ثم سيدنا نوح عليهم الصلاة والسلام.
- ٣- ويليه في الأفضلية بقية الرسل عليهم الصلاة والسلام.
- ٤- ويليه في الأفضلية بقية الأنبياء غير الرسل.
- ٥- ثم يليهم خواص الملائكة الذين نحن بصددهم وهم على الترتيب سيدنا جبريل ثم سيدنا ميكائيل ثم سيدنا إسرافيل ثم ملك الموت.

أيها الإخوة:

نحن اليوم إذاً مع ثاني وزيري سيدنا رسول الله ﷺ في السموات ألا وهو سيدنا ميكائيل، وهذا اللقب الشريف وهذا الوسام الأعظم ناله سيدنا ميكائيل من سيدنا رسول الله ﷺ فهو الذي قال «ت - صحيح، حا»: «إن لي وزيرين من أهل السماء، ووزيرين من أهل الأرض، فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل، ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر».

وشأن الوزراء أن يشد الأزر عند احتدام الأمر، ألم يقل مولانا عن سيدنا موسى ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي أشدد به أزري﴾ ولهذا نرى ابن عباس يرفع حديثاً إلى النبي ﷺ «طب - بز - نعيم» فيقول: إن الله تعالى أيديني بأربعة وزراء... أيديني، وهذا التأييد ظهر جلياً واضحاً يوم أحد إذ أنهما نزلا يقاتلان إلى جانب نبينا الأعظم ﷺ ففي الحديث «ق» عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت على يمين رسول الله ﷺ وعلى شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد».

فما هي وظيفة هذا الملك الكريم؟

فقد علمنا سابقاً أن من بعض وظائف سيدنا جبريل أنه موكل على الريح وجنود الله تعالى، وأما سيدنا ميكائيل فوظيفته على النبات والقطر، أي على الأرزاق والأقوات.

فقد ورد في الحديث «طوبى لمن» عنه ﷺ أنه قال لسيدنا جبريل: «يا جبريل على أي شيء أنت (على أي شيء ولاك الله تعالى في جملة ما أمرك به) قال: على الرياح والجنود. فقال: على أي شيء ميكائيل: فقال على النبات والقطر».

أيها الإخوة الكرام:

إننا أمام الشخصية النورانية الثالثة في ترتيب الأفضلية الملكية ألا وهو سيدنا إسرافيل صاحب الصور ولكنني أرى أمامي مهمتين جليلتين قام بهما سيدنا ميكائيل أعرضهما على حضراتكم من خلال القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع هذه القضية اسمحو لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك، إلى جوار الكعبة زادها الله تشریفاً وتكرماً ومهابة، ورزقي الله وإياكم الطواف حولها كل عام على أحسن حال وخير مآل.

ومن هناك ألتقط لحضراتكم في المهمة الأولى هذا المشهد من على الصفا حيث جمع هذا المكان سيد الأنبياء ومعه سفير الأنبياء في مشهد حزين أنقله لكم، يقول:

«يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق، ولا كف من سويق»، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفرعته فقال ﷺ: أمر الله تعالى القيامة أن تقوم؟ فقال جبريل لا، ولكن أمر إسرافيل فنزل إليك

حين سمع كلامك، فأتاه إسرافيل فقال: إن الله قد سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض، وأمرني أن أعرض عليك أسير معك جبال تامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة، فإن شئت نبياً ملكاً، وإن شئت نبياً عبداً. «اطلب وتمنى».

وهنا نظر سيد الكائنات وأكرم من مشى تحت أديم السماء إلى سيدنا جبريل كأنه يستشير، فأشار جبريل إليه بيده أن تواضع، يقول ﷺ فعرفت أنه لي ناصح، فقلت: نبياً عبداً، ثم قال ﷺ: فلو أي قلت نبياً ملكاً لسارت الجبال معي ذهباً.

وأما المهمة الثانية التي يتولاها هذا الملك الكريم فهو أنه يدعو الخلائق يوم القيامة بأمر الله تعالى، هو الذي يناديهم اسمع إلى مولانا عز وجل يقول:

﴿واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب﴾ «قريب منهم ليؤثر فيهم النداء كل التأثير» يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ﴿ق: ٤١/.

﴿فتولّ عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر﴾ «فظيع تنكره نفوسهم» خشعاً أبصارهم، يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر. مهطعين إلى الداع «مسرعين» يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴿القمر: ٨/.

أتعرفون - أيها السادة - ما هو هذا النداء؟ روي أن إسرافيل عليه السلام ينادي:

يأيتها العظام النخرة، والجلود الممزقة، والأشعار المتقطعة، إن الله تعالى يأمرُك أن تجتمعي لفصل الحساب «ابن عساكر والواسطي وابن جرير».

إخوة الإيمان:

وأما المهمة الرئيسة التي أمر بها سيدنا إسرافيل من رب العزة فهي النفخ في الصور، اسمع إلى قول مولانا عز وجل: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام

ينظرون».

الصور الذي هو مجمع الأرواح بعد مفارقة الأشباح، وهو على شكل القرن، لماذا؟ لأن النبي ﷺ يقول «ت»: كيف أنعم (كيف أتنعّم بنعيم الدنيا) وقد التقم صاحب القرن القرن وحنا جبهته ينتظر أن يؤمر فينفخ، فكأن ذلك ثقل على الصحابة فقالوا: «يا رسول الله كيف نفعل فقال ﷺ: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله».

معشر السادة الكرام:

إننا في نهاية المطاف حول أحوال رؤساء الملائكة النورانية ونحن على عتبة الحديث عن سيدنا ملك الموت الذي قال فيه مولانا عز وجل: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾.

وملك الموت هذا لم يرد اسمه في القرآن الكريم ولا في السنة الصحيحة ولكن ورد اسمه عند أهل الكتاب وفي الآثار: أن اسمه عزرائيل، وقد اشتهر عند المسلمين قبول هذا الاسم ولا مانع منه شرعاً، وله أعوان من الملائكة منهم ملائكة الرحمة ومنهم ملائكة العذاب، وقد ورد تفصيل ذلك على الموجات الإيمانية من كتاب مولانا عز وجل، يقول عز من قائل: ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾.

والمؤمنون تتوفاهم ملائكة الرحمة، والكفار تتوفاهم ملائكة العذاب اسمع إلى مولانا يقرر هذه القضية الإيمانية: ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق. ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾. فتتزع ملائكة العذاب أرواح الكفار بعنف وشدة كما قال تعالى تماماً ﴿والنازعات غرقا﴾ وأما المؤمنون فإن ملائكة الرحمة تنشط

أرواحهم نشطاً بيسر وسهولة كما قال تعالى ﴿والناشطات نشطا﴾. ثم تلقاهم الملائكة بالسلام والترحيب والبشارة بالجنة ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون: سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾.

وسأوضح لكم هذه النقطة الأخيرة فأعيروني آذاناً صاغية وقلوباً واعية وألسنة تصلي على سيدنا محمد ﷺ، هذه النقطة وضحتها لنا النبي الكريم بحديث صحيح «ق» يقول ﷺ:

«كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض؟ فدل على راهب (عابد مترهب بعد عصر سيدنا عيسى ليس عنده كثير علم) فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة (ونظر العابد فغلبت عليه عبادته فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك الرجل وكيف استجراً على قتل هذا العدد الكثير) فقال: لا، فقتله فكمّل به مئة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض؟ فدل على رجل عالم فسأله عن ذلك فقال العالم: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة. انطلق إلى أرض كذا وكذا (أي أن يترك صحبة الأشرار ومجالستهم ويصحب الأخيار ويكون معهم لأن الصاحب صاحب، ومن جالس جانس ألم يقل مولانا ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾) دله على أرض أخرى وقال له: إن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء.

قال فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، «اسمعوا الشاهد»: فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم (حكماً) فقال: قسوا ما بين

الأرضين (بلده والبلدة الأخرى الذهاب إليها) فيألى أيتهما كان أدنى فهو له،
فقداسوه فوجدوه أدنى إلى القرية الصالحة، أقرب منها بشبر فقبضته ملائكة
الرحمة».

أيها الإخوة:

أنتم الآن في قلب المدينة الصالحة، أنتم الآن في بيت الله ومعنا ملائكة
الرحمة، فتوبوا إلى الله تكونوا قريبين من الجنة، واستغفروه يغفر لكم. وأعود بكم من
هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد
الله.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

حملة العرش والملائكة المقربون

الحمد لله الذي اصطفى لدينه خلاصة العالمين، وهدى من أحبه للتفقه في التوحيد والدين، حمداً نسلك به منهاج العارفين، ونمّح به دخول رياض الموحدين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة الموقنين.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله بحجة الموحدين، الحاوي لجميع فضائل المرسلين، من نبّه العقول لتحرير تنقيح أحكام الدين، البحر المحيط، القدوة العظمى في الدين. سيدي أبا القاسم يارسول الله:

الحق أنت وأنت إشراق الهدى	ولك الكتاب الخالد الصفحات
يقصد الدنيا بغيرها يلقيها	تيهاً من الأحوال والظلمات
لو شرّق القوم الكبار وغربوا	فإليك حتماً منتهى الغايات
ضلّت علومهم برغم نبوغهم	وتعرضوا لمهالك الخطرات
وتنكبوا سبل السلام وأقبلوا	يتشدقون بآتفه الكلمات
لو أحسنوا فهم السلام لأسلموا	ما غير دينك سلم لنجاتي

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

إن عالم الملائكة عالم حق ويجب الاعتقاد بوجودهم والإيمان بصفاتهم، لورود ذلك في آيات عدة من كتاب مولانا عز وجل وأحاديث رسول الله ﷺ، مما يدل دلالة قاطعة على حقيقة وجودهم، فالكلام عنهم ليس ضرباً من الأوهام ولا نوعاً من تخيلات الأحلام، إنما هم عالم غيبي عن العيان المشهود، أكرمهم الله ﷻ وشرفهم بصفات قدسية، ووكل لهم وظائف يقومون بها بإذن الله تعالى، فهم بأمره يعملون. فمنهم الموكلون بقضايا الإنسان التكوينية كتطوير النطفة في الأرحام ثم تصويرها ثم نفخ الروح في الجنين، وكتابة أعماله حتى موته، ومنهم المعقبات الحفظة، والكرام الكاتبون، والموكلون بسؤال القبر، ومنهم الموكلون بالكواكب والجبال والسحب والأمطار والبحار، وأصناف متعددة يعجز الإنسان عن إحصائه ويكفيك قول مولانا ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾.

كان هذا هو موجز الأنباء الإيمانية - معشر السادة - وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة التاسعة والثمانين من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهلّ به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات الإيمانية من سورة /غافر/: ٧/:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به﴾

ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم. ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إِنَّكَ أَنْتَ العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم».

أيها الإخوة:

يخبر مولانا سبحانه عن حملة عرشه ومن حوله أنهم ملازمون لتسبيحه وتحميده سبحانه ودائبون على الإيمان به والاستغفار للمؤمنين. وهذه الآية تصريح هام حول حملة العرش الذين يحملونه تعزراً وتشرفاً وفي ذلك مظهر لسلطان ملك الملوك ومقام هيبة للرب جل جلاله.

وذكر مولانا عز وجل عدة حملة العرش فقال على موجات سورة /الحاقة: ١٧/ ﴿وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾. قال ابن عباس: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى.

أيها الإخوة الكرام:

اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى المدينة المنورة، إلى صاحب الطلعة البهية والروضة الندية، إلى سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ فإنه الآن سوف يوجه بياناً هاماً إلى الأمة الإسلامية على موجات سنن أبي داود السجستاني، اسمعوا هذا البيان:

اسمعوا إلى الناطق الرسمي عن مولانا عز وجل، يقول رسول الله ﷺ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ أَنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ (كُفِّهِ) مَسِيرَةُ سَبْعِمِئَةِ عَامٍ».

وعند أبي يعلى عنه عليه السلام يقول: «أُذِنَ لي أن أحدث عن ملك قد مرقت رجلاه في الأرض السابعة والعرش على منكبيه وهو يقول: سبحانك أين كنت وأين تكون».

فحملة العرش يسبحون مولانا عز وجل مع جميع الملائكة، وقد حدث مرة أن نبينا عليه السلام كان مع نفر من أصحابه فإذا بشهاب أو نجم يسقط فيستنير فقال عليه السلام «ما كنت تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية قالوا: كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم».

فقال عليه السلام: «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقولون لحملة العرش ماذا قال ربكم، فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتخطف الجن السمع فيُرمون (ترميمهم الملائكة بالشهب) فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقرّفون فيه ويزيدون». (م).

فحملة العرش ينقلون بأمر الله تعالى إلى الملائكة ما يحب ويرضى، ولهذا يقول عليه السلام (أحمد): «إن العبد ليلتمس مرضاة الله عز وجل فلا يزال كذلك فيقول الله عز وجل لجبريل: إن فلاناً عبدي يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي عليه وفي رواية (ق): إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه قال فيحبه جبريل، ويقول: رحمة الله على فلان، ويقولها حملة

العرش، ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السموات السبع ثم يهبط إلى الأرض (أي يوضع له القبول في الأرض) وان العبد ليلتمس سخط الله فيقول الله: يا جبريل أن فلاناً يسخطني ألا وان غضبي عليه، فيقول جبريل: غضب الله على فلان، ويقوله حملة العرش، ويقوله من دونهم حتى يقوله أهل السموات السبع ثم يهبط (أي القول بذلك إلى الأرض).

أيها السادة:

فيمكن أن نقول إن حملة العرش من أشرف الملائكة المقربين، ولعلمهم مع غيرهم هم المراد بهم بالمأ الأعلى أو الرفيق الأعلى، اسمع إلى مولانا يقول: ﴿قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون﴾ (القرآن) ما كان لي من علم في المأ الأعلى إذ يختصمون﴾ /ص: ٦٨/.

فنبينا ﷺ قبل أن ينبئه الله تعالى وينزل عليه القرآن ما كان عنده علم باختصاص المأ الأعلى وما يجري بينهم من التقاول في قضية آدم وقضية اعتبارات أعمال بني آدم من الكفارات والدرجات وتنزيلها في منازلها واعطائها استحقاقاتها، هذا الاختصاص وتلك المجادلات لم يكن عند نبينا علم به قبل أن ينبأ وينزل القرآن الكريم عليه، لأنه كان أمياً ﷺ فمن أين جاءت تلك العلوم الوافرة التي كان من جملة العلم باختصاص المأ الأعلى؟ انه حقاً إذن رسول الله.

إنني أدعوكم - أيها السادة - اليوم لنقف معاً على نعمة عظيمة أنعمها مولانا على حبيبه ومصطفاه فتعالوا نصلي صلاة الفجر مع سيدنا رسول الله ﷺ، هانحن قد انتهينا من الصلاة، وأرى وجه الحبيب الأعظم منوراً كأنه البدر المنير يقول (ت- حسن صحيح- ن):

«إني قمت من الليل فصليت ما قدّر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم المלא الأعلى، قلت: لا أدري يارب (فأعادها ثلاثاً). فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت (أو علمت ما في السموات وما في الأرض) فقال: يا محمد فيم يختصم المלא الأعلى؟»

قلت: في الكفارات والدرجات. قال: وما الكفارات. قلت: نقل الأقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات.

قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام، ثم قال: سل. قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل صالح يقربني إلى حبك.

وهنا قال ﷺ: إنها حق فادرسوها وتعلموها». (هذه الوظيفة اليوم).

فحملة العرش والملا الأعلى من الملائكة المقربين، وقد يسمون بالرفيق الأعلى أو الندي الأعلى، لأن نبينا ﷺ كان (د) إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «بسم الله وضعت جنبي اللهم اغفر لي ذنبي وأخسأ شيطاني وفك رهاني (من نفسي المرهونة بعملها) واجعلني في الندي الأعلى» وهذا هو الشاهد من الكلام الندي الأعلى، أو الرفيق الأعلى لأن الحبيب الأعظم ﷺ لما حضرته الوفاة في مرضه الذي مات فيه سمعته السيدة عائشة يقول (ق) «اللهم الرفيق الأعلى وفي رواية (ن)-

حب) أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل.

هؤلاء هم المقربون وغيرهم الله أعلم بهم، وهذا القرب هو المشار إليه في قوله تعالى ﴿لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

هذا هو المقام الشريف والمنصب المنيف تكريماً للملائكة الكرام، ولهذا أتى مولانا على الملائكة الكرام في الملاء الأعلى، اسمعه يقول: ﴿وله من في السموات والأرض، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾.

هذا مدح، هذا ثناء للملائكة الذين لا ينقطعون عن الذكر، وهذا الأمر يحبه الله تعالى، الله يحب منك أن تذكر من ذكره، فإذا فعلت فإن الله يذكرك في هذا الملاء الأعلى الذي نتحدث عنه، ليباهي بك ملائكته الكرام، وإليك هذه القضية الإيمانية يوضحها لنا الهادي رحمه الله يقول لنا: «إن الله عز وجل يقول (ق):

«أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

المهم أن تسارع بالخيرات لتعمك رحمة الله تعالى، واسمع معي إلى حبيبك ﷺ يقول:

«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة

وذكرهم فيمن عنده..» (ق).

اسمعت هذه البشارات من فم سيدنا محمد ﷺ (وذكرهم الله فيمن عنده)
وهاهي رحمة الله تغشانا، هاهي الملائكة تحف بهذا المجلس المبارك فعليكم بذكر
الله، عليكم بتوحيد الله، ليذكرك الله فيمن عنده.

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

الكرام الكاتبون

الحمد لله المبدئ المعيد الغني الحميد ذي العفو الواسع والعقاب الشديد من هداه فهو السعيد السديد ومن أضله فهو الطريد البعيد فسبحانه قسم خلقه قسمين وجعلهم فريقين.

فمنهم شقي وسعيد وغوي ورشيد ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا كفؤ ولا عدل ولا ضد ولا نديد.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى التوحيد الساعي بالنصح للقريب والبعيد، المحذر للعصاة من نار تلظى بدوام الوقيد المبشر للمؤمنين بدار لا ينفذ نعيمها ولا يبيد.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

لم يكن وجوب الإيمان بالملائكة من إلزام الإيمان بما لا يلزم، أو التعريف بعالم لا صلة للإنسان به ولا ارتباط له ولا فائدة له بالاطلاع والتعرف عليه، بل إن في الإيمان بالملائكة ربط السماء بالأرض وربط الملائكة بعالم الإنسان لحكمة يريدنا الله جل جلاله.

ونحن اليوم بعون الملك المعبود نتناول طرفاً من هذه الحكمة التي يريدنا مولانا، مع الحلقة التسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة /ق/:

﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ /ق: ١٦/.

أيها الإخوة:

تقدم معنا في صفة العلم له تعالى أنه عز وجل قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه ما سكن في الظلماء أو تحرك بالضياء.

وهو سبحانه الذي ينبت عباده يوم القيامة بأعمالهم ويطلعهم على جميع شؤونهم وأحوالهم.

فما هي الحكمة من كتابة الملائكة أعمال العباد وهو أعلم بذلك جل جلاله.

أيها السادة:

اقتضت حكمة الله جل جلاله أن يُعلم العباد أن عليهم رقباء يرقبونهم ويسجلون عليهم كافة حركاتهم وسكناتهم وأفعالهم وأقوالهم، كل ذلك ليكشف العبد عن فعل المخالفات، وارتكاب المنكرات ويحمله على منهج الاستقامة والكرامة.

إنها حكمة توقف العبد عند حدّه فلا يغفل ولا ينسى ولا يلهو ولا يلعب لأن ملائكة الله يرقبونه، يرقبون كل حركة منه أو سكونه وقد ظن الكفار والجرمون مرة أنهم بمنأى عن العذاب والعقاب حين يخلون إلى أنفسهم حين يجلسون مع شياطينهم فلا يطلع عليهم أحد من العباد ردّ ضلالتهم وتوعددهم. ولهذا اسمع إلى مولانا يهدد الكفار ويتوعد البغاة الجرمين ﴿أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم، بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾ /الزخرف: ٨٠/.

إن الله يسجل إجرامهم وقتلهم للأبرياء، ومكرهم بعباد الله، ولكن الله لهم بالمرصاد ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في

أيأتنا، قل الله أسرع مكرًا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون ﴿يونس: ٢١﴾.
هذا الكتاب شاهد حق على بني آدم يوم القيامة، لا يستطيع أن ينكر شيئاً
منه قليل أو كثير صغير أو كبير ﴿وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير
مستطر﴾ / القمر: ٥٣.

فطوبى لمن جاء يوم القيامة وصحيفته مألئ بالأعمال الصالحة، لاشك أنها
فرحة كبرى.

فيأخي المسلم إذا علمت أن أعمالك تكتب عليك وتحفظ في كتاب فيأيك
من محقرات الذنوب ومن كبائرهما، فإن الله تعالى يأمر ملائكته أن يضع كتاب
الفجار في ديوان في أسفل السافلين، وتتوارد على أصحابها الويلات واللعنات.
﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم
(مكتوب) ويل يومئذ للمكذبين﴾ / المطففين: ٧.

إنها دعوة تحذيرية تهيئية من مولانا لنحسن أعمالنا لنزيدها من الطاعات
والحسنات والخيرات، عسى أن نكون من أولئك الذين يشني الله عليهم وينشر
فضلهم ويعلو ذكرهم.

﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم
يشهده المقربون﴾ / المطففين: ٧.

إنه موقف عظيم ذلك اليوم الذي يحاسب الله فيه العباد حين يوضع كتاب
كل منا أمام عينيه وهو موقف عصيب على المجرمين.

﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه، ويقولون ياويلتنا مال
هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا
يظلم ربك أحدا﴾ / الكهف: ١٠.

وعندها لا سبيل إلى الإنكار ولا الاعتذار ولا للطنع في الكتبة لأتهم عدول
أخيار، فإذا حاول أحد المجرمين أن يكذب شهدت عليه أعضاؤه.

أيها السادة:

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى حبيب الله ومصطفاه ﷺ، ورسول الله الآن
يضحك مسروراً، فما الذي أضحكك يا رسول الله (م)، هكذا سأل: «هل تدرون

مم أضحك؟ قال الصحابة: الله ورسوله أعلم. قال ﷺ: من مخاطبة العبد ربّه، فيقول (العبد): يارب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى. فيقول (العبد): إني لا أجزى اليوم على نفسي شاهداً إلا مني، فيقول عز وجل: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً والكرام الكاتين عليك شهوداً. قال: فيختم على فيه (فمه) ويقال لأعضائه: انطقي. فتتطق بعمله، ثم يخلّي بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكُنَّ وسحقاً فعنك كنت أناضل (أدفع)».

وصدق الله العظيم:

﴿وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ /الإسراء: ١٤/.

فكلّ إنسان ألزمه مولانا عمله الصادر منه باختياره على حسب ما قدّر له خيراً كان أو شراً، كأنه طار إليه من وكر القدر وعالم الغيب، ليلزم عنقه ويرتبط به فلا ينفك عنه، وكأنه قلادة أو طوق للمسلم، وأما العمل الشائن فيكون له كالأغلال في عنقه:

﴿هذا كتاب ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ /الجنّة: ٢٩/.

كنا نأمر الكتبة أن تكتب أعمالكم عليكم، ملك للحسنات وملك للسيئات كل منهما رقيب عتيد.

أتعرفون - أيها الإخوة - أين يقعد الملائكة الكتبة؟

اختلف العلماء في هذه القضية فقليل: إنّ محلّهما على كتفيه، وقيل: على شفتيه وقيل: عنفقه.

وقال شيخ المفسرين من التابعين: إنه إن قعد كان أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، وإن مشى كان أحدهما أمامه والآخر ورائه، وإن رقد كان أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، ويمكن أن يجمع بين هذه الأقوال بأنهما لا يلزمان محلاً واحداً.

وتكون الكتابة بآلة حقيقية وقرطاس حقيقي ومداد يعلمها الله سبحانه وتعالى حملاً للنصوص على ظواهرها، لكن في بعض الأحاديث أن لسان العبد

قلمهما وريقه مدادهما.

يؤرخون ما يكتبون من أعمال العباد بالأيام والجمع والأعوام والأماكن، وملك الحسنات من ناحية اليمين، وملك السيئات من ناحية اليسار، وملك اليمين أمير أو أمين على ملك اليسار، فإذا فعل العبد حسنة بادر ملك اليمين إلى كتبها، وإذا فعل سيئة قال ملك اليسار لملك اليمين: أأكتب فيقول: لا، لعله يستغفر ويتوب، فإذا مضى ست ساعات من غير توبة قال له: اكتب أراحنا الله منه.

وعند الأصبهاني عن أنس عن النبي ﷺ قال: «إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله عز وجل حفظته ذنوبه وأنسى جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقي الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب».

وقد اختلف العلماء - أيها الإخوة - هل يكتب المملكان كل شيء من الكلام - أي حتى المباح - أي لا يكتبان فقط ما فيه ثواب أو عقاب، بل يكتبان ما لا ثواب فيه ولا عقاب عليه.

ولهذا ذهب الإمام مالك وجماعة أن المملكين يكتبان على الإنسان كل شيء حتى الأنين في المرض:

بكل عبد حافظون وكلوا
وكاتبون خيرة لن يهملوا
من أمره شيئاً فعل ولو ذهل
حتى الأنين في المرض كما نقل

ويطلع الله ملائكته الكرام على ما في قلب العبد، بدليل ما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى للملائكة: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها وإن تركها من أجلي (مخافة مني) فاكتبوها له حسنة، وإن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له عشر حسنات إلى سبعمئة ضعف».

فهذا الحديث يدل على أن الملائكة تطلع على ما في القلوب من الهمم والإرادات.

وقيل: إن الله جعل للملك علامة، فجعل للحسنة رائحة طيبة وللسيئة رائحة خبيثة.

وقد يخفي مولانا عن الملائكة نية المرائين بأعمالهم فيكتبون ما ظهر لهم من العمل دون ما أخفي عنهم من الرياء، لماذا؟ قال ليبطل به سبحانه عمل المرائين بعد كتابته، يفعل ذلك بهم فضيحة لهم وتشهيراً، وإليكم هذا المشهد الذي يصوره لنا سيدنا رسول الله ﷺ (طب- هب)، قال: «يؤمر يوم القيامة بناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها، واستنشقوا ريحها، ونظروا إلى قصورها وما أعد الله لأهلها فيها، نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أربتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا، قال: ذاك أردت بكم يا أشقياء. كنتم إذا خلوتهم بارزتموني بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين، تراؤون الناس بخلاف ما تعطونني من قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي، اليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتهم من الثواب».

أيها السادة:

وجعل الله لكل مسلم ملكاً يدلّه أو يلهمه رشده.

وهل ملك الحسنات أو السيئات نفسه هو الذي يدلّه على الخير، كما يُلم الشيطان بآدم يعده بالشر ويوسوس له؟ هذا السؤال أسأله لأن نبينا ﷺ (ت حسن- ن- حب) يقول:

«إن للشيطان لمةً بآدم وللملك لمةً، فأما لمة الشيطان فيإعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فيإعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان، ثم قرأ ﴿الشيطان يعدكم الفقر، ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾».

ولعل للمسلم ملكاً خاصاً غير الملكين الكاتبين يأمره بالخير ويدلّه عليه، ولهذا اسمع إلى حبيبنا وسيدنا رسول الله ﷺ يقول لنا (م- أحمد):

«ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة. قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله تعالى أعاني عليه فأسلم فلا يأتييني إلا بخير».

وهذه الرواية (فأسلم) يعني صار قرينه مسلماً مؤمناً وهذا من فضل الله على نبيه ﷺ لأن قلبه عليه الصلاة والسلام صافي نقي أبيض مستنير بنور الله تعالى، ولهذا تأتيه الواردات الرحمانية.

فنحن أمام واردات أربعة:

وارد رحمني: يرد على القلوب السليمة الصافية.

وارد ملكي: ويسمى إلهاماً: يبعث على فعل الخير والصلاح.

وارد نفساني: ويسمى هاجساً: خاص بما هو في نفس الإنسان.

وارد شيطاني: ويسمى وسواساً: يدعو إلى فعل الشر ومخالفة الحق.

ونستطيع أن نفرق بينها بميزان الشرع المطهر فما وافق الشرع فهو رحمني وملكلي، وما خالف الشرع فهو نفساني وشيطاني، وهذا بحسب القلوب: طاهرة منيرة أو مظلمة سوداء.

أيها الإخوة الكرام:

إن نبينا ﷺ ضرب لنا مثلاً فاستمعوا له ووجهوا تحيتكم للحبيب الأعظم ﷺ يقول (ت- ن: حسن صحيح): ضرب الله مثلاً: صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول:

- يا أيها الناس ادخلوا الصراط ولا تعوجوا - لا تنحرفوا -.

وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجّ - تدخله -.

واسمعوا إلى النتيجة الإيمانية التي يريد بها رسول الله ﷺ من هذا المثل قال ﷺ:

«فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة

محارم الله تعالى، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم».

إخوة الإيمان:

بعد أن علمنا هذه القضايا الإيمانية الخاصة بالملائكة الكتبة وأنهم لا يغفل عنهم شيء مما نفعله أو نفكر به أو نقوله، فلماذا المعصية؟ لماذا تركنا الفرائض، والحلال، ولحقنا شهواتنا؟ هذا السؤال جوابه عند كل واحد منكم، وتذكروا معي في نهاية وقتنا اليوم أنّ مولانا قال: ﴿كَلَّا بَلْ تَكْذِبُونَ بِالْدِينِ، وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ. كَرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ /الانفطار: ١١/.

والسؤال الأخير هو:

إذا مات العبد أين يذهب ملكاه، هذا سؤال مهم، إذا كان الملكان لا يتغيران على العبد مادام حياً، فإذا مات أين يذهبان؟

إنّ العبد إذا كان مسلماً مؤمناً يقوم الملكان على قبره يسبحان ويهللان ويكبران ويكتبان ثوابه إلى يوم القيامة في صحيفته، وإن كان كافراً يقومان على قبره يلعنانه إلى يوم القيامة، فعن أنس عنه رضي الله عنه (هب): «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَكَلَّ بَعْدَهُ الْمُؤْمِنَ مُلَكَيْنِ يَكْتُبَانِ عَمَلَهُ، فَإِذَا مَاتَ قَالَ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ وَكَلَّا بِهِ: قَدْ مَاتَ فَأَذِنَ لَنَا أَنْ نَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: سَمَائِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ مَلَائِكَتِي يَسْبِحُونَنِي، فَيَقُولَانِ نَقِيمٌ فِي الْأَرْضِ، فَيَقُولُ سَبِّحَانَهُ: أَرْضِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ خَلْقِي يَسْبِحُونَنِي فَيَقُولَانِ: فَأَيْنَ نَقِيمٌ؟ فَيَقُولُ: قَوْمًا عَلَى قَبْرِ عَبْدِي فَسَبِّحَانِي وَاحْمَدَانِي وَكَبَّرَانِي وَاكْتُبَا ذَلِكَ لِعَبْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد اللَّهَ تَعَالَى

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

أولياء الملائكة

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت المجازي لها بما عملت، المحصي عليها ما قدّمت وأخّرت.

أحمده سبحانه وتعالى على نعم توالى علينا واتسعت.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من النار يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جاهد في الله حق جهاده حتى علت كلمة التوحيد وارتفعت.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكننا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فياحمداً الإسلام وحراس العقيدة:

مازلت معكم في أصل من أصول الدين الواجب على كل مكلف أن يؤمن به ويصدق بوجوده ألا وهو الإيمان بالملائكة الكرام، عباد الله المكرمين، خلقهم لطاعته وشغلهم بعبادته، فالاعتقاد بهم وبأوصافهم ووظائفهم من علامات المؤمنين، وسوء الاعتقاد بهم من ضلالات الكافرين لأن ﴿من يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾ / النساء: ١٣٦.

أيها الإخوة الكرام:

إننا مع الدرس الواحد والتسعين من دروس القضايا الإيمانية من جامع

الدرويشية ومع بداية هذا الدرس أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به درسنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة السجدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ. نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ /السجدة/.

أيها السادة:

يخبرنا مولانا عن أهل الإيمان والاستقامة أنهم تتنزل عليهم الملائكة حين ينتقلون إلى عالم البرزخ بعد الموت فيقول لهم: لا تخافوا مما سيأتي عليكم في العوالم: عالم البرزخ، وعالم الحشر، وعالم الجنة، ولا تحزنوا على ما مضى منكم في الدنيا، فأنتم في أمان الله تعالى، يقولون لهم: نحن أولياؤكم أي أحبابكم وأنصاركم ونصحاؤكم في الحياة الدنيا، كنا ننصركم على عدوكم الشيطاني فندلكم على الخير، ونلّم بكم فنلهمكم الخير حين كان الشيطان يزين لكم الشر. ونحن الذين كنا ننصركم على عدوكم الإنساني الكافر حين كنتم تقاتلونه قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ /الأنفال: ١٢/. نحن أحبابكم الذين كنا نحضر معكم في مجالس عباداتكم وصلواتكم وأذكاركم، وهكذا سنكون معكم في الآخرة.

أيها الإخوة:

تعالوا بنا اليوم نستعرض معاً أحوال الملائكة معنا، عسانا نستحيي منها ونجتنب ما تتأذى منه الملائكة، فقد وردت الآيات والأحاديث أن الملائكة لا تفارق

بني آدم منذ خروجه من بيته إلى محله أو مكتبه وإلى عودته وإلى بيته وإلى حضور مجالسه، فنحن اليوم قد خرجنا من بيوتنا لنحضر الجمعة، أتدرون ماذا تفعل الملائكة في هذا اليوم؟ إن رب العزة يرسلها على أبواب المساجد ليكتبوا الداخلين إليها كلٌّ على قدر مجيئهم إلى الجمعة، واسمع معي إلى سيدنا رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجر (المبكر) كمثّل الذي يهدي بدنةً، ثم كالذي يهدي بقرةً ثم كبشاً ثم دجاجة ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم يستمعون الذكر» (ق).

وأما أولئك الذين يداومون على حضور جمعتنا هذه ويجلسون في أمكنتهم التي اعتادوا الجلوس فيها فإن الملائكة إذا غابوا عنها تسأل عنهم وتتفقدهم، اسمعوا إلى حبيب الله ﷺ يقول ﷺ: «إن للمساجد أوتاداً الملائكة جلساؤهم، إن غابوا يفتقدوهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانوهم» (أحمد).

فإذا صلينا معاً أو فرادى على الحبيب الأعظم ﷺ التقطت الملائكة هذه الصلاة لتوصلها إلى السيد الأعظم في المدينة المنورة يقول ﷺ (أحمد - ن - حب): «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام» ويقول أيضاً: «حيثما كنتم فصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني» (طب).

وفي رواية البزار قال ﷺ: «ان لله تبارك وتعالى ملكاً أعطاه الله تعالى أسماع الخلائق، فهو قائم على قبري إذا مت، فليس أحد يصلي عليّ إلا قال: يا محمد صلّ عليك فلان ابن فلان، فيصلي الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكلّ واحدة عشراً». أعظم بها شرفاً وفضلاً أن يذكر اسمك بين يدي سيدنا رسول الله ﷺ، ويفرح بذلك سيدنا رسول الله ﷺ.

وحينما نذكر الله تعالى فإن الله يذكرنا وتنزل علينا رحماته وتدعو لنا الملائكة، وتستغفر، اسمعوا إلى مولانا عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ / الأحزاب: ٤٣.

هو الذي يصلي عليكم: هو الذي يرحمكم ويتعطف عليكم، هذا هو معنى الصلاة من الله تعالى، فما هي الآثار التي تترتب على ذلك؟ اسمعوه يقول لنا: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الذنوب والشبهات والشهوات إلى نور الطاعة والهداية والعبادات.

فالملائكة معنا - أيها الإخوة - أينما كنا، واسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى مجلس كهذا المجلس ليحدثنا الحبيب الأعظم عن صورته الحقيقية التي تغيب عن حس كل منا. يقول ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ (مجالس الذكر)، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم: من أين جئتم فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض، فيقول سبحانه ما يقول عبادي. قال فيقولون: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك. قال: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، قال فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسييحاً، فيقول مولانا: فما يسألوني؟ فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يارب ما رأوها. فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ فيقولون: من

النار. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله! يارب ما رأوها. فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة. فيقول: فأشهدكم أنني غفرت لهم. قال فيقول ملك من الملائكة: إن فيهم فلاناً الخطاء لم يُردهم، إنما جاء لحاجة - أي لا يقصد الذكر معهم - فيقول سبحانه: وله قد غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

أيها السادة:

فإذا كان مجيئكم أيضاً بنية طلب العلم فإن الملائكة تتزاحم علينا من شدة محبتهم لما نطلب، نطق بهذا السيد الأعظم ﷺ فقد جاءه رجل وهو متكئ على يرد له أحمر فقال: «يا رسول الله! إني جئت أطلب العلم فقال: مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب».

ولهذا أنت مأثور من لدن القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ أن تتجنب ما تتأذى منه الملائكة، فكما أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تمثال أو كلب أو جنب أو جرس، وكما أن الملائكة لا تقرب السكران ولا الحائض ولا العبد الكذاب ولا الرجل المتضمخ بالخلوق الذي له لون فكذلك تتأذى الملائكة ممن يأتي إلى المسجد وقد أكل البصل والثوم، ولهذا يقول ﷺ: «من أكل البصل والثوم والكراث، وفي رواية: من هذه الشجرة الخبيثة، فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم» (م).

فإذا أقيمت الصلاة ووقفنا بين يدي الله ﷻ لأداء العبادة والصلاة حقّت بنا الملائكة حتى تصل إلى عنان السماء، ففي الحديث المرسل عنه ﷺ: «للمصلي ثلاث خصال: يتناثر البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه، وتحفّ به الملائكة

من لدن قدميه إلى عنان السماء، وينادينه منادٍ: لو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل».

فإذا قلنا آمين بعد قراءة الفاتحة خلف الإمام أمنت على تأميننا الملائكة، ولهذا يقول ﷺ (ق):

«إذا قال الإمام: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فقولوا: آمين. فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه.

وإذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

وأما أولئك الذين يصلون في الصفوف الأولى فإن الملائكة تعني بهم وتزداد استغفاراً لهم ودعاءً، بهذا نطق الصادق المصدوق ﷺ (أحمد) يقول: «إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول» فإذا انقضت صلاتنا وجلسنا قليلاً بعد صلاتنا في مكاننا لم تزل الملائكة تصلي علينا وتدعو لنا: (اللهم اغفر له اللهم ارحمه)» (أحمد).

فإذا حملنا الكلمة الطيبة التي سمعناها إلى أهلنا في بيوتنا فقد أعلمنا نبينا ﷺ بثواب عظيم كما هو عند الترمذي أنه ﷺ قال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال ﷺ إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلّم الناس الخير».

فإذا خرج الواحد منا بعد الصلاة ليعود صديقاً مريضاً لا يعود إلا لله شهدت معه ملائكة الله تعالى هذه الزيارة فهاهو جدي سيدنا علي ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يعود مسلماً غدوةً إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عادته عشيةً إلا صلى عليه سبعون ألف

ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة.

فإذا خرجت من عنده ودعوت له في ظهر الغيب أن يشفيه اللَّهُ تعالى ويعافيه قال لك الموكل به آمين، ولك بمثله (أي بمثل ما دعوت لأخيك)» (م). وتبشره الملائكة حين يزور العبد أخاه في اللَّهُ، لأن نبينا ﷺ «أخبرنا عن رجل زار أخاً له في قرية أخرى فأرسل اللَّهُ على طريقه ملكاً فسأله: إلى أين؟ قال: أريد أخاً في هذه القرية. فقال له: هل لك عليه من نعمة تربّها (تقوم بها) فقال: لا، غير أنني أحبه في اللَّهُ. فقال الملك: فإني رسول اللَّهُ إليك إن اللَّهُ قد أحبك كما أحبته فيه».

إخوة الإيمان:

هذه عناية اللَّهُ بعبد المسلم، ولو بقينا على ما نحن عليه في هذا المسجد ونحن في بيوتاتنا، لو بقيت قلوبنا طاهرة نقية ونفوسنا راضية مطمئنة أتدرون ماذا يكون؟ لصافحتنا ملائكة اللَّهُ في الطرقات، «لأن الصحابي حنظلة دخل على رسول اللَّهُ ﷺ هو والصدیق فقال: يارسول اللَّهُ نافق حنظلة. فقال رسول اللَّهُ ﷺ: وما ذاك؟ قلت: يارسول اللَّهُ نكون عندك تذكركم بالنار والجنة كأننا رأينا عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً فقال ﷺ: والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة فساعة» (م).

وهكذا - معشر السادة - رأينا تفسير قوله تعالى نقلاً عن قول الملائكة للبعد عند موته «نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة». هذا فعل الملائكة في الدنيا، فكيف يكون فعلهم في الآخرة؟.

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم
من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد
الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

منكر ونكير

وخزنة الجنة والنار

الحمد لله المبدئ المعيد الغني الحميد، ذي العفو الواسع والعقاب الشديد، من هداه فهو السعيد السديد، ومن أضله فهو الطريد البعيد، ومن أرشده إلى سبيل النجاة ووفقه فهو الرشيد كل الرشيد.

قسم الخلق قسمين، وجعلهم فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير ﴿إِنْ رِبِّكَ فَاعَالٍ لِّمَا يَرِيدُ﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش المجيد.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف من أظلت السماء وأقلت البید.

اللهم صلّ وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فياحمادة الإسلام وحراس العقيدة:

كنت قد علّقت معكم سؤالاً في الجمعة الماضية عن أولياء الملائكة الكرام للعبد المؤمن وبقائها معه في سفره الطويل إلى الله تعالى في عالم البرزخ وعرصات يوم القيامة وأهوالها.

وقلت لكم إن الملائكة تبشره وقت الاحتضار والنزع الأخير بما أعد الله له من خير عميم وتطمئنه بالألا يخاف على ما سيقدم عليه من حياة برزخية وأهوال القبر.

أيها الإخوة أجيّب اليوم بعونه تعالى عن هذه المواقف مع الحلقة الثانية والتسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة لكتاب مولانا عز وجل على موجات سورة (الأنعام): أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ / الأنعام: ٦١ / وعلى موجات سورة أخرى: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾ / السجدة /.

أيها الإخوة الكرام:

إننا اليوم مع قضيتين إيمانيتين هامتين علينا أن نستعد لهما كلّ الاستعداد بالأعمال الصالحة والأخلاق العالية، فإن الخطب شديد والهول عظيم، إذ أن حياة العبد قد توقفت ساعاتها وانتهت دقائقها وما هو إلا أن يقدم على عمله إن كان صالحاً قبضته ملائكة الرحمة وإن كان كافراً قبضته ملائكة العذاب، وكلا هاتين الطائفتين من الملائكة تأتمران بأمر ملك الموت، وإليكم القضية الأولى التي صرحت الآيات القرآنية الكريمة بها فعلى موجات سورة / الأنفال: ٥٠ /:

﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق، ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾.

أسمعتم مثل هذا الوصف الرهيب عند أول قدوم الكافر على الله تعالى؟ إن ملائكة العذاب تنزع أرواح الكفار بعنف وشدة وضرب على الوجوه والأدبار تماماً كما وصف مولانا فقال ﴿والنازعات غرقا﴾ / النازعات /.

وأما المؤمنون فإن ملائكة الرحمة تنشط أرواحهم نشطاً ييسر وسهولة كما قال

مولانا ﴿والناشطات نشطا﴾ /النازعات/ بل تتلقاهم بالترحيب والبشارة والسلام
اسمع إلى مولانا عز وجل يقرر هذه القضية الإيمانية على موجات سورة /النحل:
٣٢/:

﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما
كنتم تعملون﴾.

فنحن إذاً أمام صنفين من أصناف الناس، صنف المؤمنون وصنف الكافرين،
ولكي أوضح هذه الفكرة وارتباطها بأولياء الملائكة الكرام، اسمحوا لي أن أنتقل بكم
إلى هناك، إلى المدينة المنورة حيث القائد الأعلى للأمة الإسلامية سيدنا محمد ﷺ،
فإنه الآن يخرج مع صحابته في تشييع جنازة رجل من الأنصار، هاهو الأنصاري
يدفن فيجلس رسول الله ﷺ ويجلس حوله صحابته الكرام كأنّ على رؤوسهم الطير،
وهم سكوت وراح رسول الله ﷺ ينكت بعود الأرض، ثم رفع رأسه وقال لمن حوله:
«إنّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه
ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من أكفان
الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك
الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها الروح الطيبة اخرجي إلى مغفرة من
الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فم السقاء - بسهولة
ويسر - فيأخذها ملك الموت فإذا أخذها لم يتركوها - أولياء الملائكة - لم
يتركوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك
الحنوط وعندها (عند خروج روحه) تخرج رائحة أطيّب من رائحة المسك،
فيصعدون بها فلا يمرون بها على مألّ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح
الطيبة فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا
حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له، فيشيّعه من كلّ سماء

مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.

ثم قال ﷺ: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الآخرة وإقبال من الدنيا نزل إليه الملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح (الجلود) فجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتغرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود (الحديدة التي يشوى بها اللحم، سيخ اللحم المشوية) وهذا السفود كثير الشعب له أطراف عدة فينتزع روحه (كما ينتزع أحدنا السيخ من الصوف المبلول) فيأخذها، فإذا أخذها ملك الموت لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح (الجلود أو اللباس الخشن الغليظ) وعندها تخرج منه ريح جيفة كأنتن ما وجدت رائحة على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هي هذه الروح الخبيثة فيقولون: ريح فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ / الأعراف: ٤٠ / فيقول الله تعالى: «اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى» فتطرح روحه طرْحاً ثم قرأ ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ / الحج: ٣١.

إخوة الإيمان:

ما زلنا في قضيتنا، والشاهد من الحديث قوله «نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس» هذا عند الاحتضار تحضره أوليائه من الملائكة، فإذا مات وأدرج في أكفان القبر، نفعه إيمانه وعمله الصالح فإذا سئل عن أصول العقيدة أجاب مباشرة فعند (ق) أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ فذلك قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ /ابراهيم: ٢٧/.

ولذلك تروي لنا السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول: يارسول الله ﷺ تبلى هذه الأمة في قبورها فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة فقال ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ /ابراهيم: ٢٧/.

وكان عليه الصلاة والسلام إذا دفن أحد أصحابه وقف على القبر فقال «استغفروا لأخيكم ثم سلوا له بالتثبيت فإنه الآن يسأل».

والذي يسأله ملكان اسمهما منكر ونكير.

فما هو هذا السؤال؟ أدع الاجابة لسيدي رسول الله ﷺ يقول: «إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان: ماذا كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول هو عبد الله ﷺ ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله ﷻ وأن محمداً عبده ورسوله.

فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول، هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور فيه ثم يقال له نم فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم. فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله ﷻ

من مضجعه ذلك.

وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله، لا أدري (أي أنه نبي أم لا) فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض: التلمي - اجتماعي وانضمي - فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه أي تتفرق وتزول عن مستواها الذي كان عليه فلا يزال معذباً حتى يبعثه تعالى من مضجعه ذلك».

أيها الإخوة الكرام:

هذه الفتنة في القبر ينجو منها المؤمن لأن أولياء الملائكة تشهده وتؤيده، وتلقاه بالترحاب عندما يخرج من قبره تستقبله لتشهد به يوم الحول الأكبر لتوصله إلى خزنة الجنة، فعلى كل باب من أبواب الجنة خزنة وكلهم الله تعالى في استقبال المؤمنين، ورئيس هؤلاء الملائكة سيدنا رضوان من الملائكة المقربين، لا يفتح أبواب الجنة لأحد قبل سيدنا محمد ﷺ ففي الحديث أنه قال: «آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الملك: من؟ فأقول: محمد فيقول الملك: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك».

فإذا دخل المؤمن الجنة أقبلت عليه وفود الملائكة الكرام يحونه ويشنون عليه اسمع إلى مولانا عز وجل:

﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ /الرعد: ٢٣/.

وأما أولئك الكفار فمآلهم فظيع ونهايتهم مخزية، يساقون إلى جهنم زمراً زمراً، أصنافاً أصنافاً حسب نوعية كفرهم ونسبة ضلالهم، فهم يفاжؤون حين وصولهم بأبواب جهنم قد فتحت، وراحت زبانية جهنم وملائكة العذاب تتخطفهم، لأنهم كفروا وأعرضوا وكذبوا بالحق، واتبعوا أهواءهم الباطلة، اسمع معي إلى مولانا وهو

يقول: ﴿وما أدراك ما سقر، لا تبقى ولا تذر، لواحة للبشر، عليها تسعة عشر، وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ /المدثر/ وليس هذا العدد فقط /١٩/ بل هناك أعداد من الملائكة الموكلين على جهنم لا يعلم عددهم إلا الله، لأن الصادق المصدوق حدثنا بمشهد رهيب يحدث يوم القيامة يقول: «يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

فإذا دخلوها يتمنون الموت فيها من شدة عذابها، فينادون رئيس خزنة النار واسمه مالك يقولون له: ﴿ونادوا يامالك ليقتض علينا ربك قال إنكم ماكنون﴾ /الزخرف: ٧٧/ ويكفي النظر لوجه سيدنا مالك حتى يغشى على أهل النار، فقد وصفه رسول الله ﷺ في البخاري فقال: «فانطلقنا فأتينا على رجل كربه المرأة كأكره ما أنت راء».

وأما خزنة النار فإليكم أوصافهم على موجات القرآن الكريم: ﴿يأياها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ /التحريم: ٦/ خلقهم مولانا للعذاب، وسماهم في كتابه بالزبانية من الزين: وهو الدفع بشدة (كما قاله الكسائي) من شدة البطش.

أيها السادة:

ما زلنا هناك عند الحبيب الأعظم، ولكن في مكة، وأرى الحبيب الأعظم يصلي عند مقام إبراهيم فيمر به أبو جهل فيقول له: يا محمد ألم أنهك عن هذا؟ (عن أن تصلي هذه الصلاة) وراح يتوعده، وهنا أغلظ رسول الله ﷺ له القول وانتهره، فقال أبو جهل: يا محمد بأي شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً (جمعاً ومالاً وقوة) فأنزل الله تعالى ﴿فليدع ناديه سندع الزبانية﴾ /العلق: ١٨/.

وهنا قرر أبو جهل أمراً مع أنذال الكفر سألهم: هل يعقر محمد وجهه بين أظهركم (هل يسجد على الأرض) قالوا: نعم. فحلف باللات والعزى لئن رآه يفعل ذلك ليطآن على رقبته وليعقرن وجهه في التراب.

وإذا به يأتيه ليفعل ما حلف عليه، وكان رسول الله ﷺ يصلي فأقبل أبو جهل لينفذ ما توعد به، ففوجئ أصحابه وهو يرجع القهقري إلى الوراء ويضع يديه على وجهه من شدة الخوف الذي أصابه، فقيل له: مالك؟ فقال كبير الأنذال أبو جهل: إن بيني وبين محمد خندقاً من نار وهولاً وأجنحة، وهنا قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً».

أيها الإخوة:

وهكذا يفعل الله ﷻ بالجبابرة المتعاليين، هكذا سيفعل بأمريكا واليهود سوف تختطفهم الملائكة عضواً عضواً إن هم حاولوا أن يمسخوا الإسلام والمسلمين بسوء إنها دعوة لتكون مع الله ﷻ، فمن كان مع الله ﷻ كان معنا هنا وما أدراك ما هنا.

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله ﷻ

لا إله إلا الله ﷻ سيدنا محمد رسول الله ﷻ

عصمة الملائكة

وعالم الجن

الحمد لله الذي أعظم على عباده المنّة، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنّه، وردّ أمله وخيب ظنّه. إذ جعل الشريعة حصناً لأوليائه وجنّة، وفتح لهم أبواب الجنة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عرّف عباده أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة، وأن بقمعها تصبح النفس مطمئنة.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله قائد الأمة ومهد السنة.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكن المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد فياحمّة الإسلام وحراس العقيدة:

أقف اليوم بينكم في خاتمة الحديث عن ملف الإيمان بالملائكة الكرام، بعد أن بقينا طيلة حلقات ثمانية ونحن نتناول القضايا الإيمانية الخاصة بهم، وقضيتنا اليوم تتضمن الحديث عن قضيتين فرعيتين:

الأولى: قضية عصمة الملائكة الكرام.

والقضية الثانية: قضية عالم الجن باعتبارها القضية المتممة للإيمان بعالم الغيب.

إننا باختصار مع الحلقة الثالثة والتسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة البقرة ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولاً إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُر فیتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وما هم بضارین به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لَمَنِ اشترَاه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴿البقرة﴾.

أيها السادة:

نحن في أولى القضايا: وهي قضية عصمة الملائكة، لأن من الواجب اعتقاده أن ملائكة الله معصومون عن الذنوب والمعاصي بعصمة الله لهم وحفظه إياهم وقد بثّ مولانا في كتابه أدلة عصمة الملائكة أنهم: ﴿لَا يَعصُونَ الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾.

هذه شهادة رب العالمين فيهم، إنّ جميع حركاتهم وسكناتهم مرتبطة بأمره تعالى، فهم لا يقعون في ذنب أو معصية، وفي آية أخرى نعى الله تعالى على القائلين عن الملائكة أنهم أولاد الله أو بناته، فقال جل جلاله ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ /الأنبياء: ٢٧/ إنهم لا يعملون عملاً إلا بأمر الله تعالى لهم وإذنه، لا يتحركون ولا يتفوهون بكلمة إلا بأمر إلهي، فما هو حالهم يقول عز وجل ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ /الأنبياء: ٢٠/ قوئهم التسبيح، فالتسبيح عندهم كالشهيق والزفير بالنسبة لنا، فمن كان كذلك لا يصدر عنه ذنب ولا تقع منه معصية، وهم في مقام الخشية والخافة من الله تعالى، وهذه القضية صرحت بها الآيات القرآنية

فقال عز وجل: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ / النمل: ٥٠ /
فهو القاهر فوقهم المستعلي بقهره إياهم وغلبته عليهم وهم دونه.

ولما كان الملائكة بهذه الصفة اصطفاهم الله تعالى كما اصطفى خلاصة
العالمين اسمع إلى مولانا يقول: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾
/الحج: ٧٥/.

وهنا وقف أحد تلامذتي الأذكياء فقال: سيدي، فماذا يقول علماء العقيدة
في قول الملائكة لمولانا ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك﴾ أليس هذا اعتراضاً منهم.
فقلت له:

قد أجاب العلماء عن هذه الآية بأن الملائكة معصومون عن فعل هذا
الاعتراض، وأن الملائكة بسؤالهم ذاك استفسروا وسألوا عما خفي عليهم من
الحكمة، كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره، فهذا السؤال ليس اعتراضاً ولا
طعناً في بني آدم على وجه الغيبة، فإنهم أعلى من أن نظن بهم ذلك، ولولا أن الله
أذن لهم بذلك لما قالوا هذا القول، وبهذا يزول الإشكال في هذه الآية.

ولكن قضية أخرى تعترضنا في عصمة الملائكة ألا وهي قصة هاروت
وماروت، هذه القصة التي لعب اليهود فيها لعبتهم الشنيعة في تحريفها والحق أنه لا
يوجد في هذه المسألة ما يطعن بالملائكة ويخل بعصمتهم، واسمحوا لي أن أستعرض
معكم هذه القضية كما يجب اعتقادها:

أيها الإخوة:

كان الشياطين قبل بعثة نبينا ﷺ يسترقون السمع من السماء ثم يضمون إلى
ما سمعوه أكاذيب يلقونها ويلقونها إلى الكهنة من الإنس وجعلت الكهنة يدونونها

في كتب ويقرؤونها ويعلمونها الناس، وفشا ذلك في عهد سليمان حتى صاروا يقولون: إن الجن يعلمون الغيب، وإن هذا العلم هو علم سليمان، وإنه ما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم، وبه سُخرت له الجن والإنس والطير، فأنزل مولانا من السماء ملكين هما هاروت وماروت لتعليم الناس السحر ابتلاءً من الله تعالى للناس، وللتمييز بين السحر وبين المعجزة وظهور الفرق بين كلام الأنبياء وبين كلام السحرة.

والقارئ للقرآن يجد أن سياق الآيات الكريمة تبين أن مولانا يقول: إن فريقاً من اليهود نبذوا كتاب الله تعالى وهو التوراة، واتبعوا ما تتلوا الشياطين من كتب السحر التي كانت تقرؤها الكهنة على عهد سليمان وزمانه، والله يقول: ﴿وما كفر سليمان﴾ إنه يكذب الشياطين حين اتهموا سيدنا سليمان من اعتقاده السحر واعتناقه إياه وعلمه كما أشيع عنه من قبل الكهنة، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر إغواءً وإضلالاً.

فاليهود اتبعوا ما تتلوا الشياطين من السحر، واتبعوا ما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت أنزل عليهما السحر ابتلاءً من الله تعالى للناس وليفرقوا بين السحر والمعجزة. ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولاً إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ أي أنهما لا يعلمون أحداً حتى ينصحاه ويقولوا له: إنما نحن ابتلاءً من الله تعالى ومحنة واختبار فلا تكفر وتعمل بالسحر.

وكأنهما يقولان من تعلم السحر وعمل به كفر، ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الإيمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به، اسمع إلى مولانا يقول: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾. أي أن الله يخلق عند السحر الثمرة والخلاف بين الزوجين ابتلاءً منه سبحانه، ولهذا قال: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾ لأن السحر وغيره من الأسباب لا تؤثر بالذات بل بأمر الله

ومشيئته.

وهذه الآية دليل على أن للسحر حقيقة، وأن له تأثيراً كما عليه أهل السنة ولكن بإذن الله ومشيئته وخلقته، ولأجل ذلك أمرنا مولانا بالتعوذ من شر النفوس الساحرة النفاثات في العقد ﴿قل أعوذ برب الفلق. من شر ما خلق. ومن شر غاسق إذا وقب. ومن شر النفاثات في العقد. ومن شر حاسد إذا حسد﴾ /الفلق/.

وكان ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فأخذ بهما وترك ما سواهما.

وهناك صلة وثيقة بين الجن والسحر، الجن عالم خفي حقيقي الوجود ثابت ذكره مولانا في آيات عديدة، اسمعوا إلى قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ /الحجر: ٢٦/.

من نار يعني هم أرواح قائمة في أجسام لطيفة نارية قادرة على التشكل بصور مختلفة، يأكلون ويشربون، منهم الذكور والإناث، ويتناكحون ويتناسلون، ويموتون طائفة بعد طائفة.

ومن خصائصهم التي خصهم الله بها: قوله تعالى عنهم ﴿إنه يراكم هو وقييله من حيث لا ترونهم﴾.

لكن قد يتصور الشيطان ببعض الصور فتمكن رؤيته، كما أنهم أصناف منهم الغفاريات الأشداء الأقوياء الذين سخرهم مولانا لسيدنا سليمان يقول عز وجل: ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير﴾ /سبأ: ١٢/.

أيها الإخوة:

إننا في القضية الثانية (عالم الجن) هذا العالم مكلف مثل الإنس بالشرائع الربانية يقول عز وجل ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلٌ مِنْكُمْ يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيَنْذَرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ / الأنعام: ١٣٠ / وهم يثابون ويعاقبون على أفعالهم، وقد أرسل إليهم نبينا ﷺ كما أرسل إلينا، فكان منهم الصالحون وغيرهم، والمسلمون والكافرون، ومنهم اليهودي والنصراني والمجوسي. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ / الأعراف: ١٣٠ /، فالمسلمون منهم يقال لهم: الجن المسلمون وصلحائهم يقال لهم: صلحاء الجن.

والكفار منهم يسمون شياطين الجن، وأول شيطان منهم هو إبليس قال عنه مولانا ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ / الكهف: ٥٠ / والشيطان ذئب ابن آدم كما أن الذئب ذئب الغنم قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ / فاطر: ٦ / . ويقول ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَجْرِيَ مِنْ بَنِي آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ».

ولهذا الإسلام جعل لنا أسلحة دفاعية ضد هذه العداوة فشرع لنا المعوذات وقراءة آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة، وسورة البقرة، فعند الترمذي قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفِي عَامٍ، أَنْزَلَ مِنْهُ آيَاتِينَ خَتَمَ بِهَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، لَا يَقْرَأُ بِهِنَّ فِي دَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرِبُهَا شَيْطَانٌ» وفي رواية (ق) «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفْتَاهُ» والبقرة خاصة تمنع السحر فعند مسلم أن النبي ﷺ قال: «اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنْ أَخَذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ (السحرة)».

هذه أسلحة دفاعية لا تهزم، وهناك أسلحة وقائية ضد الأبالسة والشياطين الجن منها الاستعاذة بالله منهم قال تعالى ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ /السجدة/. فإذا رأى العبد رؤيا منامية يكرهها فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره (ق).

وإذا دخل بيت الخلاء فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث (د- هـ- ق) أي ذكران الجن وإناتهم.

وكذا التسمية على الطعام وعند دخول الرجل بيته وخروجه منه فعند (م): «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء، ومن قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله فيقال له: حسبك هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان».

وإليكم هذا الحديث المروي في الصحيحين عمن تحبون أن تصلوا عليه ﷺ يقول: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإنه إن قضى بينهما ولد من ذلك، لم يضره الشيطان أبداً».

أيها الإخوة:

هذه هي الأدوية النبوية والطب النبوي، وما أعظم الطبيب إذا كان سيدنا محمداً، وما أعظم الدواء إذا كان من يد سيدنا محمد ﷺ.

فما هي الكتب التي نزلت على الأنبياء الكرام؟

وما هو ركن الإيمان بالكتب السماوية وعلى من نزلت وما عددها؟

أعلق هذه الأسئلة إلى الحلقة القادمة إن شاء الله، وأعود بكم من هناك إلى

هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

تأثير السحر

وصلته بالجن

الحمد لله الذي افتتح بحمده الكتاب. والحمد لله الذي يُنال بحمده الثواب. حمده سبحانه وتعالى على ما منح فهو المنعم الوهاب، ونستغفره ونتوب إليه فإنه غافر الذنب وقابلُ التوب شديدُ العقاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عليه توكلت وإليه متاب شهادة شهد الله بها لنفسه في محكم الكتاب: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، شهادة أرغم بها أنف كل جاحد مرتاب.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله جاء بالحق وفصل الخطاب، نبي شق له القمر، وردت له الشمس وقد كادت تتوارى بالحجاب.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله ما أفل شهاب وطلع شهاب وسلم تسليماً.

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

كنت قد وقفت معكم قبل سفري إلى حج بيت الله الحرام في العام الهجري الماضي وقفة قصيرة حول عالم الجن وصلته بالسحر، ولكن هذه العجالة في الحديث عن السحر وصلته بالجن لم تكن مشبعة، فأحببت بناءً على رغبتكم قبل أن أدخل إلى باب الركن الإيماني الرابع أن أقف وقفة عند هذه القضية الإيمانية. ذلك لأن مواقف الناس من السحر انقسمت ما بين افراط وتفريط فريق قابل السحر بالاستنكار مستبعداً أن يكون له أدنى تأثير ومعتبراً ذلك من قبيل الخرافة والشعوذة. وفريق بالغ في ذلك فجعل للسحر تأثيراً كبيراً على النفوس، وسبيلاً لحل كثير

من المشكلات، فأين الحقيقة في ذلك؟.

أيها الإخوة:

نحن اليوم نضع قضية السحر في إطارها الشرعي بعيداً عن المغالاة في تأثير السحر.

إننا مع الحلقة الرابعة والتسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا عالياً شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

إخوة الإيمان:

قبل أن أدخل إلى هذه القضية أريد أن أطرح سؤالاً وأستعين بمولانا عز وجل في الإجابة عنه: ما هو السحر؟.

السحر في اللغة صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره تقول: ما سحرك عن كذا: أي ما صرفك، وبهذا نزل القرآن الكريم قال تعالى: ﴿فَأَنى تُسْحَرُونَ﴾ /المؤمنون: ٨٩/ أي تصرفون.

وللسحر تعريفات كثيرة من حيث التعريف الاصطلاحي.

عرفه الحنفية والمالكية بأنه: علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة لأسباب خفية.

وقال الشافعية: إنه مزاولة النفوس الخبيثة لأقوال وأفعال ينشأ عنها أمور خارقة للعادة.

وقال الحنابلة: بأنه عُقْد وَرُقَى وكلام يتكَلَّمُ به أو يكتبه الساحر أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله.

وهذا لا يكون إلا بالاستعانة بالشياطين، فالساحر يرتكب القبائح ليصل إلى رضا الشياطين، ثم يرقى المسحور بألفاظ الشرك ويمدح الشيطان.

أو يقوم الساحر بعبادة الكواكب ويبقى جُنُباً ويفعل المعاصي ليتقرب إلى الشياطين بها، فتعاون الشياطين كما تعاون الملائكة الأخيار من الناس.

أيها السادة:

هذا المدخل كان لابد منه، فأين القضية الاعتقادية في هذا الأمر؟ علينا أن نعتقد أن السحر قسمان:

سحر هو تخیلات وشعوذة وأخذ بعيون الناس ومبناه على النظر، والبصر يخطئ ويصيب، والساحر في هذا القسم يقوم بعمل شيء يذهل أذهان الناظرين ويأخذ عيونهم حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق وتصويب وتسديد النظر عمل شيئاً آخر بسرعة شديدة، وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جداً كما هو مشاهد من خلال ما يظهر على شاشات المفسديون في الوقت الحاضر.

وقد يقوم الساحر المشعوذ باستخدام خصائص المواد الكيماوية كاستعمال الزئبق كحيلة للتصويه والتخييل، وقد ذكر بعض المفسرين أن سحر سحرة فرعون من هذا القبيل، فعلى موجات سورة طه اجتمع سيدنا موسى مع السحرة أول النهار بمباراة بين الإيمان والكفر: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ طه: ٦٥-٦٦.

وعلى موجات سورة الأعراف ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ /الأعراف: ١١٦.

فالعصي والحبال لم تكن تسعى في نفس الأمر، ولهذا قال ابن كثير (١٥٨/٣)، إنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميل بحيث يخيل للناظر أنها تتحرك باختيارهم، والواقع أنها كانت حيلة.

ومن سحر الشعوذة والتخييلات ما يفعله بعض السحرة مع المسحورين يطعمونهم بعض الأطعمة والمشروبات فتؤثر في عقولهم حتى إذا ما تعاطى الضحية هذه الأشياء قلَّت فطنته، وخرج عن حد الاعتدال في عاداته، فيقول الناس: إنه مسحور، والواقع أنه عقار معين تناوله هو الذي سبب له تلك الحال.

لكن الذي يهمنا - أيها الإخوة - أن نتحدث عنه هو السحر الحقيقي فهو قضيتنا اليوم، فافتحوا آذانكم وأصغوا إلي بأسماع أفهامكم.

السحر الحقيقي أنواع:

أولها: السحر الذي يستعان فيه بالكواكب والأجرام السماوية وهذا كان عليه الكلدانيون وأهل بابل في العراق، كانوا يعبدون الكواكب السبعة السيارة ويعتقدون أنها مدبرة للعالم وأنها تضر وتنفع، وأنها تأتي بالخير والشر وهؤلاء بعث الله إليهم سيدنا إبراهيم الخليل مبطلاً لعقائدهم الفاسدة.

طبعاً هذا النوع كفرٌ لا شك فيه لأن السحرة ينادون الكواكب بلفظ الإلهية والتعظيم، ويقدمون لها قرباناً كما كان يفعل كفار قريش مع اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى.

فالساحر في هذا النوع يكتب بالطلاسم كتابة غير مفهومة على الورق أو المعدن أو الخشب أو الأحجار، وهذا النوع لا يقدر عليه إلا كل ساحر عاتٍ شاخ أو داخ في مهنته واتصل بالشياطين حتى أصبح عبداً لها، هذا سحر حقيقي.

وهناك سحر حقيقي من نوع آخر يكون عند أهل النفوس القوية يفعلونه مع ذوي النفوس الضعيفة من الناس، الساحر تكون شخصيته قوية مؤثرة يستعين بالقوى الشيطانية (وكما يقولون عينه تخرق الحجر)، من هذا النوع الحسد أو الاصابة بالعين، فترى أصحاب النفوس الخبيثة تنظر بعينها شيئاً ويكثر من مديحه بدون أن يقول: ما شاء الله كان، فإن قدر الله إصابته أثرت فيه ولا بد فأصيب

بالعين، ولهذا اسمعوا إلى هذا الحديث الصحيح عند مسلم بعد أن تُصلُّوا على النبي ﷺ يقول: «العين حق، لو كان شيء سابق القدر سبقته العين».

هذا الحديث الصحيح يدل على أن همة العائن وقوة نفسه جعلها الله سبباً للتأثير في المصاب بالعين، فالله يجري الضرر عند تحديد أو تسديد النظر.

آية أخرى: آية أخرى تشير إلى هذا المعنى في سورة القلم اسمعوها نقرؤها ولا نفهم معناها ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر﴾.

يقول ابن كثير: في هذه الآية دليل على أن العين أصابتها وتأثير حق بأمر الله تعالى.

ولماذا نبعد كثيراً في الكلام وأماننا آية يحفظها كل واحد منا هي قوله تعالى ﴿قل أعوذ برب الفلق. من شر ما خلق. ومن شر غاسق إذا وقب. ومن شر النفاثات في العقد. ومن شر حاسد إذا حسد﴾ / الفلق: ١-٥.

ولا يستبعد كما قال ابن القيم: بأنه يوجد في عين الحاسد شرر غير مرئي يقع على المحسود فيحصل له الضرر، وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلا مكابر، وهو أصل الإصابة بالعين، وكفى بالله معيذاً في الالتجاء إليه من عين الحاسد إذا حسد.

معشر السادة:

الذي ألقأنا إلى الحديث عن السحر هو الحديث عن الجن، يجب أن نعلم أن كفرة الجن أو الشياطين هم أعوان السحرة، والشياطين لا تعاون إلا الأشرار الذين يُشبهونهم في الخبائث والنجاسة قولاً وفعلاً واعتقاداً، والقرآن أشار إلى هذا المعنى بوضوح تام، اسمع إلى قوله تعالى على موجات سورة الشعراء:

﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم﴾.

وعندما تنزل الشياطين تتصور في عدة صور تتصور بالإنسان والبهائم والحيات والعقارب، وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير، وربما في صور الطيور، فلا يرون على خلقتهم الأصلية، فإذا تشكلوا في الصور المختلفة ظهروا وعرفوا، ويتميزون بسرعة الحركة والقدرة على الأعمال الشاقة.

اسمع إلى قول مولانا عز وجل يقول ﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين﴾ / النمل: ٣٩.

فالشياطين بإذن الله يؤثرون في بني آدم، فيدخل الشيطان في بدن الإنسان فيصرعه أو يؤثر في عقله، وإليك هذه القضية التي صرح بها القرآن الكريم فقال تعالى ﴿ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقىض له شيطاناً فهو له قرين﴾ / الزخرف: ٣٦ / ولهذا نرى السحرة يستعينون بالشياطين للإمراض والإسقام، كما يستطيع أن يحمل الساحر ويرفعه في الهواء. كما يستطيع الجن معالجة بعض الأمراض كما يعالجها البشر، كمعالجة الصمم أو الصلع أو أمراض القلوب والأمعاء. لكن انتبهوا مهما بلغت قوة الشياطين فلا تستطيع الشياطين تغيير حقائق الأشياء كإحياء الموتى وانطاق العجماء وتحويل الإنسان حماراً والحمار إنساناً.

فالشيطان لا يستطيع الإتيان بمثل معجزات الأنبياء، فلا يستطيع شق القمر ولا فلق البحر ولا إخراج ناقة من صخر، فالشياطين أقل وأذلّ من أن يستطيعوا مثل هذا، وهذا هو الفرق بين المعجزة والسحر.

ويمكن للشياطين أن تخبر السحرة بالعلوم والأخبار الحاضرة أو الماضية مما يخفى خبره على الإنسان.

والأسود القيسي الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيبة، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون

فيه، حتى أعانتهم على قتله امرأة عرفت أنه كافر فقتلوه، وكذلك مسيلمة الكذاب كان معه من الشياطين من يفعل له ذلك.

فإذا أراد الساحر الخبيث تنفيذ سحره نفث في العقد حتى ينعقد ما يريده من السحر، ويردد أسماء المسحورين فيضرون بإذن الله، ولهذا قال مولانا ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾. والنفث يراد به النفخ مع ريق، وهو أدنى من التفل.

والنفث في العقد الذي يستعين بالشياطين في إنفاذ قصده لا تحقق له الشياطين طلبه ما لم يستجيب لمطالبهم بالسجود للشياطين والشرك بالله.

والنفث في العقد له تأثير بإذن الله، لذا وجَّهنا القرآن إلى الاستعاذة بالله تعالى، وهذا النوع من السحر هو ما سحر به لبيد بن الأعصم سيدنا رسول الله، وهو المستعاذ منه في سورة الفلق، وهذا من أخطر أنواع السحر والاستعاذة منه دليل على ضرره.

وإليك رواية البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: «كان رسول الله سحر، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتينهن. قال سفيان: هذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا. فقال: يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه: أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم، رجل من بني زريق، حليف اليهود كان منافقاً. قال: وفيم؟ قال في مشط ومشاطه (مشط وشعر، المشاطه الشعر الذي يسقط من المشط عند تسريح الشعر). قال: وأين؟ قال: في جفّ طلعه دُكر (وعاء النخل الغشاء الذي يكون عليه). تحت راعوافة (صخرة أسفل البئر) في بئر ذروان (بئر في المدينة). قال: فأتى البئر حتى استخرجه فقال: هذه البئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء (أحمر كلون الحناء). وكأن نخلها رؤوس الشياطين، قال

فاستخرج. فقلت: أفلا تنشّرت؟ فقال ﷺ: أما الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً».

أيها الإخوة:

فما هو تأثير السحر؟ هل هناك أدلة نقلية تثبت تأثيره؟.

ما هي الطرق لإبطاله؟.

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الحلقة القادمة إن شاء الله، وأعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

تأثير السحر والتداوي منه

الحمد لله الكريم الوهاب، هازم الأحزاب، ومنشئ السحاب، ومنزل الكتاب في حوادث مختلفة الأسباب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقَانَهُ لَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أنزل الله عليه قرآناً عظيماً وذكرنا حكيماً، وحبلاً ممدوداً، وعهداً معهوداً، دحض به حجج المبطلين، وردّ به كيد الكائدين، وأيد به الإسلام والدين، فلمع منهاجه، وثقب سراحه، وشمّلت بركته، ولمعت حكمته على خاتم الرسالة، والصادح بالدلالة، الهادي للأمم، الكاشف للغمّة، الناطق بالحكمة، المبعوث بالرحمة سيدنا محمد ﷺ.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

وقفت معكم في الجمعة الماضية حول حقيقة السحر، واستعانة السحرة بالشياطين، وقلت لكم إن السحر الذي يحصل للمسحور إنما هو بفعلهم،

فالشیطان يتولى الإضرار بمن يريد الساحر ضرره، أو يجهز الساحر أدوية أو تهايم يحصل بها الضرر في بدن المسحور بإذن الله تعالى.

وكننت قد علقنت معكم سؤالین هامین لأختم بهما هذه القضية الإيمانية في هذا اليوم، هل هناك أدلة قاطعة على تأثير السحر؟ وكيف يكون التداوي منه؟.

إننا - معشر السادة - مع الحلقة الخامسة والتسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة البقرة ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾/البقرة/.

أيها الإخوة:

يخبرنا مولانا عز وجل أن الشياطين كانت تعلم الناس السحر ببابل من أرض العراق، وأنه أنزل الملكين هاروت وماروت يعلمان الناس السحر أيضاً ليبتلي به الناس، فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحداً حتى يقولوا: إنما نحن فتنة أي ابتلاء ابتلينا به فلا تكفر.

ولهذا لا يجترئ على السحر إلا كافر، يقول ابن كثير الدمشقي في تفسير قوله تعالى ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾: أي فيتعلم الناس من

هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون به من الأفاعيل المذمومة، حتى إن سحرهم بلغ قوته أنهم ليفرقون بين الزوجين على ما بينهما من الخلطة والائتلاف، وهذا من صنيع الشياطين كما رواه مسلم «إن الشيطان ليضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه في الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركته وهو كذا وكذا، فيقول إبليس: والله ما صنعت شيئاً، ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله. قال: فيقر به ويدنيه ويلتزمه ويقول: نعم أنت».

أيها السادة:

الآية التي صدرت بها حديثي إليكم تدل دلالة قاطعة على أن السحر شيء موجود، شيء حقيقي يكون سبباً للتفريق بين الرجل وامرأته. وهذا كله بإذن من؟ بإذن الله.

وتعالوا نستعرض معاً الدليل الثاني في إثبات السحر، إنه قوله تعالى ﴿قل أعوذ برب الفلق. من شرّ ما خلق. ومن شرّ غاسق إذا وقب. ومن شرّ النفاثات في العقد. ومن شرّ حاسد إذا حسد﴾ / الفلق: ١-٥.

هذه السورة نزلت حين سحر ﷺ وفي سبب نزولها أن الملكين أخبراه أن يستخرج السحر من بئر، فوجد تمثالاً من شمع هو تمثال رسول الله ﷺ وإذا فيه إبر مغروزة، وإذا وتر (حبل) فيه إحدى عشرة عقدة فنزل سيدنا جبريل بالمعوذتين فكان رسول الله ﷺ كلما قرأ آية انحلت عقدة، وكلما نزع إبرة وجد لها الماء، ثم وجد بعدها راحة^(١) وفي رواية سأله السيدة عائشة: أن يحرق السحر.

هذا من أكبر الأدلة على تأثير السحر، فهو أثر بسيدنا محمد ﷺ الذي هو أفضل الخلق، ولو لم يكن للسحر تأثير لكان أولى الخلق بعدم حصول هذا التأثير

(١) فتح الباري لابن حجر ٢٣٠: ١٠

فيه هو سيدنا رسول الله ﷺ لكمال إيمانه، لكن حصول تأثير السحر عليه دليل على أن تأثيره في غير الرسول أولى لضعف إيمانهم مقارنة به، وأصدق دليل على تأثير السحر فيه قوله ﷺ: «قد عافاني الله وشفاني» ولي هنا معكم وقفة عقائدية.

علينا أن نعتقد أن تأثير السحر على رسول الله ﷺ لم يكن يتجاوز الضرر البدني، يعني هو كمرض عادي يصيب البشر مثل إصابته ﷺ بالسم، أما أن يكون السحر قد أثر على الشريعة والعقل والقلب والروح فهذا غير ممكن، لأن الله صانه وحفظه بحفظ الشريعة المطهرة، وإليكم ما قاله في هذا الخصوص القاضي عياض: «السحر مرض من الأمراض يجوز عليه ﷺ»، وأما ما ورد أنه كان يتخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخله في شيء من تبليغه أو شريعته أو صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا».

وأما الدليل الثالث فهو من القرآن أيضاً فعلى موجات سورة الأعراف ﴿قال المأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون﴾ وعلى موجات سورة طه قوله تعالى ﴿قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾.

إن فرعون أتهم سيدنا موسى وهارون بأن ما جاء به هو السحر وليس معجزة، وهذا اعتراف منه وقومه بأن السحر له تأثير بالإخراج من الديار وإبطال مثيله من السحر، ولهذا تطلب الأمر استدعاء المهرة من السحرة ﴿وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم﴾ / يونس: ٧٩.

أيها الإخوة:

بعد أن ثبت تأثير السحر بالأدلة المناسبة أصل بكم إلى أهم نقطة في هذه القضية الإيمانية، ألا وهي: علاج السحر.

إذا كان السحر مرضاً من الأمراض فما هو علاجه؟

إن الاسلام شرع لنا الأخذ بالأسباب التي تؤدي إلى الشفاء، بشرط أن تكون هذه الأسباب مشروعة، من هذه الأدوية:

الأدعية والآيات القرآنية: فالقلب إذا كان ممتلئاً من **اللَّهُ** مغموراً بذكره، وله من التوجهات والدعوات والأذكار والتعوذات ورُدُّ لا يخلِّ به يطابق فيه قلبه لسانه كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر.

ومن أعظم العلاجات له الرقى والتمايم القرآنية كالفاتحة والمعوذتين، وفي الصحيح عنه **ﷺ**: أنه رخص في الرقى ما لم تكن شركاً، وخاصة الرقية من العين فقد ورد عند البخاري أن النبي **ﷺ** رأى في بيت أم سلمة جارية في وجهها سفعة فقال: استرقوا لها، فإن بها النظرة، أي أصابها الشيطان فأثرت هذه الإصابة بتغيير لون جزء من بشرة الوجه، بل ورد في صحيح مسلم «أن سيدنا جبريل أتى النبي **ﷺ** فقال: يا محمد أشتكيت؟ فقال: نعم. قال: باسم **اللَّهُ** أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد **اللَّهُ** يشفيك، باسم **اللَّهُ** أرقيك».

ومن الرقى والأدعية رسالة كتبها سيدنا محمد **ﷺ** للصحابي أبي دجانة، فقد جاءه أبو دجانة وقال: بينا أنا مضطجع في فراشي إذ سمعت في داري صريراً كصرير الرحي ودوياً كدوي النحل ولمعاً كلمع البرق، فرفعت رأسي فزغاً مرعوباً فإذا أنا بظل أسود مدلى يعلو ويطول في صحن داري، فأهويت إليه فمسست جلده فإذا جلده كجلد القنفذ، فرمى في وجهي مثل شرر النار، فظننت أنه قد أحرقني، فقال رسول **اللَّهُ** **ﷺ**: عامر دار سوء يا أبا دجانة (جني كافر) ثم قال: ايتوني بدواة وقرطاس، فأتي بهما فناوله علي بن أبي طالب وقال اكتب:

«بسم **اللَّهُ** الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول رب العالمين إلى من طرق الدار من العمار والزوار والصالحين إلا طارفاً يطرق بخير يارحمن.

أما بعد:

فإن لنا ولكم في الحق سعة، فإن تكن عاشقاً مولعاً أو فاجراً مقتحماً أو راعياً حقاً مبطلاً، هذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحق، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ورسلنا يكتبون ما كنتم تمكرون.

اتركوا صاحب كتابي هذا وانطلقوا إلى عبدة الأصنام، وإلى من يزعم أن مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون. تغلبون. حم لا تنصرون، حم عسق، تفرق أعداء الله وبلغت حجة الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم.

قال أبو دجانة: فحملته إلى داري وجعلته تحت رأسي وبث لي ليلي، فما انتبهت إلا من صراخ صارخ يقول: يا أبا دجانة أحرقتنا واللات والعزى الكلمات، فبحق صاحبه لما رفعت عنا هذا الكتاب فلا عود لنا في دارك ولا في جوارك، فغدوت فصليت الصبح مع رسول الله وأخبرته بما سمعت من الجن. فقال: يا أبا دجانة ارفع عن القوم فوالذي بعثني بالحق إنهم ليجدون ألم العذاب إلى يوم القيامة» (هـ).

معشر السادة:

ومن الأدوية النافعة استخراج السحر وإبطاله وهو بمنزلة إزالة السرطان من الجسم.

ومن الأدوية النافعة الحجامه في الرأس، ففي الحديث أن النبي ﷺ احتجم على رأسه بقرن حين طب أي سحر.

ومن طرق العلاج من السحر أكل سبع تمرات من تمر المدينة فعند البخاري قال ﷺ: من تصبّح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر.

ولا يخفى أن التحصن بالقرآن والأذكار والأدعية هو العلاج النافع في دفع أذى شياطين الجن والإنس ألم يقل مولانا في كتابه:

﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ /الإسراء: ٨٢/.

ولهذا ورد (عند ابن ماجه والحاكم ووافقه الذهبي) أن رسول الله ﷺ قال: عليكم بالشفاءين العسل والقرآن.

ومن الأدوية النافعة حبة البركة فعند البخاري ومسلم قال ﷺ «الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام (الموت)».

ومن الأدوية قراءة سورة البقرة وسورة الشمس وضحاها، بل كل القرآن يمكن للعبد أن يتداوى به ففي الحديث «خذ من القرآن ما شئت لما شئت». وفي الحديث «يس لما قرئت له».

لكنني في نهاية المطاف أجيب عن سؤال هام، عرضه بعض الإخوة الكرام: هل يجوز علاج السحر بمثله؟ أو بما هو حرام مثلاً؟
قال جمهور العلماء في الإجابة عن هذا السؤال: إنه يحرم علاج السحر بالسحر، لأن السحر كفر فلا يعالج كفر بكفر، ولا يزال الضرر بضرر مثله.
وأما مذهب الشافعية رضي الله عنهم فقد أجازوا إزالة السحر بالسحر، وتوقف الحنابلة في هذا القضية وإن كانوا إلى الجواز أميل.

أيها الإخوة:

علينا أن نعتقد أن تأثير السحر بإذن الله تعالى، وأنه لا يزيله إلا الله تعالى فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

هذه هي عقيدتنا، فالله هو الضار النافع ﴿إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾.

هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

مقدمة بين يدي الإيمان بالكتب السماوية

الحمد لله الذي سما عن شوائب النقص وسماته، وتحلّى بصفات الكمال اللائقة بذاته، سبحانه وتعالى دلّت الأكوان على وجود آياته، وظهرت بجلال جماله وتحلياته، فهو الأول والآخر القديم الباقي وما سواه هالك، وكلّ ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أجدها في يوم تشخص فيه الأبصار وتحيط به الأوزار ويغضب الملك الجبار.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى من خيار الأخيار، نبي شق له القمر، وسبّح بكفه الحجر، وجاءت لدعوته الأشجار.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد ورضي الله تعالى عن أصحابه أبي بكر الصديق ورفيقه بالغار، ورضي الله عن عمر بن الخطاب الذي نزه الحق عما يقول الكفار، وخُصّ اللهم عثمان بن عفان شهيد الدار، واجعل أفضل رضاك وأتمه على مهلك الكفار، بالصارم البتار، ذي الفقار جدي سيدنا علي بن أبي طالب سيد الأصهار، وابن عم نبيك المختار، وعلى الستة الباقيين من العشرة الكرام الأخيار، وعن عمي نبيك الحمزة والعباس اللذين ببركتهم هطل الغيث المدرار، وعن جدي أبي محمد الحسن وجدي أبي عبد الله الحسين اللذين كانا من أهل التقوى والاستغفار، وعن سائر الصحابة الأبرار، من المهاجرين والأنصار، ما تعاقبت الشهور والسنون بأدوار، عدد ما ناح طائر وترنم في الأسحار، وسلم تسليمًا.

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

نحن اليوم كنا ومازلنا نعيش في مجبوحة من الكرم الإلهي فقد دخلنا اليوم في السنة الرابعة من ملف العقيدة، فينبغي علينا أن نحمد الله.

فيارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، سبحانه لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

إن مولانا أكرمنا فتناولنا في علم التوحيد الإلهيات ثم النبويات، وهانحن قد دخلنا في باب السمعيات، فتناولنا منه باب الإيمان بالملائكة الكرام، وهانحن اليوم ندخل على الركن الإيماني الرابع وهو الإيمان بالكتب السماوية، إننا لازلنا نسير الهويينا مع منظومة الشرنوبوي ونحن في البيت الثاني والعشرين وهو قوله:

ويجبُ الإيمانُ بالذي ورَدَ عنه مِنَ المولى المهيمن الصمد

وقد روى الصحابي الجليل سيدنا عمر بن الخطاب «أن جبريل أتى النبي ﷺ فسأله عن الإيمان فقال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» (م: الإيمان ١).

إننا باختصار مع الحلقة السادسة والتسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً، ورسلاً قد قصصناهم عليك ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ /النساء: ١٦٣/.

أيها الإخوة:

الكتاب هنا هو ما يحتوي على شريعة الله وأوامره وكلامه وهديه ونهيه وعده ووعيده، وهي كلام الله حقيقة بدت منه بلا كيفية قولاً، وأنزلها وحياً، إما مكتوبة في الألواح، أو مسموعة من وراء حجاب، أو من ملك مشاهد أنزله على نبي رسول

ليبلغها إلى الناس بأي لغة من اللغات، يحدّد لهم ما كلّفهم به من حلال وحرام وعبادات ومناسك.

فالكتاب هو دستور الأمة ترجع إليه في عقائدها وأحكامها ومحرماتها وفضائلها، يرجع إليه علماء الأمة لاستنباط الأحكام الشرعية لأقوامهم وأمّتهم، وخاصة بعد مضي الرسل إلى الله عز وجل، عندها يبقى كتاب الله حكماً عدلاً ناطقاً بشرية الله، يأمر وينهى، يعظ ويرشد، ويبشّر وينذر، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، واسمع إلى مولانا عز وجل يقرر هذه القضية الإيمانية فيقول:

﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ /الشورى: ١٣/.

وهكذا - أيها الإخوة - اقتضت حكمة الله ورحمته بعباده أن يرسل إلى الناس رسلاً كلّما ضلّ العباد عن عقيدة التوحيد، وحادوا على جادة الحق فيحتاجون إلى بعثة رسول جديد ونزول كتاب سماوي صحيح، لاعادة العقيدة والاستقامة على الشريعة، وإقامة العدل في حياة الناس من جديد، ولهذا اسمع إلى مولانا عز وجل يقول لنا:

﴿كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ /البقرة: ٢١٣/.

أسمعتم - أيها الإخوة - إنّ الله أنزل مع كل رسول كتاباً يهدي إلى الحق ليكون هذا الكتاب السماوي هو الحاكم بين الناس فيما يختلفون فيه، وليس فوق حكم الله حكم، وليس فوق عدل الله عدل، وإليكم قول إمام التوحيد في زمانه الإمام الرازي يقول في تفسيره: «ظاهر الآية السابقة يدلّ على أنه لا نبي إلا معه كتاب منزل، فيه بيان الحق طال ذلك الكتاب أم قصر، ودوّن ذلك الكتاب أم لم يدوّن، وكان ذلك الكتاب معجزاً أو لم يكن كذلك..».

إخوة الإيمان:

أول قضية إيمانية تعترضنا تقول: إنّ جميع الكتب والصحف الربانية تشترك في قضايا متعددة:

تشترك - أولاً - في أصول العقيدة وأركانها الستة.

٢- وتشترك في الدعوة إلى التخلق بالأخلاق والآداب الإنسانية الكريمة والبعّد عن التخلق بالأخلاق الذميمة الفاسدة.

ولا تختلف هذه الكتب إلا في الأحكام التكليفية والتشريعات العملية التي تناسب كلّ زمان ومكان.

والسؤال الذي يجب أن يسأل اليوم: ما هو الواجب علينا تجاه عقيدة الكتب السماوية؟

الواجب علينا أن نعتقد ونحزم أن الله أنزل على أنبيائه ورسله كتباً بدون معرفة تفصيلها، وهذا ما يسمى بالإيمان الإجمالي، فنحن أمام إيمان إجمالي وإيمان تفصيلي، الإيمان الإجمالي: أن نؤمن ونسلم تسليماً مطلقاً بوجود كتب وصحف سماوية. وهذه القضية الإجمالية صرحت بها الآيات القرآنية فعلى موجات سورة البقرة: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحدٍ من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾.

وأما الإيمان التفصيلي: بهذه الكتب فهي التي ذكرها مولانا في كتابه الكريم على اختلاف صورها وأشكالها، فقد اختلفت الصور التي أنزل الله بها هديه على رسله، حسبما وصف لنا في القرآن الكريم، إذ أنه وصف لنا ما أنزله على سيدنا إبراهيم وسيدنا موسى بـ الصحف ﴿إنّ هذا لفي الصحف الأولى. صحف إبراهيم وموسى﴾ /الأعلى/.

وكذلك أطلق مولانا لفظ الصحف على القرآن الكريم فقال عز وجل ﴿رسولٌ من الله يتلو صحفاً مطهرة﴾ /البينة: ٢/.

هذه الكتب وتلك الصحف لا يوجد حديث صحيح يعول عليه في معرفتها، لكن أثراً ورواية عن سيدنا أبي ذر الغفاري يرفع حديثاً للحبيب الأعظم سألته: «يا رسول الله كم كتاباً أنزل الله تعالى قال ﷺ: مئة صحيفة وأربعة كتب، أنزل الله على آدم عشر صحائف، وعلى شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان» (حب).

وكلها نزل في شهر رمضان المبارك، ففي تفسير ابن كثير في قوله تعالى ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ /البقرة/ يذكر حديثاً سنده إلى سيدنا رسول الله ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم في أول يوم من رمضان، والتوراة لست خلون منه، والإنجيل في الثاني عشر، والزبور في الثالث عشر أو في الثامن عشر، والقرآن في الرابع والعشرين».

وقد أنزلت الصحف والكتب السابقة جملة واحدة على الرسل الكرام، أما القرآن فقد نزل كله في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك مفصلاً حسب الوقائع والأحوال.

والقرآن هو الكلمة الأخيرة في الكتب السماوية أنزله الله على خاتم رسله سيدنا محمد ﷺ، فكما أن رسول الله ﷺ ختم الله به الأنبياء والمرسلين كذلك جعل القرآن آخر الكتب السماوية وخاتمها.

والذي يجب أن نعتقده أن القرآن الكريم ناسخ للكتب، أي أن الأحكام الواردة في القرآن ناسخة لما يعارضها في الكتب السابقة، انعقد إجماع الأمة الإسلامية عليه، لأنها لو لم تكن ناسخة لها لجاز العمل بها، والعمل بها غير جائز لمخالفتها لما جاء في القرآن، فثبت أن القرآن ناسخ لها اسمع إلى مولانا يقول في عليائه: ﴿إن الدين عند الله الإسلام ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ /آل عمران: ١٩/.

واسمع إلى مولانا عز وجل يقول على موجات سورة المائدة مخاطباً حبيبه ونييه

سيدنا محمداً ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ /المائدة: ٤٨/. ورحم الله من قال:

ونسخه لشرع غيره وقّع
حتماً أذل الله من له منع

ولذلك تكفل الله عز وجل بحفظ القرآن الرسالة الخاتمة، وهذه ميزة ينفرد بها هذا الكتاب السماوي ليبقى الحجة القائمة على الناس جميعاً وفي جميع العصور إلى قيام الساعة، اسمع إلى مولانا يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ /الحجر: ٩/. ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ /فصلت: ٤١-٤٢/.

أيها الإخوة:

هذه القضايا الإيمانية عن القرآن العظيم عمّت المجتمع الإسلامي في كل عصر، حتى صارت من العقائد المعلومة من الدين بالضرورة التي من أنكرها كفر لا محالة.

فنحن نؤمن بكل خبر تضمنه القرآن تضمناً قطعياً، ونعتقد أن منكر ذلك كافر.

وصدق الله العظيم ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ /الإسراء: ٩/.

كانت هذه هي القضايا الإيمانية بالتفصيل وإليكم موجزها:

الكتب والصحف الربانية هي مئة وأربعة كتب.

هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

الصحف الربانية

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، حمداً لا انقطاع لراتبه ولا إقلاع لسحابه، حمداً يتردد مع أنفاس الصدور ويتكرر مع لحظات العيون، حمداً يستنزل الرحمة يستكشف الغمة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمرنا في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾ /النساء: ١٣٦/.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، قال لنا: «تركتم فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتي».

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

كَرَّمَ اللهُ تعالى بني آدم، وخلقهم في أحسن تقويم وسخر لهم ما في السموات والأرض، ولم يخلقهم عبثاً ولم يتركهم سدى، وإنما أمدهم بجبل من السماء، وبين لهم طريق النور والهداية، وأنزل عليهم الوحي واصطفى منهم أنبياء ورسلاً، وأوحى إليهم الكتب والصحف والشرائع والأحكام ليهتدوا بها ويسيروا على سننها، وقد اتفقت كلمة التوراة والإنجيل والقرآن على ثلاثة أمور:

الأول- الشهادة لسيدنا محمد ﷺ بأنه رسول الله.

الثاني- التنويه بأصحاب سيدنا محمد ﷺ وذكر طائفة من صفاتهم.

الثالث- الحث على الجهاد في سبيل الله بالبدن والمال.

والمعروف من الكتب السماوية يبين ما ذكره القرآن الكريم على التفصيل، فما أخبرنا الله في القرآن أنه من هذه الكتب آمنا به، وقلنا بكفر من أنكره، وما وافق القرآن من أخبار هذه الكتب اعتقدنا أنه باقٍ على صحته وأن التحريف لم يصل إليه، وما جاء من أخبارها مخالفاً لما رواه القرآن عنها اعتقدنا أنه محرّف عن أصله، فما هي الصحف الصحيحة؟

إخوة الإيمان:

أجيب اليوم عن هذا السؤال بإذن الله تعالى مع الحلقة السابعة والتسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

الصحف الربانية مئة صحيفة: ستون صحيفة أنزلت على شيث، وثلاثون على إبراهيم، وعشر على موسى قبل نزول التوراة.

لكنه لم يرد شيء ثابت بخصوص صحف سيدنا شيث إلا أن المحدث ابن عساكر يروي لنا عن كعب الأخبار أن سيدنا آدم قال لولده شيث عند وفاته:

«أي بني أنت خيلفتي من بعدي، فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى، فكلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد ﷺ فلإني رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الروح والطين، ثم إني طفت السموات فلم أر في السموات موضعاً إلا رأيت اسم محمد مكتوباً عليه، وإن ربي أسكنني الجنة، فلم أر في الجنة قصرًا ولا

غرفة إلا اسم محمد مكتوب عليه، ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً على نحر الحور العين، وعلى ورق قصب آجام الجنة وعلى ورقة شجرة طوبى، وعلى ورق سدرة المنتهى، وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة، فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكره بكل ساعاتها».

ويشهد للعبارة الأخيرة من هذه الرواية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ / الأحزاب/.

وأما بقية الرسل فلا يوجد نص يحدد عدد الصحف المنزلة عليهم، وإن كانت الآيات القرآنية قد ذكرت أن لكل رسول أو نبي شريعة وأنهم كانوا جميعاً يدعون إلى عبادة الله تعالى، والدخول في طاعته، واسمع معي إلى البيان القرآني يوضح هذه القضية الإيمانية فعلى موجات سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾.

وعلى موجات سورة فصلت: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾.

وعلى موجات سورة الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

أيها السادة:

إننا مع الصفحة الثانية من ملف الكتب السماوية، أعني بها صحف سيدنا إبراهيم الخليل، فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم مرتين. على موجات سورة النجم: ﴿أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾. وعلى موجات سورة الأعلى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

أيها الإخوة الكرام:

اسمحوا لي أن استعرض لحضراتكم القضايا اليقينية الموجودة في صحف سيدنا إبراهيم وموسى على الموجات العاملة من القرآن الكريم: ففي سورة النجم: ﴿أَمْ لَمْ

ينبأ بما في صحف موسى، وإبراهيم الذي وفى، ألا تزروا وازرة وزر أخرى، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأنّ سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى. وأنّ إلى ربك المنتهى، وأنّه هو أضحك وأبكى. وأنه هو أمات وأحيا، وأنّه خلق الزوجين الذكر والأنثى، من نطفة إذا تمنى، وأنّ عليه النشأة الأخرى، وأنّه هو أغنى وأقنى (أعطى من الأموال ما يقتنى ويدخر) وأنّه هو ربّ الشعرى (نجم في السماء عبدته طائفة من العرب) وأنه أهلك عاداً الأولى، وثمود فما أبقى، وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى، والمؤتفكة أهوى، فغشاهما ما غشى.﴿

فهذه الحقائق الدينية التي أعلنها الآيات القرآنية فيما أنزله الله في صحف إبراهيم وموسى، فإذا انتقلت معكم إلى موجات سورة الأعلى رأينا القضايا الإيمانية الخاصة بالآخرة: ﴿قد أفلح من تركى وذكر اسم ربه فصلى، بل تؤثر الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى، إنّ هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى﴾.

فنحن نجزم ونعتقد ونؤمن إيماناً جازماً بأنّ الله أنزل على سيدنا إبراهيم صحفاً منها هذه القضايا الإيمانية.

لكن رواية عن سيدنا أبي ذر الغفاري، (هي لا تعدو أنها رواية) يذكر لنا فيها أنه سأل سيدنا رسول الله ﷺ ما كانت صحف إبراهيم، قال: كانت أمثالاً كلّها. ثم ذكر بعض هذه الأمثال أقرؤها على حضراتكم للعبرة والعظة، اسمعوها:

أيها الملك المسلط (صاحب السلطان النافذ) المبتلى (المختبر بالحكم) المغرور (الناسي حقوق الله) والذي أصابته الغفلة) ما هو جواب هذا النداء اسمعوه:

أيها الملك المسلط المبتلى المغرور: إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها وإن كانت من كافر.

وهذا الكلام له شاهد من الحديث النبوي الشريف: «اتقوا دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب» ورحمة الله على من قال:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا فالظلم يرجع عقباه إلى الندم
 تنام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم
 أيها الملك الذي سلطتك على رقاب الناس وامتحتك واختبرت بك بهذا الملك،
 إنني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض وتكسب الأموال في البنوك السرية
 وغيرها، ولكني بعثتك لتردعني دعوة المظلوم فإني لا أردّها وإن كانت من كافر.
 «على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات: فساعة
 يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله
 عز وجل، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب هذه ست
 ساعات».

وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً (مقيماً) إلا لثلاث تزود لمعاد (عمل الآخرة) أو
 لمعاش أو لذة في غير مُحَرَّم.
 وإليكم هذا المثال المضروب في صحف إبراهيم هذا المثال الذي يوزن بميزان
 الذهب فيرجح عليه:

«على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه،
 ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه (يفيده)».
 هذه هي الأمثال المضروبة في صحف إبراهيم مما ورد فيها.

وحينما أنعمت النظر في كتاب مولانا وجدت بعض الوصايا، وصايا لقمان
 لابنه، اقتبسها لقمان (وهو ليس بنبي ولكنه كان تلميذاً لألف نبي) اقتبس لقمان
 هذه الوصايا مما أنزله الله في الكتب.

الأولى: ﴿وَإِذْ قَالَ لِقْمَانُ لِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ
 لَظُلْمٌ عَظِيمٌ. وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حِمْلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي
 عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِكَ إِلَهًا مَعِي. وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا

ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون. يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها **اللَّهُ** إِنَّ **اللَّهُ** لطيف خبير. يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إِنَّ ذلك من عزم الأمور. ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إِنَّ **اللَّهُ** لا يحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير **﴿**لقمان**﴾**.

أيها الإخوة:

ولهذا فإن مولانا قال فيما أنزل على نبيه **﴿**وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وإنه لفي زبر الأولين **﴿**الشعراء**﴾**.

أي في صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى عليهم.

فما هي هذه الكتب التي نزلت عليهم؟ أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة ان شاء **اللَّهُ** تعالى.

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد **اللَّهُ** تعالى.

لا إله إلا **اللَّهُ سيدنا محمد رسول **اللَّهُ****

التوراة والزيور

الحمد لله الذي يجتبي من يشاء من عباده، ويصطفى من خلقه من شاء من أهل وداذه، رفعهم فوق الناس درجات، وجعلهم من أكرم أهل بلاده. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجعلنا من خير أحبائه. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد أنبيائه وأكرم رسله وأوليائه، خير نبي اجتباه ورحمة للعالمين أرسله.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

وقفت معكم اليوم لأضع معكم النقاط على الحروف بعد أن قامت أمة المكر والخديعة بجرمة تحريف الكلم عن مواضعه في كتابها المقدس عمداً وعدواناً، حرّفت التوراة على مدى القرون المتطاولة، وهاهي طائفة منهم ترفع أمرها إلى سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ في رجل زنى منهم، جاؤوا إليه يستفتونه في حكم الزاني المحصن، ظانين أن عقوبة الزاني المحصن في شريعة سيدنا محمد ﷺ أخف من عقوبته في التوراة، فنشدهم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدونه في التوراة على من زنى إذا أحصن؟ فأجابوه: بالجلد والتعزير، فنشدهم رسول الله ﷺ ثانية فقام شاب من أحبارهم ظل ساكناً، فشدد عليه رسول الله ﷺ النشدة فقال الشاب: اللهم إذ نشدتنا فإننا نجد في التوراة الرجم فقال رسول الله ﷺ: فإني أحكم بما في التوراة فأمر بهما فرجما، فأنزل مولانا عز وجل على نبيه الكريم قوله: ﴿وكيف

يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولّون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين. إنّنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والريانيون والأحبار بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴿٤٤﴾ /المائدة: ٤٤.

إننا اليوم مع الحلقة الثامنة والتسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها الإخوة الكرام:

انتقل سيدنا موسى إلى جوار ربه ومضت مدةً طويلة على وفاته فقام أحبار اليهود فجمعوا التوراة، فاجتمع منها ثلاث نسخ تختلف كل نسخة عن الأخرى، فيها التوراة وتتضمن على الأرجح الصحف التي أنزلت عليه والألواح التي جاء بها بعد مناجاته لربه في جانب الطور.

تلك الصحف التي ورد منها عند ابن حبان حديث رواه الصحابي أبو ذر رضي الله عنه حين سأل سيدنا رسول الله ﷺ قائلاً: ما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال: كانت عبراً كلّها (عظات) منها:

عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، عجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل.

فما هو معنى لفظ التوراة؟

إن التوراة لفظ عبراني معناه: التعليم أو الشريعة، وهو أول كتاب ذكر في كتاب الله ﷻ صراحة بعد صحف الخليل إبراهيم، واسمع معي إلى مولانا عز وجل يخاطب نبيه على موجات سورة آل عمران: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَم. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ

التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان، إنّ الذين يكفرون بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام».

أيها السادة:

إننا في قضيتنا الرئيسة وهي الكتاب المقدس عند اليهود، والمسمى عندهم بالعهد القديم، وقد دخل التحريف إلى التوراة من كل جانب فأنت لا تستطيع أن تميز الأصل الصحيح من المحرّف لذلك لا يوثق اليوم بالتوراة الحالية، واسمعوا إلى العقيدة الحقّة في هذه القضية الإيمانية:

إنّ كلّ نص من نصوص أهل الكتاب الحالية سواء كان خبراً تاريخياً أو حقيقة علمية أو حكماً شرعياً:

- ١- إن صدّقه القرآن أو صدّفته السنة فهو مقبول عندنا يقيناً.
- ٢- وإن كذبه القرآن أو كذّبه السنة فهو مردود عندنا يقيناً.
- ٣- إن سكت القرآن وسكتت السنة عن تصديقه أو تكذيبه فإننا نسكت عنه فلا نصدق ولا نكذب.

وهذه القضية الأخيرة صرّحت بها السنة تصريحاً واضحاً فقال ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم».

فما هو الدليل على تحريف وتبديل أهل الكتاب للتوراة؟

إن القرآن الكريم وصف أهل الكتاب من يهود ونصارى بأنهم حرّفوا الكلم عن مواضعه وأنهم يظهرون من كتبهم شيئاً ويخفون أشياء، فنحن في قضية التحريف بين قضيتين:

أولاً- التحريف المعنوي: ويكون بتغيير مدلولات الألفاظ وترجمتها إلى ما يوافق تحريفهم.

ثانياً- التحريف اللفظي: ويكون بالتبديل أو بالزيادة أو بالنقصان.

وإليكم هذه القضايا كلّها يصرح بها كتاب مولانا على موجات سورة المائدة:

﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً﴾

منهم فاعف عنهم واصفح إِنَّ اللَّهَ يحب المحسنين». ولقد حرفوا عقيدتهم عقيدة التوحيد فقد قالت طائفة منهم «عزيز ابن الله» /التوبة: ٣٠/.

فإذا كذبوا في أصل عقيدتهم سهل عليهم الكذب فيما دون ذلك من أحكام ونصوص وأخبار، ولذلك ذمهم مولانا وتوعدهم بعذاب النار فقال: «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون» /البقرة: ٧٩/.

وهكذا - معشر السادة - فضح القرآن الكريم اليهود وكشف تحريفهم وكذبهم على الله تعالى، وذكر بعض الأحكام التي كانت في التوراة، فعلى موجات سورة المائدة: «وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون».

هذه الآية خاصة بالأحكام، فإذا أردت أن تعرف ما هو اليقيني الموجود في التوراة فارجع إلى القرآن الكريم، ذكر لنا فيه مولانا قضية الحث على الجهاد بالنفس والمال هذه القضية لم يتفرد بها الأمة الإسلامية بل أيضاً أمة اليهود والنصارى، يقول عز من قائل على موجات سورة التوبة «إِنَّ اللَّهَ اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيُقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهد من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم».

وأعظم شيء موجود في التوراة هو البشارة بسيدنا محمد ﷺ وذكر بعض صفاته الشريفة، يشهد لذلك قوله تعالى على موجات سورة الأعراف: «ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون».

فهنيئاً لكم ياأمة محمد، هاقد ذكركم مولانا في الكتب المتقدمة، بل ذكر مولانا في التوراة صفة أصحاب سيدنا محمد ﷺ، إننا لا نؤمن بما في التوراة إلا بالقدر الذي أخبرنا به رب العزة ورسوله أنه موجود حقاً في كتابهم، لذلك اسمعوا صفات أصحاب النبي كما ذكرتها الموجات العامل من سورة الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمَا﴾. كيف تراهم؟ أتراهم على قارعة الطريق يلهون، أتراهم في شارع الحمرا يعشون، أتراهم على موائد القمار يلعبون، أتراهم في الخمارات يشربون؟ ﴿تَرَاهُمْ رُكْعاً سَجْدًا﴾، كيف تعرفهم، ما سمتهم، وما علاماتهم؟ ما أماراتهم؟ ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وجوههم من أثر السجود﴾. السجود، السجود لله وحده.

من أين عرفنا هذه الصفات عنهم؟ في أي كتاب عظيم صُدّرت؟ ﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾. هذا هو فضل أصحاب سيدنا محمد ﷺ.

فهنيئاً لنا أمة الإسلام بأصحاب سيدنا محمد ﷺ.

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا من العناية ركناً غير منهدم

هذا هو ما في التوراة حقيقة، وقد جمع اليهود إلى كتبهم كتاباً آخر سموه بالعهد القديم، وفي العهد القديم يوجد زبور سيدنا داود الذي قال فيه مولانا ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ /النساء: ١٦٣/ هذه الآية نص صريح أنّ الله أنزل على نبيه داود كتاباً سماوياً اسمه الزبور «أي المكتوب» أنزله بعد التوراة، وقد ذكر الإمام الصاوي على الجلالين في تفسيره: «أنه مئة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل هو تسبيح وتقديس وتحميد وثناء ومواعظ».

وذكر الإمام ابن كثير الدمشقي في تفسيره أن من جملة ما فيه: «من رد لي آبقاً (هارباً من طاعتي) سميته جهبذاً، ومن سميته جهبذاً لا أعذبه في النار أبداً» وهذا معنى قول نبينا ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم، أو خير لك مما طلعت عليه الشمس».

أيها الإخوة:

ومما هو موجود يقيناً بالزبور آية ذكرها مولانا على موجات سورة الأنبياء، اسمعوها ففيها بشارة عظيمة لكم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ (التوراة) أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ / الأنبياء: ١٠٥.

فأبشروا يأمة محمد ﷺ أبشروا فأنتم ورثة هذه الأرض، أنتم الصالحون الذين ذكرهم مولانا في كتابه، لأن الإسلام هو الرسالة الخاتمة للشرائع الإلهية، فلنبق معاً على العهد على عقيدة التوحيد.

واسمعوا إلى البشارة من سيدنا محمد ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها» وهم بالشام فهنيئاً لكم يا أهل الشام هنيئاً لكم سيدنا محمداً ﷺ، وهنيئاً لكم عقيدة التوحيد، فمن كان من أمة التوحيد فليبق هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

الإنجيل الرباني

الحمد لله منزل الكتاب، ومفصل الكتاب فاتح أبواب الصواب، ومانح أسباب الثواب، أحمدته وهباته تنزل بغير حساب، وأعبده وإليه المرجع والمآب، وأرجوه وأخافه فبيده الثواب والعقاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مقدمات دلائلها مبينة الأسباب، ونتيجة اعتقادها جنة مفتحة الأبواب.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله وقد طال زمن الفترة، وحرّفت الشرائع والآداب، وبعد عهد النبوة فزال الحق وانجذب، فمنازل الهدى خراب، ومعاهده لا تعتاد ولا تنتاب، وللناس بالشهوات والشبهات إعجاب حتى أفرد النظر بالدنيا وادّعي تعدد الأرباب، فاختار الله سيدنا محمداً ﷺ من أشرف الأنساب وخيرة الأحساب، نذيراً بين يدي العذاب وبشيراً لمن أطاع الحق وأجاب.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

استغرق الشعب اليهودي في المادية وانحرف عن شريعة موسى بعد أن طال عليه الأمد، فقسّت قلوبهم وحرّفوا شريعة الله وتلاعبوا بنصوص التوراة وانحرفوا عن

طريق التوحيد الذي أقامهم عليه نبيهم، فأرسل الله تعالى سيدنا عيسى بشريعة جديدة روحية لم تخرج عن نطاق شريعة موسى إلا ببعض التشريعات المعدلة التي جاءت تخفيفاً على بني إسرائيل، وأهم خصائص رسالته أنه أرسل إلى اليهود، وبهذا جاءت الآيات القرآنية فعلى موجات سورة آل عمران: ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وعلى موجات سورة الأحقاف: ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابَ مُوسَىٰ إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾ فشريعة التوراة هي الأصل باعتبارها أساساً للتعامل في الديانات التي خص الله بها شعب بني إسرائيل، واسمع معي إلى هذه القضية يبينها السيد المسيح على الإذاعة القرآنية وهو يقول: ﴿ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرّم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون. إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ /آل عمران: ٥٠.

ولكن المشكلة التي وقعت فيها النصرانية هي انفصالها عن اليهودية الأم وتركها شريعة التوراة واستقلالها بديانة جديدة، عندها وجدت النصرانية نفسها بغير شريعة، فراح رجال الدين يشرعون لهم ما لم يأذن به الله، فلما عجزت المسيحية عن أن تكون نظاماً شاملاً للحياة البشرية اضطر أهلها إلى الفصل بين الدين والدولة.

كان هذا هو الموجز، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة التاسعة والتسعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

هذا هو دين الله، إنه التوحيد الذي توالى رسل الله جميعاً يدعون الناس إلى هذه الحقيقة الخالدة شعارهم واحد ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ /الأعراف: ٥٩ - ٦٥ - ٧٣ - ٨٥.

ورسالة السيد المسيح شأن غيرها من رسالات السماء، دعت إلى هذه الحقيقة، والله تعالى يقول على لسان السيد المسيح: ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ /المائدة: ١١٧/، كما دعاهم إلى التسامح والتقشف والزهد في الدنيا، وبشّر باليوم الآخر، ودعا اليهود إلى الاتصال بالله دون وساطة أحد من الكهنة، وهذه القضية بالذات صرحت بها الآيات القرآنية فعلى موجات سورة التوبة ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ /التوبة: ٣١/. لكن دعوته عليه الصلاة والسلام سرعان ما تبدلت لتقوم على أنقاضها المسيحية الحاضرة التي تنكرت لحقيقة التوحيد وجاءت بعقيدة التثليث المقتبسة من الفلسفة الوثنية التي كانت سائدة آنذاك.

أيها الإخوة:

والإنجيل الذي نحن بصددده اليوم معناه: البشرى أو البشارة. ويسمى اليوم عند النصارى بالعهد الجديد وهو أربعة أناجيل: إنجيل متى - إنجيل لوقا - إنجيل يوحنا - إنجيل مرقس.

كتبت كلّها بعد رفع سيدنا عيسى إلى السماء، وكلّها تدور حول حياة السيدة مريم وابنها السيد المسيح حسب معتقداتهم كما أنّ فيها الحديث عن سيدنا يحيى المسمى عندهم يوحنا المعمدان.

وليس في هذه الأناجيل من إملاء السيد المسيح شيء، وهذا بشهادة المؤرخين عندهم والنقاد الغربيين. بل إنّ من المقطوع به أن الإنجيل الرباني الذي أنزله الله على عبده ورسوله سيدنا عيسى غير هذه الأناجيل الموجودة اليوم لدى النصارى، فهذه الأناجيل دخل إليها التحريف والتبديل كما ذكره مولانا في كتابه

والناظر في هذه الأناجيل يجد بينها اختلافاً واضحاً، ثم إن مولانا أنزل إنجيلاً واحداً فكيف أصبحت أربعة أناجيل ؟ إن هذا لشيء عجاب.

ونحن في هذه العجالة نسأل: أين يوجد اليوم إنجيل المسيح الذي ذكره القرآن الكريم؟

إن الإنجيل الذي أنزل عليه غير موجود وإنما توجد قصص ألفها التلاميذ وغيرهم من بعدهم، لم تسلم كلها من التحريف والزيادة والحذف والمسوخ.

وهكذا - **معشر السادة** - نجد أنه على مرّ الزمان ترك الناس تعاليم السيد المسيح وعقيدة التوحيد، وضاع الإنجيل الحقيقي، وتمسك الناس بأناجيل ألفها الرهبان حتى كثرت الأناجيل كثرة فاحشة، حتى أصبح عددها احزروا كم؟ مئة إنجيل، مما أدى إلى أن الكنسية اختارت أربعة أناجيل.

أتدرون ما هذه الأناجيل؟

١- إن من هذه الأناجيل الأربعة من لم يعلم من هو مؤلفها الحقيقي كإنجيل مرقس، ٢- ومنها إنجيل لم يعلم من ترجمه من اللغة العبرية، ولا أين الأصل المترجم عنه حتى تتم المقارنة بينهما كإنجيل متى. ٣- ومنها إنجيل زعمت الكنيسة أن واضعه يوحنا أحد تلامذة المسيح، ولكن جمهوراً كبيراً من محققي النصارى ينكرون أنه قد ألفه، ويبينون أنه تأليف طالب من القرن الثاني الميلادي وهو إنجيل يوحنا. هذه الحقيقة ذكرتها دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمئة من علماء النصارى وإليك هذا النص منها:

(أما إنجيل يوحنا فإنه لا مزية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين وهما القديسان يوحنا ومتى).

وإليك الطامة الكبرى في الإنجيل الرابع لوقا الذي كتب بعد عشرين سنة من

رفع السيد المسيح، ولوقا هذا ليس من تلاميذ السيد المسيح اتفاقاً، ولا من تلاميذ تلاميذه، وإنما هو تلميذ بولس وما أدراك ما بولس؟ يهودي متعصب لليهودية كان يسيء إلى النصارى ويضطهدهم، فلما وجد أن هذا لا يجدي عمداً إلى طريق الحيلة، فماذا فعل؟

ادّعى هذا اليهودي أنه صرع، وفي حال صرعه لمسه السيد المسيح وزجره عن الإساءة لأتباعه، ومن ذلك الوقت آمن بالسيد المسيح، وأنه أرسله ليبشر بإنجيله، وانطلقت الحيلة على الكنيسة وراح يحرف في ديانتهم فأباح لهم أكل الميتة وشرب الخمر، وطامات أخر لا علاقة لها بتعاليم السيد المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

هذه هي الأناجيل الأربعة وهذه هي حقيقتها، وهناك إنجيل خامس لاتعترف به الكنيسة هو إنجيل برنابا، وبرنابا هذا هو القديس الحجة عندهم باتفاقهم وهو أحد الحوارين الاثني عشر حول السيد المسيح.

أتدرون - أيها الإخوة - لماذا لا تعترف الكنيسة به؟ هذه هي القضية الهامة اليوم؟

لأن في هذا الإنجيل الحياة الصحيحة للسيد المسيح المذكورة في القرآن الكريم، فقد خالف هذا الإنجيل الأناجيل الأربعة بعدد من النقاط أذكرها للأهمية:

أولاًها: يثبت أن سيدنا عيسى عبد الله ورسوله وينكر ألوهيته وكونه ابن الله.

ثانيها: يثبت أن الذبيح من ولدي إبراهيم هو سيدنا إسماعيل وليس سيدنا اسحق.

ثالثها: يبشر برسالة سيدنا محمد ﷺ بالاسم الصريح.

رابعها: يثبت أن عيسى لم يصلب بل رفع إلى السماء وأن الذي صلب هو يهوذا الاسخريوطي الخائن وقع شبه سيدنا عيسى عليه.

خامسها: يثبت كثيراً من الأصول الاعتقادية المتفقة مع أصول الشرائع الربانية.

هذه هي حقيقة الحقائق التي أنكرتها الكنيسة في السيد المسيح، ولهذا جاء القرآن مؤيداً ومؤكداً لهذه الحقيقة وأن هذه الحقائق موجودة فعلاً في الكتاب السماوي الرباني الذي أنزله ﷻ على السيد المسيح، ففي الإنجيل الهدى والنور والتصديق بالتوراة والموعظة، هذا ذكرته الموجات الإيمانية على سورة المائدة ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

وفي الإنجيل أحكام تشريعية نرى ذلك فيما قاله مولانا عز وجل: ﴿وَلِيَحْكُم أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ /المائدة/ وفي الإنجيل البشارة بسيدنا محمد ﷺ وذكر بعض صفاته ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ /الأعراف: ١٥٧/.

وفي الإنجيل صفة أصحاب سيدنا محمد ﷺ فعلى موجات سورة الفتح ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلِظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرْعَ لِيُغَيِّظَ بِهِ الْكُفَّارَ﴾.

إن مثل أصحاب سيدنا محمد ﷺ وهم حوله كزرع يبدأ صغيراً ضعيفاً فتظهر جذوره وعروقه من حوله فتحميه، فيشتد الزرع ويستغلظ فيعقب استواء الزرع على سوقه، يرى فيه الزراع عجباً عجباً لسرعة نموه وشدة قوته، وهكذا أصحاب سيدنا محمد ﷺ من حوله انتشر سلطانهم وامتد ظلهم بسرعة ملأت قلوب الباحثين في التاريخ الإنساني عجباً.

هذا هو ما نعتقده ونؤمن به ونلقى الله تعالى عليه فيما يتعلق بالإنجيل، لقد جاء سيدنا عيسى بالتوحيد، فليس في الإنجيل السماوي شرك ولا تثليث ولا أن سيدنا عيسى ابن الله، ولهذا رد القرآن على النصارى زورهم وضلالهم وبهتانهم في شأن السيد المسيح فقال جل ثناؤه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولَهُ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ / النساء: ١٧١ / جلّ الله أن يتخذ ولداً أو صاحبة فهو الإله المستغني عن كل ما سواه، هذه هي عقيدتنا إنما الله إله واحد، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون، ولو كره الكافرون، ولو كره الملحدون، كلنا ما جاء إلى هنا إلا ليعلم بأنه موحد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله وسيدنا عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، اللهم اقبل شهادتنا.

ولهذا وقف مرة سيدنا رسول الله ﷺ على المنبر ووجه سؤالاً إلى الصحابة الكرام سألهم: هل فيكم غريب؟ يعني أهل الكتاب؟ قالوا ما فينا غريب يا رسول الله. فأمرهم بغلق باب المسجد ثم قال لهم: ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله. عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق.

يقول الصحابة فرفعنا أيدينا ساعة. ثم قال ﷺ: الحمد لله اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد ثم قال: ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم».

وأنا أنقل لكم هذه البشارة قوموا فقد غفر الله لكم.

هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وجوب الإيمان بالقرآن الكريم

الحمد لله منزل القرآن وخالق الإنسان، علمه البيان، الذي استوى على العرش وزين السماء بالكواكب وجعلها ببعثة نبينا رجوماً لكل شيطان، قضى وقدر فلا قائل لتقديره لم كان، فسبحان من سبّحته غرائب اللغة باختلاف الألحان.

أحمده على نعمه التي عمت الآباء والأبناء والإخوان، وأشكره والشكر أولى ما استعمل فيه الإنسان اللسان والجنان، وأستعينه وأستهديه فما خاب من استهداه واستعان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك المَنَّان، شهادة من شهد بها فهي له نجاة وأمان، وكلمة لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً على الإنسان.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالحنيفية السمحة إلى الأحمر والأسود من إنس وجان، الذي أُعطي فواتح الكلم وجوامعه واختار الله له خير الكلام القرآن، أول الناس خروجاً إذا بعثوا وخطيبهم إذا وفدوا إلى الملك الديان.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكننا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

أبدأ اليوم معكم الحديث عن كتاب العلم العلام ذي الجلال والإكرام، الكتاب العزيز والكتاب الحكيم الجامع لأصناف الحكمة، إنه القرآن والفرقان والهدى

والبيان والتبيان والنور والبصائر، فيه العبرة لمن يخشى والعبرة لأولي البصائر والأبصار، لا يَخْلُقُ على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا تحدُّ فضائله ومناقبه، ترى فيه الحجة والبرهان كأنها أمام عينيك، تراها متعاقبة على مدى العصور وتعاقب الدهور، فيه مع الإيجاز الإعجاز، ومع الهدى البينات، وفيه منهج السعادة الأبدية.

فإذا بحثت عن العقائد فلقد جاءك القرآن بأقومها، وإذا بحثت عن الشرائع فلقد جاءك بأحكمها، وإذا بحثت عن الأخلاق فلقد جاءك بأكملها، وإذا بحثت عن الآداب فلقد جاءك بأرفعها، وإذا بحثت عن القصص فقد جاءك بأحسنها، وإذا بحثت عن العلوم جاءك بأوسعها، وإذا بحثت عن العوالم جاءك بالخير عن أعلاها وأسفلها، وإذا بحثت عن معرفة نفسك جاءك بالبيان عن خصائصها وصفاتها ومقاماتها ومنازلها، وإذا بحثت عن أخبار الماضين جاءك القرآن بأصحها وأصدقها، وإذا بحثت عن الأمثال فقد جاءك بأمثلها، وإذا سألت عن العوالم الآتية جاءك القرآن بالجواب الشافي والدليل الكافي. إنه كما قال فيه مولانا: ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدىً ورحمةً لقوم يؤمنون﴾ /الأعراف: ٢٥/، ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وكفى بالله شهيداً﴾ /النحل: ٨٩/، ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ /الإسراء/، ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ /فصلت: ٤٢/.

إننا باختصار - معشر السادة - مع الحلقة المئة من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية.

ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها السادة:

بعث الله نبينا إلى العالم أجمع ومعه نور من الله يضيء للعقول طرق التفكير والتذكر والتبصر، فيه يعلمون الحق علماً جازماً، وتستنير قلوبهم فيؤمنون إيماناً صادقاً

بلاشك ولا ارتياب، اسمع إلى مولانا يوضح لنا هذه القضية: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ /البقرة: ١٥١/.

وأعظم منة منها ﷻ على العرب أن أنزل كتابه قرآنً عربياً كرامة لهذه الأمة ليفهموه ويعقلوه، فعلى موجات سورة يونس: ﴿الر. تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنً عربياً لعلكم تعقلون﴾.

اسمعتم - أيها الإخوة - إنا أنزلناه: نحن ﷻ أنزلنا هذا الكتاب، فلم يكن هذا القرآن من عند رسول ﷻ ولا أخذه من كتب من قبله، بل هو تنزيل من حكيم عليهم، هذه قضية يجب الإيمان بها، اسمع إلى مولانا يقرر هذه الحقيقة التنزيلية: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لا رتاب المبطلون﴾ /العنكبوت: ٤٨/. ﴿وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾ /النمل: ٦/. ولهذا وبخ سبحانه العرب الذين أعرضوا عن هذا الكتاب الكريم فقال عز من قائل ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ /الأنبياء: ١٠/.

أسمعتم - أيها المسلمون - هذا الكتاب فيه ذكركم، فيه عزكم، فيه شرفكم، فيه رفعتكم أفلا تعقلون.

إنها دعوة للوقوف عند حدود هذا الكتاب وعدم تجاوز أوامره ونواهيه، لأن كل من أعرض عن القرآن سيجري فيه ما جرى لكفار مكة عندما أعرضوا عنه، نعم أعرضوا بهذا صرحت الآيات القرآنية:

﴿كتاب فصلت آياته قرآنً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ /فصلت: ٣/. ﴿وانك لتدعوهم إلى صراط مستقيم. وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾ /المؤمنون: ٧٣/.

أسمعتهم أيها السادة: إن الكفار ليعلمون علم اليقين أن القرآن حق وصدق، ولكنهم بآيات الله يجهلون، أنكروها بعدما عرفوا حقيقتها، وكذبوا بها بعدما عقلوها، وكانوا بها يستهزئون.

أيها الإخوة:

تعالوا بنا نشهد هذا المشهد العظيم، مشهد اعترفت فيه صناديد الكفر بأن القرآن حق: إذ أن الوليد بن المغيرة جاء إلى سيدنا رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن الكريم فكأن الوليد رق له، فبلغ ذلك كبير الأندال أبا جهل فأتاه فقال له: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوه لك فإنك أتيت محمداً لتتعرض لما قبله. فقال الوليد: قد علمت قريش أنني من أكثرهم مالاً.

فقال أبو جهل: فقل في القرآن قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له. فقال الوليد: فماذا أقول: فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، فوالله ما يشبه الذي يقول محمد شيئاً من هذه، والله إن لقوله لحلاوة، وإنّ عليه لطاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنّّه ليعلو وما يعلى عليه، فقال له أبو جهل: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. فقال الوليد لأبي جهل: فدعني حتى أفكر، ففكر ثم فكر ثم قدر فقال: هذا سحر يؤثر، أي ينقله سيدنا محمد ﷺ عن غيره.

وهنا انتصر رب العزة لنبيه وكتابه، فأرسل أمين وحي السماء يطوي السبع الطباق نزل عليه بقوله تعالى ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً وَبَنِينَ شُهُوداً وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ، كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً، سَأَرَّهُنَّ صَعُوداً إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ. سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ وَمَا أدْرَاكَ مَا سَقَرٌ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ /المذثر/.

إنما العصبية الجاهلية التي كسر شوكتها الإسلام، كان كفار مكة يقولون: إنَّ القرآن شعر أو حديث مفترى أو أساطير الأولين، أو كانوا يقولون: إنما يعلمه بشر، رأيتم مثل هذا التناقض في أقوالهم، وهذا أكبر دليل على كذبهم، وكان رسول الله ﷺ يتضايق من كذبهم وافترائهم على القرآن، ولهذا طيَّب الله ﷻ خاطر حبيبه. اسمعوا ماذا قال له: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتَاتِ اللَّهُ يَحْجِدُونَ﴾ /الأنعام: ٣٣/.

سيندمون غداً، كل المكذبين للقرآن، كل الظلمة والمتحجرين وأهل الكفر والضلال سيندمون غداً ولات ساعة مندم، لأنهم اتخذوا القرآن ظهرياً، جعلوه خلف ظهورهم ونبذوه وراءهم، ولقد حدَّثنا القرآن عن ندمهم غداً وهم بين أطباق النيران يعذبون، إنه لمشهد رهيب سطرته الإذاعة القرآنية على موجات سورة تبارك: ﴿كَلِمَا أَلْقِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ، قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ. وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ /الملك/.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ: قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ /النساء: ١٧٤/. هذا هو النداء الذي وجهه القائد الأعلى للأمة، وجهه لجميع عقلاء العالم، فمنهم من أجاب ونجى، ومنهم من أعرض وهلك، وأما أكثم بن صيفي فقد أرسل ولديه إلى سيدنا رسول الله ﷺ ليستفسر عن هذه الدعوة.

أيها الإخوة:

اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك إلى سيد العالمين وقائد الغر المحجلين، إلى النبي الأمي الذي علم المتعلمين، تعالوا بنا إلى النبي الأمين لأشهد معكم هذه القضية الإيمانية، فإن ولدا أكثم بن صيفي قدما على الحبيب الأعظم وسألاه ثلاثة أسئلة: من أنت؟ وما أنت؟ وبم جئت به؟.

وهنا قال سيدنا رسول الله ﷺ: أما من أنا: فأنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (أي أنا المعروف في شرف نسبه وحسبه فوق كل نسب وحسب).

وأما ما أنا: فأنا عبد الله ورسوله.

جئتمكم بقول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ /النحل: ٩٠.

فلما رجعا إلى أبيهما وأبلغاه الأجوبة الثلاثة، وقرأ عليه تلك الآية الكريمة الجامعة فقال لمن حوله: يابني إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ملامئها، فكونوا في هذا الأمر رؤوساً ولا تكونوا فيه أذناً.

هذه النصيحة الغالية، من أراد أن يكون زعيماً أو رئيساً أو قائداً فليتمسك بكتاب الله تعالى، من أراد عزاً فليتبّع القرآن، إن كنت تريد عزاً فهو في كلام الله فله العزة جميعاً، وهو ربّ العزة، وإن كنت تجلّ كلام العظماء والكبراء فلا أعظم ولا أجلّ ولا أكبر من الله تعالى الذي له الكبرياء.

اجعل بربك كل عز لك يستقر ويشبث

فإن اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

الشرعة في العبادات

الحمد لله الذي خلق الخليقة وأعمالها، وردّها بنور الهداية عن الغواية وأمالها، وأمدّها بالعناية الربانية فقَصَرَ آمالها.

أحمده سبحانه وتعالى حمد من احتسى من النعم زلالها واكتسى سريالها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تثبت بها الأقدام إذا زلزلت الأرض زلزالها. وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله والجاهلية تشرع ضلالها، فلم يزل ﷺ يكثر جدالها ويضيق مجالها ويعرف خيلها ورجالها حتى عرفت مرامها وعافت الدنيا إذ عرفت زوالها.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

القرآن دستور المسلمين، وهو الأصل الأول لشرعة الإسلام وقد قامت الحجة القاطعة عند من نظر في القرآن وعرف أسلوبه وتدبر معناه ثم أحاط بنشأة سيدنا محمد ﷺ والبيئة التي نبت منها وتقلب فيها، (من عرف ذلك علم) أنه لا يمكن أن يكون من صنع سيدنا محمد ﷺ ولا من صنع بشر تلقاه عنه، وبذلك آمن من خضع قلبه للحق بأنه من الله ﷻ أوحاه إلى نبيه ومصطفاه، ولهذا كان القرآن عندنا

(عند من آمنوا به) مصدراً لعقائد الدين ولأصول أحكامه وشرائعه.

وقد سجل الله تعالى في كتابه القرآن عجز البشر عن الإتيان بمثله، وجابه المعرضين عنه بالعجز الدائم المستمر، فقال عز من قائل: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ /البقرة: ٢٣/.

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ /الإسراء: ٨٨/.

أيها الإخوة:

هذا هو التحدي، ومن هنا تكمن قضية الإعجاز القرآني، ومن هذا القرآن عرفنا أن الإسلام له شعبتان أساسيتان، لا توجد حقيقته ولا يتحقق معناه إلا إذا جعل الإنسان قلبه وحياته مطبقاً لهاتين الشعبتين: إنهما العقيدة والشرعة. أما العقيدة فقد أجمع المسلمون عليها وتم تقريرها من يوم أن فتحنا ملف العقيدة، وكانت أول ما دعا إليه رسول الله ﷺ وبقي طيلة حياته الشريفة يدعو إليها.

وأما الشرعة فهي المنهج الحياتي للمسلم، إنها النظم التي شرعها الله أو شرع أصولها ليأخذ الإنسان بها نفسه، نرى ذلك في خمس نقاط أذكرها لكم: الأولى: نراها في علاقة العبد بربه عز وجل يؤدي فيها العبد الواجبات الدينية والصوم.

الثانية: علاقته بأخيه المسلم يتبادل معه المحبة والتناصر والتعاون في حياته الخاصة والعامة وتكوين الأسرة.

الثالثة: علاقته بأخيه الإنسان فيتعاون معه في تقدم الحياة العامة والسلم العام.

الرابعة: علاقته بالكون نرى ذلك في حرية البحث والنظر والرأي والفكر.
الخامسة: علاقته بالحياة نراها بالتمتع بلذائذ الحياة من الحلال دون إسراف أو تقشف.

هذه منهجية القرآن إنه شرع مستقيم لجميع جوانب حياتنا، وقد عبر القرآن عن العقيدة: بالإيمان، وعن الشريعة بالعمل الصالح اسمع إلى مولانا عز وجل يقول على الموجات العاملة من سورة الكهف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.

اسمعتم: آمنوا وعملوا، فالعقيدة هي الأصل الذي تبنى عليه الشريعة، والشرع تبع، وعليه فمن آمن بالعقيدة وجد الشريعة، أو أخذ بالشريعة وأهدر العقيدة لا يكون مسلماً عند الله ولا عند الناس.

فنحن اليوم - معشر السادة - نقف وقفنا مع الشريعة إننا باختصار مع الحلقة الأولى بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

إخوة الإيمان:

أبدأ معكم اليوم سلسلة ممتدة أحلل معكم آية واحدة من القرآن، إنها شعار القرآن، بل وحيمة المسلم الحق هي قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ / الإسراء/.

عليك أيها المسلم أن تحفظ هذه الآية وتعيها وتفهم مدلولها لأنها الدستور الأعظم في البيت والمدرسة، في المعمل والثكنة، في الشارع والمسجد، نعم في المسجد أيضاً لأن القرآن دستور الأمة في العبادات، ولهذا بدأ الله كتابه الكريم بعد سورة

الفاتحة بآيات تتضمن الحياة العملية للمسلم الحق اسمعها وغذ بها روحك: ﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾.

إنها الصلاة والزكاة، الصلاة عنوان شخصية المسلم فهي الدليل على صدق العبد مع ربه، ويستحق بها أن يكون أخاً للمؤمنين هكذا قرر الكتب المبين: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ /التوبة: ١١/.

إنه لشرف عظيم أن أقف بين يدي مولانا عز وجل، ولهذا كان للصلاة أثرها في تهذيب النفوس، وأنها تقي الفاحشة والمنكر، وتطهر من غرائز الشر وصدق الله العظيم ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهعن الفحشاء والمنكر﴾ /العنكبوت: ٤٥/، ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً. إذا مسه الشر جزوعاً. وإذا مسه الخير منوعاً. إلا المصلين. الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ /المعارج/. فتعالوا لنر كيف صور القرآن الوجه الآخر والصورة المقابلة.

إن القرآن جعل ترك الصلاة عنواناً للانغماس في الشهوات وسبيل الوقوع في الغي والضلال، بل سبباً من أسباب الخلود في النار، اسمع إلى مولانا يقرر هذه الحقيقة فيقول: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾ /مریم: ٥٩/. واسمعه يبين ذلك بوضوح وتفصيل: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين، سلككم في سقر، قالوا لم نك من المصلين، ولم نك نطعم المسكين، وكنا نخوض مع الخائضين، وكنا نكذب بيوم الدين، حتى أتانا اليقين﴾ /المثدر/.

إنها جرائم متعددة وكبائر عظيمة من بينها ترك الصلاة، ولهذا قال العلماء إن تارك الصلاة مكذب بيوم الدين، من يغفل عن الصلاة مكذب بيوم الدين، نعم

والدليل: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِينَ يَكْذِبُ بِالَّذِينَ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ، وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ، فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يَرَأَوْنَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ /الماعون/.

أيها السادة:

إن من ذاق معنى الصلوات الخمس ذاق معنى العبودية لله، ورأى أنها رحلات إلهية إلى الله تعالى، يستمد فيها العبد العون والنصر والصبر، وتصغر أمامها مشاق الحياة وكدرها، ألم يقل مولانا عز وجل: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ، الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ /البقرة: ٤٥/. ولهذا جعل الله فيها كافة أنواع العبودية وجعلها مظهراً لتعظيمه وعبادته.

حقاً - أيها الإخوة - إننا متعبدون بالصلاة والزكاة والصيام والحج.

فالزكاة هي المظهر الثاني لامتنال أوامر الرب جل جلاله، شرعها لسد حاجة الفقير وإقامة للمصالح، فقد استودع الله بين أيدينا المال وجعلنا خلفاء عليه لنضعه حيث أمرنا، اسمع إلى مولانا يقرر لنا هذه القضية الإيمانية فيقول: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ /الحديد: ٧/ وأما أولئك الذين لا يؤدّون حق الله في مالهم فقد توعدهم القرآن بالعذاب الأليم: ﴿الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِشْرِهِمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ /التوبة: ٣٤/.

اسمعتم ولا ينفقونها في سبيل الله، وسبيل الله هي إحدى المصارف الزكوية التي فرضها الله في كتابه حيث عدّ أصنافاً ثمانية: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ /التوبة: ٦٠/.

وأما المظهر الثالث للعبادة فهي الصوم إنها العبادة التي يمتنع فيها العبد القادر في شهر رمضان عن الأكل والشرب وشهوة الفرج من الفجر إلى غروب الشمس بقصد امتثال أمر الله تعالى.

وقد جمع القرآن آيات الصيام في سورة واحدة ويكفيها دليلاً على فرضية الصيام قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ /البقرة/ وهذا هو سبب فرضيته: التقوى أي غرس خلق المراقبة في نفوس المؤمنين للسيطرة على نوازع الشهوة والهوى ودوافع الغضب والانتقام، وبهذا تتحقق حكمة الله في التعبد بالصوم فتزكو نفسه ويصفو قلبه وتتهذب روحه.

إنها المدرسة القرآنية التي جردت العبد من حقوق الترف والزينة وتدريبه على مشاق العبادة، نرى ذلك خاصة في عبادة الحج التي فرضها الله زمن خليله، واختار لها من شهور السنة شوال وذي القعدة وذي الحجة، ولأن القرآن دستور المسلمين في العبادات فقد ذكر مولانا الأحكام الرئيسة للمناسك في سورة البقرة وغيرها: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب، ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم. فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذاكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، أولئك لهم

نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب، واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون ﴿البقرة/﴾.

وذكر القرآن قضية الذبح والهدي في سورتي الحج والمائدة ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر وكذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون﴾.

وهكذا - معشر السادة - يفد إلى بيت الله الحرام جميع طبقات المجتمع نراهم وقد نشرت عليهم مكة أجنحتها، وجمعتهم بكلمة التوحيد حول بيت الله، فيتعارفون ويتشاورون ويتعاونون، ثم يعودون إلى بلادهم أمّة واحدة متحدة القلب متحدة الشعور والإحساس. إنها المنافع التي ذكرها مولانا بقوله ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ /الحج: ٢٨/.

أندرون - أيها الإخوة - لقد عرفت البشرية خلال ربح كبير من الزمن أسلحة عديدة أعدت للتخريب والتدمير وترويع الإنسانية، فكان لابد أن يكون للمسلمين بإزاء هذه القوة الغاشمة اجتماع عام شامل يحددون فيه موقفهم ويشهدون به منافعهم التي تقيهم وتقي العالم شر ذلك الطيش الذي يقضي على الأمن والسلام، ألا فليعلم العالم أن الحج من أقوى وسائل السلم المسلح، إن الحج ليس مجرد فعل المناسك حول بيت الله الحرام، وإنما هو وحدة الكلمة ووحدة الصف الإسلامي، إنّ الحج إلى بيت الله قوة الإسلام، انه ردّ على خصوم الإسلام الذين يدّعون تفرق كلمة المسلمين، إن الأمة كلها تسير من شرق وغرب من جميع الأقطار يهرعون إلى البيت العتيق بحكم الدين، لا بحكم المطامع ولا بدعوة من الأشخاص، إنما الذي دعاهم هم الله والله وحده، هذا هو دين الله ﴿إن هذا القرآن يهدي

للتى هي أقوم ﴿١٠٠﴾ / الإسراء / .

إننا هنا في مدرسة القرآن من مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد

الله.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

هداية القرآن للأسرة

(الترغيب)

الحمد لله الذي جعل من ألطافه أن خلق من الماء بشراً، وجعله نسباً وصهرًا، وسلط على الخلق شهوة اضطهرهم بها إلى الزواج جبراً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عظم أمر الأنساب فجعل لها قدراً.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله ندبنا إلى النكاح وحثّ عليه استحباباً وأمرنا وأنزل عليه مولانا: ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإيمانكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾. سيدي أبا القاسم يارسول الله:

ياداعياً للواحد الديان يهازماً للبغي والطغيان
يارافعاً صوت العدالة عالياً ومؤذناً في الناس بالقرآن

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

وقفت معكم في الجمعة الماضية في رحاب القرآن الكريم الأصل الجامع لحقيقة الإسلام الذي أرشدنا إلى أن الإسلام عقيدة وشريعة، وكنت قد رفعت معكم شعار

القرآن ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾. وقفنا مع الشريعة فوجدنا أنها قسمان: عبادات ومعاملات.

والمقصود بالمعاملات الأحكام الأسرية والإرثية وما يتعلق بالمبادلات المالية والعقوبات، وإذا كنت قد قدمت لكم الحديث عن العبادات فأقف اليوم بينكم مستمداً من عظمة القرآن في هدايته للأسرة، أقف بينكم لنتناول هذا الموضوع الهام الذي أصبح شائكاً ومعقداً نعم، لقد أصبح الزواج في أيامنا صعباً، فإذا عثر الإنسان على زوجة صالحة فقد لا يجد مسكناً يؤويه، وإذا وجد المسكن قد لا يجد قيمته أو فروغه المحرم شرعاً، وإذا وجد الفروغ قد لا يجد ما يشتري به الأثاث، فما هو الحل؟

ما هو الحل وقد طغت في مجتمعنا الماديات على المعنويات، طغت فيه المادة بكثافتها على الروح بلطافتها، وهبطت الإنسانية من مدارج الأفلاك إلى مسابح الأسماك، فنزلت من مناط الثريا لتتمرغ في مضمار الثرى، فما هو الحل؟
الحل أن نعود إلى الإسلام لنرى كيف بنى القرآن الأسرة، ما هي هداية القرآن للأسرة؟

أيها الإخوة:

أجيب عن هذا السؤال باذن الله تعالى مع الدرس الثاني بعد المئة من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ / الروم: ٢١. ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾ / الفرقان:

٧٤./ ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ /النور: ٣٢./
 وأنكحوا: زوجوا - الأيامي: جمع أيم وهي العازب ذكراً كان أو أنثى بكرةً أو ثيباً.

عبادكم: المراد بهم المملوكين الذكور - إمائكم: المملوكات الإناث.
 يقول جدي ابن عباس في هذه الآية: رغبتهم الله في التزويج وأمر به الأحرار والعبيد ووعدهم عليه بالغنى.
 وقال صدّيق الأمة: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى.
 واسمع معي إلى قول سيد الأنبياء والرسل الكرام يقول: «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله».
 إخوة الإيمان: شرع الله النكاح لإصلاح الحياة باخراج الذرية الطيبة والنسل الصالح من التلاقي بين المرء وزوجه، وأمر الله المؤمنين بالإنكاح ورغبتهم بالزواج قال جل شأنه:
 ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ /النساء: ٣./

فالزواج يجمع بين الأنساب المتباعدة والأرحام المتقاطعة، فتتألف القلوب وتتوحد، والمرأة الصالحة تعين زوجها على الآخرة، وتساعد في شؤون الحياة، فإذا تم له ما أراد ومن الله عليه بالمرأة الذاكرة العابدة الصالحة فقد استكمل نصف الدين.
 أيها الإخوة:

انتقل بكم الآن إلى الناطق الرسمي عن رب العالمين، إلى صاحب الرسالة العصماء، وقائد المسلمين الأعظم وسيد الإنسانية جمعاء سيدنا ومولانا محمد ﷺ

لنسمع أوامره التي وجهها للأمة الإسلامية يقول: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني».

هذه هي أوامر الدين، وأوامر الدين تأبى على الإنسان أن يمتنع عن الزواج بدون سبب، أو أن ينقّر غيره منه، لما في الامتناع عن الزواج والإحجام عنه من امتهان لتلك الأوامر ولما يجلب من المفاسد والخلافات بين الناس.

فاتقوا الله أيها الآباء في أبنائكم وبناتكم، وزوجوا من استحق الزواج ولا تعطلوا سنة الإسلام، ولا تشترطوا شروطاً ليست من الدين في شيء، فقد ورد في حديث البخاري عن أنس بن مالك قال: «جاء رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ والله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي ولا أنام أبداً، وقال آخر: وأنا أصوم ولا أفطر أبداً، وقال الثالث: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».

هذه رسالة الإيمان لأمة سيدنا محمد ﷺ ليسمع الشباب «من رغب عن سنتي فليس مني»، هذا الحديث نداء للشباب بالذات، لأن مرحلة الشباب أخطر المراحل في مشوار الحياة، ولهذا فقد أذاعت الإذاعة الرحمانية بياناً على لسان سيدنا محمد ﷺ قال فيها الحبيب الأعظم: «استوصوا بالشباب خيراً فإنهم أرق أفئدة، وإن الله ابتعثني بالحنيفية السمحة فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ».

الشباب وما أصعب مراحل الشباب، لاسيما في مجتمع كمجتمعنا أصبحت السنة فيه بدعة، والبدعة فيه سنة، مجتمع لا يعرف من الإسلام إلا اسمه ولا من المصحف إلا رسمه، همهم بطونهم وقبلتهم نساؤهم، إذا رأوك حسدوك وإذا تواريت

عنهم اغتابوك.

إن تعطيل الشباب لأمر الزواج اليوم يؤدي إلى فجورهم وفسوقهم وحرمانهم من نعمة قيادة الأسرة ونعمة الولد، وسوف يجز هذا الحال إلى قلة النسل وانحلال الأمة، وسوف يتبع الناس شهواتهم فتهمي الأمة إلى مهالك الرذيلة.

ولا أنسى إن نسيت ذلك الموقف الذي كان بطله شاب من الشباب الذي دخل على القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ فقال: يا رسول الله! ائذن لي بالزنا وثارت ثائرة الصحب الكرام، ولكن طيب القلوب قال: دعوه. أقبل يافتي، ماذا تريد، قال ائذن لي بالزنا، فماذا فعل طيب القلوب؟

هل قام بضرب الفتى على وجهه، هل أمر به فعلقه من رجليه، هل حبسه في زنزانة انفرادية كما يفعل الظلمة في فلسطين، ماذا فعل معه الحبيب المصطفى؟:

دوايت مئتداً ودأوا طفرة	وأخص من بعض الدواء الداء
وإذا رحمت فأنت أم أو أب	هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة	للحق لا ضغن ولا شحنةاء
وإذا عفوت فقادراً ومقدراً	لا يستهين بعفوك الجهلاء

ماذا قال الحبيب للشباب المريض الذي غلبت عليه شقوته لما ثارت شهوته، والشهوة مارء إذا لم يجد من يروضه دمر الأخضر واليابس، وتعلمون تماماً ما يجري في الصيف من العالم اليوم من أموال العرب.

سأله - أيها الشاب ماذا تريد؟

قال ائذن لي بالزنا، وهنا أيقظ رسول الله ﷺ ضمير الشاب الذي غفا ونام على هدمدة الشهوات وضعف الوازع الديني فيه، قال له: أفترضاه لأملك؟. سؤال وقع على رأس الشاب كالصاعقة فاستقر في قلب الشاب فاستيقظ ضميره، وقال مباشرة: لا يا رسول الله! جعلني الله فداك، قال: فكذلك الناس لا يرضون لأمهاهم. قال أفترضاه لأختك؟ لعمتك؟ لخالتك؟، والشباب يقول: لا، لا، لا

يا رسول الله جعلني الله فداك.

وبعد هذه المقدمات جاءت النتيجة الحتمية: إذا كنت لا ترضاه لهؤلاء فكيف ترضاه لنفسك، وهنا تقدم الشاب من طبيب القلوب وطلب دواء من صيدلية سيدنا محمد ﷺ، قال له: يا رسول الله سل الله أن يهديني.

معشر السادة:

أنتقل بكم الآن إلى صيدلية سيدنا محمد ﷺ مدّ رسول الله يده على صدر الشاب وقال: الله اغفر ذنبه وحسن فرجه وطهر قلبه.

فهل نفع دواء رسول الله اسمعوا ماذا قال المريض بعد الجلسة الطبية الإيمانية قال: فخرجت من عند رسول الله وما شيء أبغض إلي من الزنا ولا أحد أحب إلي من رسول الله.

الدواء أن نعود إلى شرع الإسلام، أن نعود إلى الدواء الذي وصفه لنا رسول الله عندما قال: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

إننا نرى اليوم بواذر هذا الفساد، وقد علمنا الداء وبأيدينا الدواء، لقد أعمانا السير وراء المدنية الحديثة وسلبت من أكثرنا العقول، فافيقوا من غفلتكم وارجعوا إلى أحكام شريعتكم وزوجوا البنين والبنات ولا تتكلفوا النفقات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وفتشوا عن الدين والخلق قبل أن تفتشوا عن المال والجمال.

إن طبيب القلوب يبين لنا حقيقة هامة: أن الدين والخلق جوهران باقيان يصحبان المرء في مشوار الحياة، فكم من موسر غني شرس الأخلاق سيء المعاملة قد أشقى زوجته وجعل البيت في جحيم يلتهب وسعير يتقد، وكم من فقير تزوج وهو متدين وخلوق قد أسعد زوجته وجعلها في سعادة أبدية، وكم من فقير تزوج وهو لا يملك إلا نفسه وزوجه وبعد فترة من الزمن أصبح من كبار الأغنياء، نحن

أغنياء بالدين، أغنياء بالأخلاق، وصدق الله العظيم ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يَغْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ /النور: ٣٢/ كم من غني تزوج بأبهي الحلل والزينة ثم بعد قليل أصبح من أفقر البشر، والدنيا تقبل وتدبر وياأخذ القرد على ماله...

لقد أثبت التاريخ أن المال ظل زائل، وعرض حائل، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً.

هذه صرخات الإيمان القرآنية، الدين، الدين، حتى المرأة تنكح فيفضل الدين على بقية الصفات اسمع إلى الأمر النبوي المقدس: «تنكح المرأة على إحدى خصال وفي رواية لأربع: لجمالها ومالها وخلقها ودينها، فعليك بذات الدين تربت يمينك».

وصية أكيدة من حبيبك سيدنا محمد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، اختر الدين، ولهذا نهى نهياً أكيداً في الاعتماد على مجرد الجمال أو الحسب أو المال، لأن صاحب الدين والخلق يقدر الرابطة الزوجية حق قدرها، ألا تسمع معي إلى سيدنا محمد ﷺ يقول: «من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلاً (زوج الست)، ومن تزوجها لمالها لم يزد الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة، ومن تزوجها لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن نفسه بارك الله له فيها وبارك لها فيه».

اتبعوا وصايا رسول الله ﷺ، اتبعوا وصايا القرآن فهي الصحيحة، هي الحقيقة، هي الأسلوب الأمثل للحياة، فكيف بنى الإسلام الأسرة أعلق هذا السؤال لأجيب عنه لاحقاً باذن الله تعالى.

وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة القرآن من مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

هداية القرآن للأسرة

(مقدمات النكاح وأركانه وحقوق الزوجين)

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مقدر الأقدار، مصرف الأمور، مكور الليل على النهار، تبصرة لأولي القلوب والأبصار. الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار، ووفق من اجتبه من عبده فجعله من المقربين الأبرار.

أحمده سبحانه أبلغ الحمد على جميع نعمه وأسأله المزيد من فضله وكرمه.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغ القاصد من فضله
سؤله وأمله وتنبئه من بحر جوده ما قصده وأمله.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وحبيبه وخليفه المؤيد بأنواع المعجزات الباهرة، الذي لا تحصى نعوته الشريفة ومناقبه، ولا تعد ولا تحصر آياته المنيفة ومواهبه.

أغر عليه من النبوة خاتم	من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم إليه اسم النبي إلى اسمه	إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليحله	فدو العرش محمود وهذا محمد

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم
سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين،
وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين،
وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم
تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

خلق الله الإنسان وسواه ونفخ فيه من روحه، ثم منحه العقل والتفكير وفضله على كثير من خلقه، واستخلفه في أرضه وسخر له عوالم كونه، ثم هياً له مبادئ الروابط السامية التي يرتفع بها عن حضيض الحيوانية البحتة وتدعوه إلى التعاون مع بني نوعه لعمارة الكون ببني الإنسان عن طريق الزواج. وهذه القضية دعا إليها القرآن الكريم، وبين أنها السر في بقاء الإنسان في هذه الحياة عن طريق الأبناء والأحفاد، وأنهم السبب في سكون القلب واطمئنان النفس وراحة الضمير.

وهذه القضية بالذات كنت قد علقتها معكم تطبيقاً لشعار القرآن ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ /الإسراء/.

وتحت شعار هداية القرآن للأسرة أجب اليوم عن هذه القضية مع الحلقة الثالثة بعد المئة الأولى من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية. ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ /النساء: ١/.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ /النحل: ٧٢/.

أيها الإخوة:

نظر القرآن إلى الزواج هذه النظرة السامية في حياة الفرد والأسرة والأمة، فنوه بشأنه ورفعته عن أن يكون عقداً تتم التزاماته بالايجاب والقبول وشهادة الشهود، فجعله ميثاقاً يجب المحافظة عليه والوفاء به بل جعله ميثاقاً غليظاً وعهداً قوياً، يتعذر

حله فيربط القلوب ويحفظ المصالح ويندمج به كل من الزوجين في صاحبه، فيتحد شعورهما وتلتقي رغباتهما، عقد لا يمكن تناسيه ولا تقع الغفلة عنه حتى بعد انتهاء أجله، واسمعوا معي إلى هذه القضايا يصرح بها القرآن الكريم على موجات سورة النساء ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتهم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾ /النساء: ٢٠/.

وتعالوا معي لتدبر قوله تعالى في شأن العلاقة الزوجية بين الزوجين: إنه قوله ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ /البقرة/ أترون مثل هذه العلاقة كيف ربطها القرآن أسمى ترابط واندماج، ولهذا وضع القرآن أسساً للحياة الزوجية تقوم على الفضيلة والحق.

فما أن يبدأ العبد باختيار الزوجة على أساس الدين والخلق الحسن حتى نرى الإسلام يوصي بخطوة ثانية هي خطوة الخطبة، خطوة الاختيار عن طريق الحس مشاهدة واستماعاً: يرى وجهها ويديها ويستمتع حديثها.

وبهذا الاختبار يتعرف كل من الطرفين ما لصاحبه من المزايا الجسمية والصوتية والفكرية لتحصل بينهما الملاءمة والموافقة، والأحاديث التي تبيح للخاطب أن يرى مخطوبته كثيرة، منها قول نبينا ﷺ للمغيرة بن شعبة وقد خطب امرأة: انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما، وقوله ﷺ (ق - أحمد - د): «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر فيها اختلف».

وأما ما يفعله بعض الناس اليوم مع الخاطبين والمخطوبات وقد رفعت بينهما الحجب الشرعية في الخلوة والأسفار والمنتزهات فهو شر مستطير يعود بالآثار السيئة على المجتمع.

وبعد هذه المرحلة أوجبت الشريعة تمام الرضا من الطرفين، وجعلته شرطاً في صحة العقد، وخاصة إذا كانت ثيباً، فأمرت الولي بأمرين:

الأمر الأول: أن يأخذ رأي المخطوبة في شريك حياتها.

الأمر الثاني: أن يأخذ رأي أمها التي هي أدرى الناس بأحوالها.

وبهذا جاء الإسلام حتى لا يرى أباً يستبد بسلطان الأبوة في تزويج بناته دون أن تعرف رضاها ولا رضا أمها، ولا نرى فتاة تخرج عن سلطان أبيها وأمها. اسمع إلى حبيبنا ﷺ يقول: «أيما امرأة تزوجت بغير إذن وليها فروجها باطل. وقيل له: إن البكر تستأمر فتستحي فتسكت فقال: سكوتها إذنها». «وعن ابن عمر أنه ﷺ قال: آمروا النساء في بناتهن».

أيها السادة:

لم تقف الشريعة عند هذه الوسائل فقط بل طلبت شيئاً آخر هو ضمان لقوة الألفة وحسن العشرة واستمرار الحياة الزوجية، ألا وهو الكفاءة، أن يكون الزوج كفئاً للزوجة في الفضائل التي يعتز بها الناس، أن يساوي الخاطب مخطوبته في أمور الدين والنسب والحرفة والحرية والخلو من العيوب (كالجنون والجذام والبرص والمال) فالعربي كفء للعربية، والقرشي كفء للقرشية، ومن لم يكن أصوله مسلمة فليس كفئاً لمن لها أصول مسلمة. بنت التاجر كفء لابن التاجر، وبنت الصناعي كفء لابن الصناعي، وبنت الموظف كفء لابن الموظف، والحر كفء للحر، والمعتق ليس كفئاً لمن لها أب حر وهكذا، والفاسق ليس كفئاً للمرأة الصالحة، وليس من ريب في أن انحطاط مكانة الزوج عن مكانة المرأة يجعلها دائماً تنظر إليه بعين الاحتقار وتأبى عليها نفسها أن تخضع لرأيه، أو أن تنزل على مقتضى قوامته وسلطانه، ثم تبدأ المحاكم فعلها في فصل الخصومات بين الزوجين لحل هذه الأزمة الاجتماعية، وقد ذكر لنا القرآن هذه الحالة تماماً حين قص علينا موقف السيدة زينب المرأة القرشية ابنة عمته ﷺ حين زوجها رسول الله ﷺ من مولاه زيد ابن حارثة ليهدم عادة من عادات الجاهلية - كما حدثتكم به في ملف أمهات المؤمنين - فكانت السيدة زينب تتشوف على زوجها، وتفخر عليه، وتذكره بأصله الوضع وبأنها المرأة الشريفة القرشية حتى وصل به الأمر أن رفع أمرها إلى القائد الأعلى للأمة الذي كان يصبره

عليها، لكن زيداً طلق زوجته بعد أشهر لعدم الكفاءة الزوجية ﴿إذ تقول للذي أنعم الله عليه (بالإسلام) وأنعمت عليه (بالتق) أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه، فلما قضى زيد منها وطراً (وطلقها) زوجها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً﴾ /الأحزاب/.

والكفاءة حق للزوجة وأوليائها إن تمسكوا بها لزمّت وإن أسقطوها سقطت، وإنما وجبت محافظة على الحياة الزوجية، والتفاوت بين الطبقات لا ينكره أحد، بل صرح القرآن الكريم بهذا التفاوت فعلى موجات سورة النحل ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾. وعلى موجات سورة الأنعام ﴿هو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما آتاكم﴾. وعلى موجات سورة الزخرف ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾.

إخوة الإيمان:

إذا وصل الأمر إلى هذا الحد وانعقد الاتفاق على أن كلاً من الزوجين متفق مع الآخر في أحكام الخطبة، فرضت الشريعة على الزوج منحة تقديرية يقدمها للزوجة تحفظ عليها حيائها، ويقدم فيها الزوج تعبيراً عن تقديره ورغبته في إتمام الزواج بها، هذه المنحة تعرف باسم المهر، فجعل الإسلام من بركة المرأة سرعة تزويجها ويسر مهرها، وجعل الإسلام خير النساء أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهوراً.

ولم يحدّد القرآن مقدار المهر، بل قامت الأحاديث بتبيين مقداره مهما كان ففي الحديث: «التمس ولو خاتماً من حديد.» وفي رواية (أحمد - د): «لو أن رجلاً أعطى امرأة صداقاً ملء يديه طعاماً كانت له حلالاً».

فالمهم أن المهر ما تراضى عليه الأهلون ففي الحديث (قط) «أنكحوا الأيامى وأدوا العلائق. قيل وما العلائق يارسول الله قال ما تراضى عليه

الأهلون» (نيل الأوطار ٦/١٤٢).

ويرى الحنفية أن أقل المهر عشرة دراهم فضة، أما أكثره فلا حد له، فللمتعاقدین أن یزیدا فیہ حسب تراضیہما، ولہذا روی أن عمر أراد أن ینہی الناس عن التغالی فی المہور ویحدّد لها مقداراً معیناً لا یتعدّاه أحد، فقال فی إحدى خطبہ (تفسیر القرطبی ٥/٩٩) «ألا لا تغالوا فی صدقات النساء فإنها لو كانت مکرمة فی الدنیا أو تقوی عند اللہ لکان أولاکم بها رسول اللہ، ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتی عشرة أوقیة (٥٠٠ درهم) فقامت إلیه امرأة فقالت: یاعمر یعطینا اللہ وتحرمننا، ألیس اللہ سبحانه وتعالی یقول: ﴿وَأَتِیْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً﴾ /النساء: ٢٠. فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر. وفي رواية فأطرق عمر ثم قال: کلّ الناس أفقه منك یاعمر».

وفي الحق أن المغالاة فی المہور وما یتبعها جعلت الراغبین فی الزواج یحجمون عنه، فتتج عن ذلك أزمة الزواج التي حار الناس فی حلها مع أن الحل فی أیدیہم، فلو وقفوا عن التغالی وعرفوا أن الزواج لم یشرع إلا لتكوين الأسرة فی صورة موفقة جمالها البساطة والمودة وعمادها التعاون والمحبة، لو عرفوا ذلك وساروا علیہ لانحلت المشكلة وما وجدت شاکياً ولا باکياً، ولكن التقليد أعمى الناس عن الحقائق الواضحة وسار بهم فی طرق ملتوية حتی عمت الشکوى وزادت البلوى.

معشر السادة:

إذا جرى العقد بین الزوجین ودخلا فی نطاق الميثاق الغلیظ فإن القرآن یقرر بینهما من الحقوق والواجبات المتبادلة ما به تحسن المعاشرة وتنمو الرابطة وتطیب الحیاة.

فلا نکاد نجد فی تشریع ما أرضی أو سماوی مثل تلك القاعدة الجلیلة التي جعلها القرآن أساساً للحياة الزوجية لفت بها القرآن الأنظار إلى ما بین الزوجین من

الحقوق والواجبات، إنها قوله تعالى ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ /البقرة: ٢٢٨/.

هل سمعتم كيف رفع القرآن من مكانة المرأة، بعد أن كانت متاعاً تورث لا قيمة لها ولا وزن، يأمرنا بأنّ لها من الحقوق مثل ما هو لنا، لقد منحت الشريعة الإسلامية للمرأة من أربعة عشر قرناً حقوقاً لم تستطع المدنية الأوروبية ولا الحضارة الغربية أن تمنحه للمرأة، وقد كان النساء في أوروبا منذ خمسين سنة وما قبلها بمنزلة الأرقاء في كل شيء، بل وجد في كتبهم تعريفاً للمرأة أذكره لكم حتى تسمعه النساء وترفع رأسها عالياً بالمنزلة الرفيعة التي بوأها لها الإسلام، كانت المرأة تسمى عندهم: (بالحيوان اللبون) أليست أسوأ حالاً مما كانت عليه في الجاهلية عند العرب؟!

أما الإسلام فقد وزع الحقوق بين الزوجين، والذي يمثل الإسلام في كلّ الدهور هو القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد رسول الله ﷺ فقد قضى بين سيدتنا فاطمة وسيدنا علي أن تخدم ابنته البيت وترعاه، وأن يقوم زوجها بما كان خارجاً عن البيت، فعليها تدبير المنزل ورعاية الأطفال وعلى سيدنا علي السعي والكسب، وعليه نقول: إن من يحمل زوجه ما لا طاقة لها به فليس بمحسن عشرتها، ومن تحمّل زوجها ما لا تحتاج إليه من مظاهر الزينة وفاخر الملبس فليست بمحسنة لعشرة زوجها، والناظم لكلّ ذلك القرآن: فهو الهداية للأسرة فعلى موجات سورة الطلاق: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدِرَ عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾ /الطلاق: ٧/.

وقد جاءت الأحاديث شارحة لهذه الآية منها (د) ما رواه معاوية القشيري قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت: ما تقول في نسائنا. قال: «أطعموهن مما تأكلون واكسوهن مما تكسون ولا تضربوهن ولا تقبحوهن»، وفي حجة الوداع (م) قال ﷺ: «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» ولهذا فقد اجمعت الأمة على وجوب نفقة الزوجة على الزوج وفي الحديث (ق): «أن هنداً زوجة أبي سفيان

قالت يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفي وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»، فلو لم تكن النفقة للزوجة واجبة على زوجها لما أمرها أن تأخذ من مال زوجها ما يكفيها بدون علمه لأنه لا يجوز أخذ شيء من أموال الناس بدون حق.

فما هو هذا الأمر الذي سَمَّاه الإسلام بالقوامه في قوله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ /النساء: ٣٤.

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

هداية القرآن للأسرة

(مقدمات النكاح وأركانه وحقوق الزوجين)

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مقدر الأقدار، مصرف الأمور، مكور الليل على النهار، تبصرة لأولي القلوب والأبصار. الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار، ووفق من اجتبه من عبده فجعله من المقربين الأبرار.

أحمده سبحانه أبلغ الحمد على جميع نعمه وأسأله المزيد من فضله وكرمه.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغ القاصد من فضله
سؤله وأمله وتنيله من بحر جوده ما قصده وأمله.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وحببيه وخليته المؤيد بأنواع المعجزات الباهرة، الذي لا تحصى نعوته الشريفة ومناقبه، ولا تعد ولا تحصر آياته المنيفة ومواهبه.

أغر عليه من النبوة خاتم	من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم إليه اسم النبي إلى اسمه	إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله	فدو العرش محمود وهذا محمد

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم
سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين،
وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا وليكننا المقتر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين،
وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم
تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

خلق الله الإنسان وسواه ونفخ فيه من روحه، ثم منحه العقل والتفكير
وفضله على كثير من خلقه، واستخلفه في أرضه وسخر له عوالم كونه، ثم هيا له

مبادئ الروابط السامية التي يرتفع بها عن حضيض الحيوانية البحتة وتدعوه إلى التعاون مع بني نوعه لعمارة الكون ببني الإنسان عن طريق الزواج. وهذه القضية دعا إليها القرآن الكريم، ويّين أنها السر في بقاء الإنسان في هذه الحياة عن طريق الأبناء والأحفاد، وأنهم السبب في سكون القلب واطمئنان النفس وراحة الضمير.

وهذه القضية بالذات كنت قد علقتها معكم تطبيقاً لشعار القرآن
﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ /الإسراء/.

وتحت شعار هداية القرآن للأسرة أجب اليوم عن هذه القضية مع الحلقة الثالثة بعد المئة الأولى من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية. ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل:
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ /النساء: ١/.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ /النحل: ٧٢/.

أيها الإخوة:

نظر القرآن إلى الزواج هذه النظرة السامية في حياة الفرد والأسرة والأمة، فنوه بشأنه ورفع عنه أن يكون عقداً تتم التزاماته بالايجاب والقبول وشهادة الشهود، فجعله ميثاقاً يجب المحافظة عليه والوفاء به بل جعله ميثاقاً غليظاً وعهداً قوياً، يتعذر حله فيربط القلوب ويحفظ المصالح ويندمج به كل من الزوجين في صاحبه، فيتحد شعورهما وتلتقي رغباتهما، عقد لا يمكن تناسيه ولا تقع الغفلة عنه حتى بعد انتهاء أجله، واسمعوا معي إلى هذه القضايا يصرح بها القرآن الكريم على موجات سورة

النساء ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتن إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾ /النساء: ٢٠/.

وتعالوا معي لنتدبر قوله تعالى في شأن العلاقة الزوجية بين الزوجين: إنه قوله ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ /البقرة/ أترون مثل هذه العلاقة كيف ربطها القرآن أسمى ترابط واندماج، ولهذا وضع القرآن أسساً للحياة الزوجية تقوم على الفضيلة والحق.

فما أن يبدأ العبد باختيار الزوجة على أساس الدين والخلق الحسن حتى نرى الإسلام يوصي بخطوة ثانية هي خطوة الخطبة، خطوة الاختيار عن طريق الحس مشاهدةً واستماعاً: يرى وجهها ويديها ويستمع حديثها.

وبهذا الاختبار يتعرف كل من الطرفين ما لصاحبه من المزايا الجسمية والصوتية والفكرية لتحصل بينهما الملاءمة والموافقة، والأحاديث التي تبيح للخاطب أن يرى مخطوبته كثيرة، منها قول نبينا ﷺ للمغيرة بن شعبة وقد خطب امرأة: انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما، وقوله ﷺ (ق- أحمد- د): «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر فيها اختلف».

وأما ما يفعله بعض الناس اليوم مع الخاطبين والمخطوبات وقد رفعت بينهما الحجب الشرعية في الخلوة والأسفار والمنتزهات فهو شر مستطير يعود بالآثار السيئة على المجتمع.

وبعد هذه المرحلة أوجبت الشريعة تمام الرضا من الطرفين، وجعلته شرطاً في صحة العقد، وخاصة إذا كانت ثيباً، فأمرت الولي بأمرين:

الأمر الأول: أن يأخذ رأي المخطوبة في شريك حياتها.

الأمر الثاني: أن يأخذ رأي أمها التي هي أدرى الناس بأحوالها.

وبهذا جاء الإسلام حتى لا يرى أباً يستبد بسلطان الأبوة في تزويج بناته دون

أن تعرف رضاها ولا رضا أمها، ولا نرى فتاة تخرج عن سلطان أبيها وأمها. اسمع إلى حبيبنا ﷺ يقول: «أيما امرأة تزوجت بغير إذن وليها فروجها باطل. وقيل له: إن البكر تستأمر فتستحي فتسكت فقال: سكوتها إذن». «وعن ابن عمر أنه ﷺ قال: آمروا النساء في بناتهن».

أيها السادة:

لم تقف الشريعة عند هذه الوسائل فقط بل طلبت شيئاً آخر هو ضمان لقوة الألفة وحسن العشرة واستمرار الحياة الزوجية، ألا وهو الكفاءة، أن يكون الزوج كفئاً للزوجة في الفضائل التي يعتز بها الناس، أن يساوي الخاطب مخطوبته في أمور الدين والنسب والحرفة والحرية والخلو من العيوب (كالجنون والجذام والبرص والمال) فالعربي كفء للعربية، والقرشي كفء للقرشية، ومن لم يكن أصوله مسلمة فليس كفئاً لمن لها أصول مسلمة. بنت التاجر كفء لابن التاجر، وبنت الصناعي كفء لابن الصناعي، وبنت الموظف كفء لابن الموظف، والحر كفء للحر، والمعتق ليس كفئاً لمن لها أب حر وهكذا، والفاسق ليس كفئاً للمرأة الصالحة، وليس من ريب في أن انحطاط مكانة الزوج عن مكانة المرأة يجعلها دائماً تنظر إليه بعين الاحتقار وتأبى عليها نفسها أن تخضع لرأيه، أو أن تنزل على مقتضى قوامته وسلطانته، ثم تبدأ المحاكم فعلها في فصل الخصومات بين الزوجين لحل هذه الأزمة الاجتماعية، وقد ذكر لنا القرآن هذه الحالة تماماً حين قص علينا موقف السيدة زينب المرأة القرشية ابنة عمته ﷺ حين زوجها رسول الله ﷺ من مولاه زيد ابن حارثة ليهدم عادة من عادات الجاهلية - كما حدثكم به في ملف أمهات المؤمنين - فكانت السيدة زينب تتشوف على زوجها، وتفخر عليه، وتذكره بأصله الوضع وبأنها المرأة الشريفة القرشية حتى وصل به الأمر أن رفع أمرها إلى القائد الأعلى للأمة الذي كان يصبره عليها، لكن زيداً طلق زوجته بعد أشهر لعدم الكفاءة الزوجية ﴿إذ تقول للذي أنعم الله عليه (بالإسلام) وأنعمت عليه (بالتق) أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه، فلما

قضى زيد منها وطراً (وطلقها) زوجها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديعائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ﴿١٤٢﴾ /الأحزاب/. والكفاءة حق للزوجة وأوليائها إن تمسكوا بها لزمّت وإن أسقطوها سقطت، وإنما وجبت محافظة على الحياة الزوجية، والتفاوت بين الطبقات لا ينكره أحد، بل صرح القرآن الكريم بهذا التفاوت فعلى موجات سورة النحل ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾. وعلى موجات سورة الأنعام ﴿هو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم﴾. وعلى موجات سورة الزخرف ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾.

إخوة الإيمان:

إذا وصل الأمر إلى هذا الحد وانعقد الاتفاق على أن كلاً من الزوجين متفق مع الآخر في أحكام الخطبة، فرضت الشريعة على الزوج منحة تقديرية يقدمها للزوجة تحفظ عليها حياتها، ويقدم فيها الزوج تعبيراً عن تقديره ورغبته في إتمام الزواج بها، هذه المنحة تعرف باسم المهر، فجعل الإسلام من بركة المرأة سرعة تزويجها ويسر مهرها، وجعل الإسلام خير النساء أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهوراً.

ولم يحدّد القرآن مقدار المهر، بل قامت الأحاديث بتبيين مقداره مهما كان ففي الحديث: «التمس ولو خاتماً من حديد.» وفي رواية (أحمد - د): «لو أن رجلاً أعطى امرأة صداقاً ملء يديه طعاماً كانت له حلالاً».

فالمهر أن المهر ما تراضى عليه الأهلون ففي الحديث (قط) «أنكحوا الأيامى وأدوا العلائق. قيل وما العلائق يارسول الله قال ما تراضى عليه الأهلون» (نيل الأوطار ١٤٢/٦).

ويرى الحنفية أن أقل المهر عشرة دراهم فضة، أما أكثره فلا حدّ له، فللمتعاقدين أن يزيدا فيه حسب تراضيتهما، ولهذا روي أنّ عمر أراد أن ينهي الناس

عن التغالي في المهور ويحدّد لها مقداراً معيناً لا يتعداه أحد، فقال في إحدى خطبه (تفسير القرطبي ٩٩/٥) «ألا لا تغالوا في صدقات النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله، ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثني عشرة أوقية (٥٠٠ درهم) فقامت إليه امرأة فقالت: يا عمر يعطينا الله وتحرمنا، أليس الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً﴾ /النساء: ٢٠. فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر. وفي رواية فأطرق عمر ثم قال: كلّ الناس أفقه منك يا عمر».

وفي الحق أن المغالاة في المهور وما يتبعها جعلت الراغبين في الزواج يحجمون عنه، فنتج عن ذلك أزمة الزواج التي حار الناس في حلها مع أنّ الحل في أيديهم، فلو وقفوا عن التغالي وعرفوا أن الزواج لم يشرع إلا لتكوين الأسرة في صورة موفقة جمالها البساطة والمودة وعمادها التعاون والمحبة، لو عرفوا ذلك وساروا عليه لانحلت المشكلة وما وجدت شاكياً ولا باكياً، ولكن التقليد أعمى الناس عن الحقائق الواضحة وسار بهم في طرق ملتوية حتى عمت الشكوى وزادت البلوى.

معشر السادة:

إذا جرى العقد بين الزوجين ودخلا في نطاق الميثاق الغليظ فإن القرآن يقرر بينهما من الحقوق والواجبات المتبادلة ما به تحسن المعاشرة وتنمو الرابطة وتطيب الحياة.

فلا نكاد نجد في تشريع ما أرضي أو سماوي مثل تلك القاعدة الجليلة التي جعلها القرآن أساساً للحياة الزوجية لفت بها القرآن الأنظار إلى ما بين الزوجين من الحقوق والواجبات، إنها قوله تعالى ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ /البقرة: ٢٢٨.

هل سمعتم كيف رفع القرآن من مكانة المرأة، بعد أن كانت متاعاً تورث لا قيمة لها ولا وزن، يأمرنا بأنّ لها من الحقوق مثل ما هو لنا، لقد منحت الشريعة الإسلامية للمرأة من أربعة عشر قرناً حقوقاً لم تستطع المدنية الأوروبية ولا الحضارة الغربية أن تمنحه للمرأة، وقد كان النساء في أوروبا منذ خمسين سنة وما قبلها بمنزلة الأرقاء في كل شيء، بل وجد في كتبهم تعريفاً للمرأة أذكره لكم حتى تسمعه النساء وترفع رأسها عالياً بالمنزلة الرفيعة التي بوأها لها الإسلام، كانت المرأة تسمى عندهم: (بالحيوان اللبون) أليست أسوأ حالاً مما كانت عليه في الجاهلية عند العرب؟!

أما الإسلام فقد وزع الحقوق بين الزوجين، والذي يمثل الإسلام في كلّ الدهور هو القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد رسول الله ﷺ فقد قضى بين سيدتنا فاطمة وسيدنا علي أن تخدم ابنته البيت وترعاه، وأن يقوم زوجها بما كان خارجاً عن البيت، فعليها تدبير المنزل ورعاية الأطفال وعلى سيدنا علي السعي والكسب، وعليه نقول: إن من يحمل زوجه ما لا طاقة لها به فليس بمحسن عشرتها، ومن تحمل زوجها ما لا تحتاج إليه من مظاهر الزينة وفاخر الملبس فليست بمحسنة لعشيرة زوجها، والناظم لكل ذلك القرآن: فهو الهداية للأسرة فعلى موجات سورة الطلاق: ﴿لَيْنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ / الطلاق: ٧.

وقد جاءت الأحاديث شارحة لهذه الآية منها (د) ما رواه معاوية القشيري قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت: ما تقول في نساءنا. قال: «أطعموهن مما تأكلون واكسوهن مما تكسون ولا تضربوهن ولا تقبحوهن»، وفي حجة الوداع (م) قال ﷺ: «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» ولهذا فقد اجمعت الأمة على وجوب نفقة الزوجة على الزوج وفي الحديث (ق): «أن هنداً زوجة أبي سفيان قالت يارسول الله ﷺ إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفي وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»، فلو لم

تكن النفقة للزوجة واجبة على زوجها لما أمرها أن تأخذ من مال زوجها ما يكفيها بدون علمه لأنه لا يجوز أخذ شيء من أموال الناس بدون حق.

فما هو هذا الأمر الذي سَمَّاه الإسلام بالقوامية في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ /النساء: ٣٤/.

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

هداية القرآن في الطلاق

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل وكتابه المنزل ﴿الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾. أوضح فيه لأهل الأفكار طريق الاعتبار، بما قص عليهم من القصص والأخبار، وبين فيه المنهج القويم والصراط المستقيم، بما فصل فيه من الأحكام، وفرّق فيه بين الحلال والحرام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنزل القرآن فيه الضياء والنور، وفيه شفاء لما في الصدور، وبه النجاة من الغرور، من خالفه من الجبابة قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الورى وشمس الهدى والسيد المرتضى المجتبى.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

شرع مولانا عزوجل الزواج، وجعله عقد الحياة، وأحاطه بكل الضمانات ليستقر فيؤتي ثمراته الطيبة، وهو لا يكون كذلك إلا إذا تحقق التوافق بين الطرفين وسكن كل منهما إلى صاحبه، وارتبط قلباهما برباط المودة، وشاعت بينهما الثقة وعرف كل منهما ما للآخر عليه من حقوق.

وقد يطرأ على تلك الحياة الشقاق المنبعث من تنافر القلوب بعد توافقها، أو ينكشف لأحد الزوجين ما كان خفياً قبل الزواج أو يصاب أحدهما بمرض لا يستطاع معه المعاشرة مما يجعل الحياة جحيماً لا يطاق أو عذاباً لا يحتمل.

وهنا القرآن الذي جاء هداية للأسرة فتح المجال لإنهاء الحياة الزوجية عندما تتعرض للخطر الذي يتعذر معه الاستمرار فيها، فشرع الطلاق ليحسم ذلك الداء بعد عجز طرق الإصلاح العديدة، ومع ذلك جعله أبغض الحلال إلى الله.

أيها الإخوة:

إننا اليوم حول حلّ الرابطة الزوجية مع الحلقة الخامسة بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة البقرة: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحلّ لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون. فإن طلقها فلا تحلّ له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره، فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون﴾ /البقرة: ٢٢٩.

أيها السادة: الطلاق حق للزوج، لأن القرآن الذي هو هداية للأسرة أسنده إلى الرجل، وإليكم الآيات الدالة على ذلك.

فعلى موجات سورة الطلاق ﴿يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ /الطلاق: ١.

وعلى موجات سورة البقرة ﴿ولا جناح عليكم إذا طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة﴾ /البقرة: ٢٢٦.

وعلى موجات سورة الأحزاب ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن﴾ /الأحزاب: ٤٩.

وقد جاء التصريح أكثر بالسنة المطهرة فقد قال ﷺ لسيدنا عبد الله بن سيدنا عمر: «يا عبد الله بن عمر طلق زوجتك».

وفي الحديث أيضاً: «ما بال أحدكم يزوج عبده أمته ثم يريد أن يفرق بينهما، إنما الطلاق لمن أخذ بالساق». (نيل الأوطار).

فهذه النصوص صريحة كلّ الصراحة في أنّ الطلاق حق للزوج، وليس ذلك غيباً للمرأة بل هو حفاظ عليها وتقديس للرابطة الزوجية، وانظروا: القرآن لما أوجب على الزوج المهر وجعله مسؤولاً عن الأسرة جعل العصمة بيده مقابل المهر للمرأة، هذه واحدة.

والثانية: أن الطلاق تشريع استثنائي لا يلجأ إليه إلا عند الحاجة فهو أمر نقرّ الشرع منه في أكثر من نص.

نرى ذلك في قوله ﷺ: «لا تطلق النساء إلا من رية إن الله لا يحب الذواقين والدواقات».

بل ورد في الحديث: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة».

ومن هنا كان الأصل في الطلاق الحظر، وكلّ شخص يردد هذه الكلمة عند كلّ أمر له أحمق أو مجنون، هذه الكلمة لا يلجأ إليها إلا عند وجود سبب، مثلاً إذا كان الباعث عليه مجرد النفور الطبيعي بين الزوجين (فيكون الطلاق هنا مباحاً). وقد يكون مستحباً إذا كان الدافع له سوء أخلاق الزوجة وإيقاعها الأذى بزوجها أو جيرانها، أو كانت تاركةً لحقوق الله من صلاة وصيام، لأنها بسلوكها هذا تكون قدوةً سيئةً لأولادها ومدمرةً لبית الزوجية.

وقد يكون الطلاق واجباً إذا كان الباعث عليه أمراً يقوّض الحياة الزوجية كتهوانها في عرضها وشرفها أو استحكام الشقاق بين الزوجين.

أو كان بأحد الزوجين عيب يحول بين السعادة الزوجية. وعلى هذا حمل قوله ﷺ: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» (عدم الرضا به).

وقد يكون الطلاق حراماً إذا وقع على غير الوجه المشروع، بأن طلقها في الحالة التي نهى الشارع المطهر عن الطلاق فيها كالحيض، قاصداً الإضرار بها وتطويل عدتها، وإن كان هذا الطلاق يقع لكنه مع الحرمة والإثم.

ومن هنا قسم العلماء الطلاق إلى نوعين: طلاق السنة وطلاق البدعة، فطلاق البدعة هو الذي جاء على خلاف ما ورد في السنة المطهرة، وهو حرام ومن يفعله يأثم بلا خلاف.

أيها السادة: اسمحوا لي أن أفصّل في هذه القضية قليلاً. إن القرآن الذي ملّك الرجل الطلاق - أقول الرجل يعني البالغ العاقل غير المكره (عند غير الحنفية) القرآن رسم للرجل طريقة إيقاع الطلاق:

أولاً: أن يوقع الطلاق مفزّلاً مرة بعد مرة.

وهذا هو بالضبط معنى الآية ﴿الطلاق مرتان﴾.

لا دفعة واحدة، ليحرب الرجل نفسه بعد المرة الأولى والثانية ويروضها على الصبر والاحتمال، ولتجرب المرأة أيضاً نفسها، حتى إذا لم تفد التجارب وأوقع الطلقة الثالثة وضع أمامهما حاجزاً وهو أنه لا يباح لهما مراجعة الحياة الزوجية إلا بعد شرط هو المشار إليه في قوله تعالى ﴿فلا تحلّ له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾.

لكن ما دام الرجل لم يصل إلى الطلقة الثالثة فإنّ القرآن يغيره بالرجوع إلى زوجه، ويمكنه منها بكلمة المراجعة فقط، دون تحديد عقد مادامت في عدتها.

وهذا صرح به القرآن أيضاً ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء (حيض - أو أطهار) ولا يحلّ لهنّ أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهنّ إن كنّ يؤمنّ بالله واليوم الآخر وبعولتهنّ أحقّ بردهنّ في ذلك إن أرادوا إصلاحاً﴾ /البقرة: ٢٢٨/.

والأمر الثاني: ورد في السنة المطهرة في حديث ابن عمر لما طلق امرأة له وهي حائض فذكر ذلك سيدنا عمر لنبينا ﷺ فقال له: «مُرْهُ فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثمّ تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها قبل أن يمسه فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق بها النساء».

فهذا الحديث يدل على أن الطلاق في الحيض غير مشروع لغضب رسول الله ﷺ، ويرشد إلى أن الطلاق المشروع هو ما يكون في طهر لم يمسه فيه، لأنه يُلحق الضرر بالمرأة حيث يطول عليها العدة، لأن الحيضة التي وقع فيها الطلاق لا تحسب منها، ولا يظنّ إنسان أنّ الطلاق لا يقع مع الحرمة، بلى يقع لأن رسول الله ﷺ أمر ابن عمر بمراجعة زوجته، والرجعة لا تكون إلا بعد وقوع الطلاق، ولهذا جاء في بعض الروايات أنّ عبد الله قال: «حسبت علي طلقة».

أيها الإخوة:

ومن الطلاق البدعي أي المخالف للسنة جمع الطلقات مرة واحدة، سواء كان بلفظ واحد أو بتكرار اللفظ ثلاث مرات، لأن رجلاً طلق امرأته على عهد سيدنا رسول الله ﷺ ثلاثاً دفعة واحدة، فغضب رسول الله ﷺ وخطب الناس فقال: «أَيُلْعَبُ بكتاب الله وأنا بين أظهركم» فَجَمْعُ الطلقات معاً فيه مخالفة لما شرّعه القرآن، من أنه يكون مرة بعد مرة، مع أنه يقع باتفاق المذاهب الأربعة.

لا يلعبن أهل السوء بأحد في مسائل الطلاق، فنحن متعبدون بالمذاهب الأربعة التي استقت أحكامها من الكتاب والسنة.

إن رجلاً ممن أضله الله ﷻ على علم فسّر حديثاً رواه جدي سيدنا ابن عباس فسّره خطأً (على غير ما اتفقت عليه المذاهب الأربعة) لأنه أخذه على ظاهره، اسمعوا نص الحديث: «كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وستين من خلافة عمر يقع طلقة واحدة، فقال عمر: إنّ الناس قد استعجلوا في شيء كان لهم فيه أناة» فأقضاه عليهم.

وانظروا إلى الفهم الصحيح لهذا الحديث الموافق للقرآن والسنة، إن أصحاب المذاهب فهموه على أنهم كانوا يطلقون تطليقة واحدة، أو أنهم كانوا يطلقون ثلاثاً للتوكيد، مثل أنت طالق أنت طالق أنت طالق، وكانوا يقولون: إنهم أرادوا بالثانية والثالثة التوكيد، فلما كان عهد الفاروق وفسد الناس لم يعد يصدّقهم لقلة الدين فأقضاه عليهم.

ومما استدل به ممن أضله الله على علم حديث ركانة طلق زوجته ألبته، هذه هي الرواية الصحيحة (ألبته) ولكن رواية ضعيفة (والروايات الضعيفة لا يؤخذ فيها بالأحكام الشرعية) إنه طلقها ثلاثاً، ولم يذكر الراوي كلمة البتة، فرسول الله سأل ما إذا أردت بالبتة (لأنها من كنايات الطلاق: فالطلاق ألفاظه الصريحة ثلاثة الطلاق والفراق والسراح، هذه الألفاظ الثلاثة لا تحتاج إلى نية.

وأما إن كان من كنايات الطلاق مثل: الحقي بأهلك، حبلك على غاربك - أنت بائن - ألبته وغير ذلك من الألفاظ التي لا يفهم منها الطلاق إلا بالنية. فرسول الله سأل ركانة: ماذا أردت بالبتة، فقال: ما أردت إلا واحدة، فصدقه رسول الله وجعلها واحدة.

وأما إن طلق الرجل زوجته ثلاثاً فلا حاجة لأن نسأله هل أردتها واحدة أم لا، كما يفعل علماء السوء الذين اتبعوا القول الشاذ لأحد الذين أضلهم الله على علم.

نحن لا نأخذ الفقه إلا من الفقهاء، ولا نأخذ الفتاوى إلا من أهل التقوى والدين.

فكيف هدى القرآن الأبناء للبر بالوالدين؟

ما هي هداية القرآن للأبناء؟

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

هداية القرآن في البر بالوالدين

الحمد لله الذي جعل مكارم الأخلاق من أعمال الجنان، وجعل حسن الخلق أفضل شيء يوضع في الميزان. نحمده على نعمه كلها فإنه يحب أن يحمد بكلّ لسان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك المنان، شهادة من شهد بها فهي له نجاة وأمان، وكلمة لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً على الإنسان.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالحنيفية السمحة إلى الأحمر والأسود من إنس وجان، الذي أعطي فواتح الكلم وجوامع واختار الله له خير الكلام القرآن، وأرسله بالإيمان وإلى الوالدين بإحسان وأنزلها في كتابه الملك الديان ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ /الرحمن/.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحقق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

نحن اليوم بصدد الحديث عن قضاء أزلي وحكم نافذ، قضاء وأنفذه رب العزة والجلال، شرع شرعه في كتابه الكريم وجعله في المنزللة التالية للإيمان به. عهد أخذه على كل أمة، وبعث به كل رسول إلى قومه، وجعله ضمن الوصايا الرئيسة التي توصى به كل أمة من الأمم: إنها منزلة الوالدين هذه المنزللة التي لفت أنظار عباده إليها في كلامه القديم في سبع سور من كتابه المحكم.

إننا - أيها الإخوة - مع الحلقة السادسة بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة النساء: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم﴾ /النساء: ٣٦/. وعلى موجات سورة الإسراء يذكر القرآن الكريم الذي هو هداية للأسرة بعض حقوق الأبوين: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف (هذا هو الحق الأول) ولا تنهرهما (هذا الحق الثاني) وقل لهما قولاً كريماً (والحق الثالث) واخفض لهما جناح الذل من الرحمة (الحق الرابع) وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ / : .

وتجيء موجات سورة لقمان والعنكبوت فترفعان منزلة الاحسان بالوالدين إلى درجة ليس بعدها درجة ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾.

فلا يدعي إنسان مهما بلغ عقله أنه لن يستطيع برّ والديه لأخهما كافران أو مشركان، واسمحوا لي معشر السادة أن انتقل بكم إلى هناك إلى المدينة المنورة، إلى صاحب الجبين الأنور والروض الأزهر، إلى صاحب الطلعة البهية والروضة الندية، إلى سيدنا ومولانا محمد ﷺ.

بلغ العلاء بكماله	كشف الدجى بجماله
عظمت جميع خصاله	صلّوا عليه وآله

وأرى الباب يطرق على الحبيب الأعظم، فإذا على الباب إحدى سيدات مكة المكرمة وصاحبة الجاه فيها، إنها السيدة أسماء بنت الصديق أبي بكر رضي الله

عنهما، هاهي تستفتي سيدنا رسول الله ﷺ وتسأله عن أمر أهمها، إذ أن أمها جاءتها فإذا بها تحشّ في وجهها وتبسم، وتضمها إلى صدرها كما هي طبيعة الأمومة والبنوة، لكنّ الابتسامة جمدت على شفتيها إذ تذكرت أنّ أمها ما زالت على شركها وكفرها لم تسلم بعد، وهنا وكما يفعل المسلم المؤمن المحافظ على دينه، أتت تسأل رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله ﷺ إن أُمِّي قدمت علي وهي مشركة أفأصلها (أفأحسن إليها) فقال طبيب القلوب: نعم صلي أمك. فالصلاة والسلام عليك يا بني الرحمة، ياكاشف الغمة، يامن أرسلك الله ﷻ رحمة للعالمين.

نعم إن الكفر بغيض والشرك بغيض ولكنّ هذا لا يمنعنا أن نحترم ونوقر ونحسن إلى سبب وجودنا في هذه الحياة، فكم لاقي كل واحد منهما في سبيل تنشئتنا وتربيتنا وتغذيتنا، فلما كبرنا واشتدّ عودنا بدأنا بالبخل عليهما وعصيانهما. إنّ القرآن الكريم نبه على تلك المعاناة التي يلقاها الوالد في سبيل ولده فقال: ﴿حملته أمّه وهنا على وهن وفصاله في عامين﴾ /لقمان: ١٤/. وعلى موجات سورة الأحقاف: ﴿حملته أمه كُرْها ووضعته كُرْها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ /لقمان: ١٥/.

أبعد تلك المعاناة نجد فضلها وتربيتها، إنني أذكر تلك اللحظة التي وقف فيها شاب من الصحابة أمام الحبيب الأعظم يشكوه، أتدرون مم يشكوه؟ يشكوه من أبيه قال: يا رسول الله ﷺ إن أبي أنفذ مالي. فقال له القائد الأعلى للأمة: اذهب وائتني بأبيك. فذهب الشاب ونزل سيدنا جبريل على النبي ﷺ وقال: إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك إذا جاءك الشيخ (أبو الشاب) فسله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه. فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ: ما بال ولدك يشكو أنك تنفذ ماله؟ فقال الشيخ: سله يا رسول الله ﷺ هل أنفقته إلا على عمّاته أو

حالاته؟ فقال النبي الكريم: دعنا من هذا وأخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذنك، فقال الشيخ: واللّٰهُ يا رسول اللّٰهُ ما يزال اللّٰهُ يزيدنا بك يقينا، لقد قلت في نفسي شيئا ما سمعته أذنائي، فقال النبي قل وأنا أسمع. فقال قلت:

غدتك مولوداً وعُلْتُكَ يافعا	تعلّ بما أجني عليك وتنهّل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت	لسقمك إلا ساهراً أتملّل
كأني أنا المطروق دونك بالذي	طرقت به فعيي تهملّ
تخاف الردى نفسي عليك وإنها	لتعلم أنّ الموت وقت مؤجلّ
فلما بلغت السنّ والغاية التي	إليها مدى ما كنت منه أومل
جعلت جزائي غلظةً وفظاظةً	كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي	فعلت كما الجار المجاور يفعل

وهنا أمسك النبي الكريم بتلابيب ابنه وقال له: اذهب أنت ومالك لأبيك.

هذا الحكم الشرعي أطلقه رسول اللّٰهُ من قلب الشرع المطهّر عندما يكون الوالدان فقيرين. فيجب على الابن الغني النفقة عليهما، ولا يجوز اعطاؤهما من الزكاة لوجوب النفقة عليهما، ولهذا جعل الإسلام خدمة الوالدين أعظم من صلاة النافلة والصدقة والهجرة والجهاد في سبيل اللّٰهُ.

إخوة الإيمان:

مازلنا عند طبيب القلوب ﷺ هاهو رجل (خ ٣٠٠٤ - م ٢٥٤٩)
«يدخل على نبي اللّٰهُ ورسوله فيستأذنه في الجهاد في سبيل اللّٰهُ، فقال له السيد الأعظم: أحبي والداك قال: نعم. قال: فيهما فجاهد».

وفي رواية (د ٢٥٢٨ - ت ١٦٧١): «جئت أبايك على الهجرة وتركت أبويّ يكيان فقال له: ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما».

ولهذا صدر القرار النبوي الشريف بإلهام من المولى اللطيف قراراً وجاهياً غير قابل للنقض لأنه محكم، وغير قابل للاستئناف لأنه مبرم (م ٢٥٥١) «رغم أنفه (لصق بالرغام وهو التراب أي ذلّ وخاب وخسر) ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه. قيل من يارسول الله؟ قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة».

فمن أراد أن يدخل الجنة فليخدم والديه، فليبرّ بوالديه: بهذا جاءت الأحاديث وتواترت بهذا المعنى، اسمعوا إلى المكافآت التشجيعية النبوية يقول ﷺ «الوالد أوسط أبواب الجنة» (ت - أحمد - ه).

«وقد جاء رجل إلى رسول الله فقال يارسول الله: أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك؟ فقال هل لك أم؟ قال: نعم قال: فالزمها فإن الجنة تحت رجلها».

أيها الإخوة:

ما زالت هذه الأنباء أذيعها على حضراتكم من فم النبوة المطهر على موجات الأحاديث الصحيحة.

وأرى بعين الإيمان واليقين رجلاً يقدم على طيب القلوب وقد ارتكب ذنباً عظيماً (أحمد ١٣/٢ - ت ١٩٠٤) وهو يسأله: «كيف يتوب منه؟ فقال سيدنا رسول الله: هل لك من أم؟ قال: لا. قال: فهل لك من خالة؟ قال: نعم. قال: فبرّها».

فدل هذا الحديث على أن بر الوالدين سبب عظيم لمغفرة الذنوب، بل إن بر الوالدين سبب في بر الأبناء ففي الحديث الشريف (طب حسن مجمع الزوائد ١٣٨/٨) «بروا آباءكم تبرّكم أبناؤكم وعفوا نساؤكم».

فهنيئاً للبار بوالديه في هذا الخير العظيم الذي أجره الله على يديه ونبشره بطول العمر مع حسن الخاتمة، وهذا أيضاً صرح به رسول الله ﷺ فقال (ت-حسن): «لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر».

وفي رواية (أحمد): «إن الله يزيد في عمر الرجل بربه والديه».

كما أبشر البار بوالديه برضا الله عز وجل عنه يقول ﷺ (ت ١٨٩٩ حسن) «رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد».

أيها السادة:

إذا وصلنا إلى هذا الحد من مستوى رفعة بر الوالدين، فإنني أضع لكم بعض الأسس التي بها نعرف حقوق الآباء على الأبناء عسى أن نتمسك بها لننال رضا ربنا عز وجل:

الأول: إن الإحسان إلى الوالدين يكون بمصاحبتهم بالمعروف المأمور به في قوله و﴿صاحبهما في الدنيا معروفاً﴾.

الثاني: إن احتاجا إلى الطعام أطعمهما أو إلى كسوة كساهما أو إلى خدمة خدمهما.

الثالث: إذا دعياه أجابهما، وإن أمراه بطاعة أطاعهما، حتى لو كان يصلي نافلة فإنه يقطع الصلاة ويجيبهما، وقد ورد في الحديث (ق): «أنه لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم، وصاحب يوسف، وصاحب جريج، وكان جريج رجلاً عابداً فاتخذ صومعة في رأس جبل فكانت أمه تأتيه تحضر له الطعام، فأتته مرة وهو يصلي فنادت عليه: يا جريج - فقال: يارب أمي أم صلاتي؟ فأقبل على صلاته. فانصرفت. ثم جاءت ففعلت مثل المرة الأولى ثانية وثالثة، وجريج لا يرد على أمه لأنه يكون في صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات.

وتذاكر بنو إسرائيل عبادة جريج وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم. فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأنت راعياً يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو ابن جريج الراهب. فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال ما شأنكم؟ قالوا زنت بهذه البغي فولدت منك. فقال: أين الصبي؟ فجاؤوا به، فقال: دعوني أصلي، فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعنه في بطنه وقال: يا غلام من أبوك؟ قال فلان الراعي. فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به، وهنا قال سيدنا رسول الله ﷺ: لو كان جريج فقيهاً لأجاب أمه.

لأن إجابته لأمه خير له من صلاة النافلة.

التوجيه الرابع: إن كلمهما يكلمهما باللين واللفظ، ولا يرفع صوته فوق صوتهما.

الخامس: إذا مشى معهما فلا يتقدمهما بل يمشي خلفهما كالخادم تطبيقاً لقوله تعالى ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾، والمقصود بخفض الجناح أن لا يرفع بصره إليهما ولا يرد قولهما ولا يتكلم بحضرتهما إلا بإذنهما.

وليس من المروءة والأدب أن يكون السبب في سبّ والديه، ولهذا ورد في الحديث (خ): «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قالوا: وكيف ذلك يارسول الله؟ قال: يسبّ أبا الرجل فيسبّ أباه، ويسبّ أمه فيسبّ أمه» وهذا من العقوق الذي هو من أكبر الكبائر. ففي الحديث (ق - ت) «ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟ قالوا بلى يارسول الله. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين».

ومهما فعل العبد من عبادات فإن منزلته عند الله تكون أدنى من منزلة البار بوالديه، «فقد جاء رجل إلى سيدنا رسول الله فقال: يارسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وصليت الخمس وأديت زكاة مالي وصمت رمضان، فقال النبي ﷺ (حب - أحمد): من مات على هذا كان مع النبيين

والصديقين والشهداء ما لم يعق والديه».

فهذا الحديث دليل على أن الفروض لا تغني مع العقوق، ولا بد من حسن الصلة بالله وحسن المعاملة للوالدين ليتم إيمان المرء وعمله، كما أنه لا بد من الصلاة والزكاة في أركان الإسلام، لا يتم الإيمان إلا بهما معاً، فلا ينفع عمل صالح من غير إيمان، كما لا ينفع عمل صالح مع العقوق، ولذلك ورد في الحديث: «ثلاثة لا ينفع معهن عمل صالح: الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف».

التوجيه السادس: ألا يجعل العبد سبيلاً للدعاء عليه من والديه فإن دعاءهما لا يردّ: فقد ورد «ثلاث دعوات مستجابات لهنّ ولا شك فيهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالدين على ولده».

التوجيه السابع: أن يقدم حق والديه على حق زوجته وأولاده، فكثيراً ما سمعنا في عصرنا أن رجلاً تملكه الغرور واستحوذ عليه الضلال فتبع شهوته وهدر مروتته أكرم زوجته ظاناً فيها منتهى الوفاء، وأهان أمه ناظراً إليها نظرة العداء، مع أن مولانا عز وجل أعطى كلّ ذي حق حقه وأمر بالمحافظة عليه:

- ١- فجعل لله عز وجل حقاً، ٢- للوالدين، ٣- وللإخوة حقاً،
- ٤- وللأولاد حقاً، ٥- وللزوجة حقاً، ٦- وللجيران حقاً، ٧- وللأصحاب حقاً،
- ٨- وللخدم حقاً، وللناس أجمعين حقاً وأمر ألا يهضم حق على حساب حق آخر.

رؤي (حب) أن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال: إن أبي لم يزل بي حتى زوجني وإنه الآن يأمرني بطلاقها؟ قال: ما أنا بالذي أمرك أن تعق والديك، ولا بالذي أمرك أن تطلق زوجتك، غير أنك إن شئت حدثتك بما سمعت من رسول الله ﷺ سمعته يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ على ذلك الباب أودع، يقول راوي الحديث سيدنا عطاء: فأحسب أنه طلقها».

التوجيه الثامن: أن يقدم حق والدته على حق أبيه لما لها من فضل الحمل والوضع والرضاعة والحنان فقد سأل رجل النبي فقال: «من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك».

التوجيه التاسع: أن يبرهما بعد مآتهما، فقد جاء رجل من الأنصار إلى سيدنا رسول الله فقال: «يا رسول الله هل بقي عليّ شيء من برّ أبي بعد موتهما أبرهما به قال: نعم. خصال أربع:

١- الصلاة عليهما والاستغفار لهما.

٢- وإنفاذ عهدهما.

٣- وإكرام صديقهما.

٤- وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما.

التوجيه العاشر: ألا ينظر إليهما نظر غضب أو عتاب، فقد ورد: «ما برّ أباه من سدد إليه الطرف بالغضب».

هذه هي الوصايا العشر التي ينبغي علينا العمل بها وتنفيذها، وإلا فليستعد العاق بما أعد الله له من العقوبة في الدنيا قبل الآخرة.

اسمع إلى حبيبك ﷺ وأنت تصلي عليه يقول:

«كلّ الذنوب يؤخر الله تعالى منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق

الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه قبل الممات».

أيها السادة:

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها على لسان جدي سيدنا علي رضي الله عنه يقول: «فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار».

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

هداية القرآن في بر الأبناء

الحمد لله الذي ابتداء الإنسان بنعمته، وصوّره في الأرحام كيف يشار بحكمته وجعل له السمع والأبصار.

وأخرجه من ظلمة الأحشاء إلى سعة الأرض والفضاء، وربّاه بإحسانه وغذاه بنعمه، وأجرى له رزقه إلى أن صيره إلى ما إليه صار.

ونقله من حال إلى حال من الصغر إلى الكبر ومن الجهل إلى العقل وحفظه بالليل والنهار، حتى إذا بلغ حد التكليف طلب منهم العبادة عبيداً وأحرار.

نحمده على كلّ حال حمداً يفوق حمد الحامدين بعدد ما هبّ ودبّ وطار، ونشكره شكراً كثيراً يوجب المزيد من النعمة والالحق بالأبرار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير له ولا قرين له وهو الواحد القهار، شهادة نحيّا عليها ونموت عليها ونبعث عليها يوم البعث والانتشار.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ناشر دين الإيمان وما حق دين الكفار.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا وليكنّا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقّهم وحقّ من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

وقفت معكم حتى اليوم حول الحديث عن الأسرة واختيار الأصل الطيب والعنصر الشريف، لأن الأبوين المعروفين بعراقة النسب والشرف والصلاح ينجبان أولاداً مفطورين على معالي الأمور، ومتطبعين بعبادات أصيلة وأخلاق سامية قويمه، يرضعون منهم لبان المكارم والأخلاق، والمرأة عندما تكون نظيفة شريفة لا ترضى لنفسها المهانة ولا الانحطاط على مستواها الخلقي وقديماً قالت العرب: الحرة تموت ولا تأكل بشديها، يعني أنها تموت ولا تزني بل تحافظ على شرفها وعرضها.

والله - أيها الإخوة - وأنا أتكلم هذا الكلام أشعر بفخر وعزة لانتمائي لهذا النبي العربي ﷺ، فهذه الأحكام التي جاء بها القرآن والسنة تعدُّ من أعظم الحقائق العلمية والنظريات التربوية في العصر الحديث، فعلم الوراثة أثبت أن الطفل يكتسب صفات أبويه الخلقية والجسمية والعقلية منذ الولادة، فعندما يكون الانتقاء سليماً تكون النتيجة سليمة حتماً بإذن الله تعالى، واسمعوا معي إلى مولانا عز وجل يقرر هذه الحقيقة في كتابه الكريم ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكْداً﴾ /الأعراف: ٥٨/.

فنحن عندما ننتقي الأصل الصالح نكفل العامل الوراثي. فإذا ما قمنا بالتربية الفاضلة فلاشك أن الولد يصل إلى القمّة في الدين والخلق، ويكون مضرب المثل في التقوى والفضيلة وحسن المعاملة ومكارم الأخلاق، انظروا وابحثوا من هما أبوا حضرة النبي ﷺ؟ من هو أبوا الإمام أبي حنيفة النعمان والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام ابن حنبل رضي الله عنهم.

إنني وأنا أتكلم هذا الكلام لأذكر يقيناً أن أحد الأئمة العظام كان والده يسير بجوار نحر دجلة، فرأى تفاحة قد سقطت من أحد البساتين فتناولها وأكل عضة منها. ثم تذكر لعل صاحبها لا يسامح في أكلها، فأسرع يتبع البستان

(بستان التفاح) حتى وجده فطرق الباب يسأل عن صاحب البستان، فخرج إليه فقال: وجدت تفاحة في النهر وقلت في نفسي بعد أن أكلتها أنك قد لا تسامح بها، فقلت أستسمحك في أكلها أو أدفع لك ثمنها.

وهنا نظر صاحب البستان إلى هذا الشاب، ورأى دينه وورعه وحسن خلقه فقال له: أمتزوج أنت؟ فقال: لا. قال: لا أسامحك حتى تتزوج ابنتي فإنني لا أجد لابنتي الصالحة رجلاً أصلح لها منك.

قال فتزوجها هذا الشاب الورع فولدت له: ولداً ملاً الأرض علماً وديناً وصالحاً وتقوى، ولداً حفظ القرآن الكريم وحفظ معه أكثر من سبعمئة ألف حديث، أتعرفون من هو أيها الإخوة؟ إنه الإمام البخاري رضي الله عنه الذي قيل في كتابه صحيح البخاري: إنه أصح كتاب على وجه الأرض بعد القرآن الكريم.

أيها السادة: إننا مع الحلقة السابعة بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ /التحریم: ٦/.

﴿فَوربك لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ /الحجر: ٩٢/.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ /النساء: ١١/.

﴿وَقَفَّوْهُمْ إِنَّهُمْ مُسْؤُولُونَ﴾ /الصفات: ٢٤/.

أيها الإخوة:

من منطلق هذه الآيات التي حصرت المسؤولية بالأبوين نحو أبنائهم أقف

اليوم لأقرر بينكم بعض حقوق الأبناء التي يَبْنِيها الإسلام في القرآن الكريم، فالمسؤولية تقع على الأب والأم معاً، وضَّح لنا ذلك المربي الأعظم ﷺ إذ يقول: «الرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها».

والمسؤولية تبدأ منذ اللحظة الأولى للولادة، بل وقبل ذلك باطعام الزوجة الطعام الحلال ليخرج الولد طاهراً نظيفاً مطهَّراً، وما حصل العقوق من الأبناء إلا بتغذيتهم بالمال الحرام.

فإذا ولد الغلام يستحب أن يؤدَّن في أذنه اليمنى ويقام للصلاة في أذنه اليسرى، ليكون أول ما يطرق سمعه شعار التوحيد.

ثم يقوم بتحنيكه بتمر، فإن لم يجد تمر فبحلو، وينبغي أن يكون المخنك من أهل الصلاح والتقوى.

ويختار له اسماً حسناً والأفضل أن يكون محمداً أو عبد الله أو عبد الرحمن، وفي الحديث الحسن: «من ولد له مولود فسماه محمداً محبة بي كان هو ومولوده في الجنة».

ويُنْسَك عنه ذبيحة، يذبح عن الولد شاتين وعن الأنثى شاة واحدة، ففي الحديث (خ) «مع الغلام عقيقته فأهرقوا عنه دمأ وأميطوا عنه الأذى» (طهره: بالاختتان).

ووقت العقيقة يوم السابع، وتأخيرها لا يفوت حتى البلوغ، وبعد البلوغ يسقط حكمها عن الأب، والولد إن شاء عق عن نفسه.

ويخلق شعره ويتصدق بزنته فضة، وبذلك أمر السيد الأعظم ﷺ السيدة فاطمة يوم سابع الحسين: أن تخلق شعره وتتصدق بزنته فضة.

فإذا كان أول انطلاق لسانه لقنه وعلمه النطق بالشهادتين: لا إله إلا الله

محمد رسول الله.

فهذه أول جرعة إيمانية يتلقاها الولد ففي الحديث (حا) ((افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله)).

أي علموا أولادكم هذه الكلمة، ومعاني التوحيد منذ أول عهدهم بالكلام، كأن تقول لولدك وأنت تعلمه: من ربك؟ فيقول: الله. ما دينك؟ الإسلام. من نبيك؟ سيدنا محمد ﷺ. من عدوك؟ الشيطان. ما مذهبك؟ السنة. ما قبلتك؟ الكعبة. ما هدفك؟ الجنة.

بهذه الكلمات وأمثالها يعرف الولد سيره، ولو كان لا يعقله ولكن مع التكرار سوف تؤثر في شخصيته الإسلامية.

معشر السادة:

وليحذر الأبوان من عدم التسوية في العطاء بين الذكر والأنثى، وليحاولا أن يكونا محبين لهم بالسواء، ففي الحديث: «ساووا بين أولادكم في العطية ألا تحبون أن يكونوا لكم في البر سواء».

ثم يقومان بتعليمهم القراءة والكتابة، ففي الحديث (ابن النجار: حسن) «إن من حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة وأن يحسن اسمه، وأن يزوجه إذا بلغ» فبتعليمه الكتابة يستعين على تعلم العلوم الشرعية والآداب المسنونة والقرآن الكريم، وبالزواج يحفظ شطر دينه.

وفي الحديث النبوي عنه ﷺ (ت - حا): «الغلام يعقّ له يوم السابع، ويماط عنه الأذى، فإذا بلغ سبع سنين أدّب، فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة يضرب على الصلاة، فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال: أدبتك وعلمتك وأنكحتك وأعوذ بالله من فتنتك في

الدنيا وعذابك في الآخرة».

وقد وردت الأحاديث في حسن تأديب الأولاد منها: «لأن يؤدّب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع». «وما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن».

وقال: «علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم».

وقد جاءت آيات القرآن الذي هو هداية للأسرة تذكر ببعض هذه الآداب التي يجب على الآباء تربية أولادهم عليها، فعلى موجات سورة لقمان:

﴿وَإِذْ قَالَ لِقْمَانُ لابنه وهو يعظه يَا بَنِيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ. يَا بَنِيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ، يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.

فانطلاقاً من هذا التوجيه القرآني ثم النبوي الشريف اهتم الآباء جيلاً بعد جيل بتربية الأولاد، وانتقوا لهم أفضل المؤدّبين والمعلمين ارشاداً وتوجيهاً ليقوموا بأداء المهمة على وجهها الصحيح.

فهاهو هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين إلى المؤدّب، قال له: يا أحمَرُ إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه، فصيرّ يدك عليه مبسوطة، وطاعتك واجبة، فكن بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروّه الأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، ولا تمرّن

بك ساعة إلا وأنت مغتنم له فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمنع في مساحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة.

فالأدب والعمل خير ما تؤدب به أولادك يا أخي المسلم ومن فضل الله على الأولاد أنهم ينشؤون على الفطرة، وعلى ما كان يعلمه الأبوان ولهذا ورد (خ) «كل مولود يولد على الفطرة فأبوانه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

إخوة الإيمان: هذا الدرس ينبغي على كل والد أن ينتبه له، اعرف وظيفتك، لا تتساهل في تربية أولادك على الأخلاق وإلا أدى بهم الأمر إلى الزيف والانحراف واعتناق مبادئ الكفر والإلحاد.

أما حين يأخذ الولد منذ الصغر القضايا الإيمانية الثابتة، وتنصب على ذهنه الأدلة التوحيدية الراسخة، فلن تستطيع معاول الهدم أن تنال من قلبه الغض الطري. يقول العالم الرباني سهل بن عبد الله التستري: كنت ابن ثلاث سنين: أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقتك، فقلت: وكيف أذكره. قال: قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي.

فقلت ذلك ليال، ثم أعلمته. فقال: قل ذلك في كل ليلة سبع مرات. فقلته ثم أعلمته. فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة: فقلته فوق في قلبي حلاوته. فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يوماً: يسهل من كان الله معه وناظراً إليه وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية.

إخوة الإيمان:

علينا أن نتعاهد أولادنا بالمسؤولية منذ الصغر، أما إذا تركنا أولادنا على غارهم وأن يتسلط عليهم من لا دين له، وأهملناهم إهمال البهائم فإنهم سيشقون ويهلكون وما أحسن قول القائل:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحجى ولكن يعوده التدئين أقرؤه
هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

هداية القرآن للقراءة

الحمد لله الذي طهر بتأديبه من أهل تقريبه نفوساً، وسقى أرباب مصافته من شراب مناجاته كؤوساً.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأقدسه تقديساً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد مفوض لقضائه مستسلم له في حكمه وإمضائه.

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله المفضل بالأدب على جميع أنبيائه المخصوص بجزيل فضله وعطائه، كان ينادي ويقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

مازال حديثنا عن الأدب الذي قيل فيه إن أدب النفس خير من أدب الدرس، بل قيل: اكتسب أدباً تكتسب نسباً، والأدب مفتاح لكل خير مغلق لكل شر.

فما وصل إلى الله تعالى من وصل إلا بالأدب، وما انقطع من انقطع إلا بترك الأدب، فالأدب أقرب الطرق إلى الله تعالى، فله طرائق بعدد أنفاس الخلائق، فأقرب الطرق إلى الله طريق الذل والانكسار، وهما من خصال الأدب.

وبعد أن وقفنا مع الأدب مع الوالدين والأبناء أختتم الحديث بالأدب مع الأقارب بما يسمى عند العلماء بصلة الرحم، فالرحم هو من يتصل بك بنسب أو قرابة، وتشمل الأبوين وإن علوا، والأولاد وإن نزلوا، والإخوة والأخوات والأعمام والعَمات، والأخوال والخالات وأولادهم.

فالأدب إعطاء كل ذي حقّ حقه، من نفقة أو زيارة أو هدية أو سلام أو سؤال عنه. إننا باختصار مع الحلقة الثامنة بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات القرآنية ﴿وَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾
/الإسراء: ٢٦/.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ /النساء/.

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ /النساء: ٣٦/.

أيها الإخوة:

هذه الوصايا في كتاب الله تعالى توصي العبد بالإحسان إلى الإخوة والأخوات وأولادهم، وتدعو إلى صلة القرابة وأن نتقي الله تعالى فيهم، فالصلة تزيد في العمر وتوسع في الرزق وتعمر الديار وتسهل سكرات الموت وتضاعف الصدقات وقد قال ﷺ: «من أحبَّ أن ييسر له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه».

واسمحو لي - معشر السادة - أن انتقل بكم إلى هناك، إلى حيث الحبيب الأعظم ﷺ وهاهو رجل يسأله فيقول: يا رسول الله إن لي أهلاً وأماً وأباً فأيهم أحق بصلتي فقال له: «أهلك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك».

فصلة الإخوة والأخوات والقراة خلق شريف من أخلاق الإسلام وهي من أبرز صفات المسلم، يرى أثرها وبركتها في دنياه قبل الآخرة يقول ﷺ: «من سرّه أن يمدّ له في عمره ويوسّع له في رزقه وتدفع عنه ميتة السوء فليتبك الله وليصل رحمه».

والأخوة في الإسلام رباط وثيق دعا إليه الإسلام وحض عليه، بل نفذه سيدنا النبي ﷺ بنفسه حينما هاجر إلى المدينة المنورة فأخى بين المهاجرين والأنصار أخوين أخوين وقال: وأنا أخي علي بن أبي طالب.

وجعل الإسلام عنوان صحيفة المؤمن الإحسان إلى الإخوة والرفق بهم والسؤال عنهم يقول ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه».

والذي يصل إخوته وقربته يزداد رزقه وتعمّر دياره ففي الحديث (طب): «إنّ الله ليعمر بالقوم الديار ويثمر لهم الأموال وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضاً لهم، قيل وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: بصلتهم الأرحام».

ولأجل ذلك كان أفضل البر: الانفاق على القراة والأهل فهو خير من الانفاق على بقية المسلمين يقول ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في ربة، ودينار تصدقت به على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك».

وفي الحديث: «يا أمة محمد والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قراة محتاجون إلى صلته ويصرفها إلى غيرهم، والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة».

لذلك الذي ينفق على قرابته له أجران على الذي ينفق على بقية المسلمين، ومرة أمر رسول الله ﷺ النساء أن يتصدقن من حليّهن، فجاءت امرأة عبد الله بن مسعود وقالت له: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإنّ رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأتته فسله فإن كان ذلك يجزئ عني وإلا صرفتها إلى غيرك. فقال عبد الله ﷺ: بل أئته أنت.

فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار لها حاجة مثل حاجتها، وكان رسول الله ﷺ قد ألقى عليه المهابة فخرج عليهما بلال فسألاه: أئ رسول الله ﷺ فسله: أتجزئ الصدقة على أزواجنا وعلى أيتام في حجورنا فقال ﷺ: «لهما أجر القرابة وأجر الصدقة».

ولهذا نرى الحبيب الأعظم يقرر قراره الأبدي فيقول: «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح» (الذي يضمن العداوة في باطنه).

ولأجل ذلك حرّم الإسلام قطيعة الرحم، وقاطع الرحم ملعون في القرآن: قال تعالى ﴿فَهِلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ /محمد: ٢٢/.

واسمع معي إلى قول مولانا في الحديث القدسي الشريف، يقول: [أنا الرحمن الرحيم وإنني شققت للرحم من اسمي فمن وصلها وصلته ومن بتكها بتكته (قطعها قطعه)].

لذا قاطع الرحم لا يدخل الجنة فقد قال ﷺ (م): «لا يدخل الجنة قاطع رحم».

وأعظم حقوق الإخوة الأخ الأكبر يقول ﷺ: «حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده» فإذا ما قطعت رحم العبد فعليه أن يوصلها وهو

المعنى المراد من صلة الرحم يقول ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها».

أيها الإخوة:

مازلنا عند الحبيب الأعظم ﷺ هاهو رجل يأتيه يشكوه قرابته اسمعوا نص الشكوى قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عليهم ويجهلون علي، فقال له رسول الله ﷺ: «إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملء - الرماد الحار - ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك» (م).

وقاطع الرحم يعاقب أيضاً على قطيعة رحمه هنا في الدنيا قبل الآخرة مثل عقوق الوالدين يقول ﷺ (خ) «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم».

وقاطع الرحم وجوده في القوم مفسدة لهم، ومدعاة لثلا يستجاب لهم الدعاء ولا تنزل عليهم الرحمة.

روي أن ابن مسعود رضي الله عنه كان جالساً بعد الصبح في حلقة فقال: أنشد الله قاطع الرحم لما قام عنا، فإننا نريد أن ندعو ربنا وإن أبواب السماء مُرَجَّتْ دون قاطع رحم. (طب).

فيما معشر السادة:

إياكم وقطيعة الرحم فإنها سبب لعدم قبول الأعمال الصالحة، يقول سيدنا أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم».

فما هي الوصية الأخيرة التي يوصينا إياها سيدنا رسول الله ﷺ؟
الوصية الأخيرة أنقلها لكم على لسان أحد الصحابة وقد سأل رسول الله ﷺ
فقال: أخبرني بفواضل الأعمال فقال ﷺ: «يا عقبه صل من قطعك، وأعط من
حرمك، واعف عمن ظلمك، ألا ومن أراد أن يمد في عمره ويبسط في رزقه
فليصل رحمه».

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

هداية القرآن في الموارث

الحمد لله مخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي، العليم بما تخفي الصدور وتبديه من كل شيء.

أحمده على نعمه كلها وأعوذ به في أداء شكرها من المطل واللي.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي هدانا إلى الرشd على رغم أنف أهل الغي.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أباح له الفی، وأظل أمته من ظلل هديه بأوسع فيء.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه من كل قبيلة وحي، وسلم تسليماً.

أما بعد فیا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

وضع القرآن الكريم نظاماً مالياً عظيماً على أحسن النظم المالية وأحكمها وأعد لها فقرّر الدين الإسلامي ملكية الإنسان للمال ذكراً كان أو أنثى بالطرق الشرعية، كما قرر انتقال ما كان يملكه الشخص في حياته إلى ورثته بعد وفاته من الرجال والنساء بدون تفريق بين صغير وكبير، وقد بين الكتاب العزيز الذي هو هداية شاملة للعالمين في جميع نواحي الحياة، بيّن أحكام الموارث وأحوال كل وارث بياناً شاملاً شافياً لم يترك لأحد من البشر قسمة أو تحديد شيء من الموارث، فالقرآن الكريم هو العمدة في أحكامها ومقاديها.

ولا يوجد في الشريعة الإسلامية أحكام تعرض القرآن الكريم ببيانها بياناً تفصيلياً مثل أحكام الموارث، والسبب في هذه العناية الفائقة أن الإرث من أهم أسباب تملك الأموال، والمال عصب الحياة بالنسبة للأفراد والجماعات، إذ به قوام

البشرية وعليه تدور رحى الحياة.

إننا مع الحلقة التاسعة بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلَاثَا مَا تَرَكَ، وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ، فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ /النساء/.

أيها الإخوة:

هذه آية من آيات ثلاث فصلن آيات المواريث، وضع الباري فيها نصيب كل وارث ممن يستحق الإرث، وأرشد إلى مقدار إرثه وشروطه والحالات التي يرث فيها الإنسان والحالات التي لا يرث فيها، فمن أحاط بهذه الآيات الثلاث سهل عليه معرفة نصيب كل وارث، وأدرك حكمة الله الجليلة في قسمة الميراث على هذا الوجه الدقيق العادل الذي لم ينس فيه حق أحد، ولم يُغفل من حسابه الصغير والكبير والرجل والمرأة، بل أعطى كل ذي حق حقه على أكمل وجوه التشريع وأروع صور المساواة وأدق أصول العدل.

ولهذا قال العلماء: إن علم الفرائض نصف العلم، وقد قال ﷺ: «تعلموا القرآن وعلموه الناس وتعلموا الفرائض وعلموها الناس، فإني امرؤ مقبوض وإنّ

هذا العلم سيقبض وتظهر الفتن حتى يختلف الاثنان في الفريضة فلا يجدان من يفصل بينهما».

أيها السادة:

اسمحوا لي أن أفصّل في جزء هذه الآية التي صدرت بها حديثي معكم ولأبدأ معكم بالجزء الأول وهي قوله تعالى ﴿لِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾. فهي تعني أن الميث إذا خلف ذكراً واحداً وأنثى واحدة اقتسما المال بينهما، للذكر سهمان وللأنثى سهم واحد.

وإذا كان الورثة جمعاً من الذكور والإناث فإنهم يرثون المال للذكر ضعف الأنثى.

وتعني أيضاً إذا وجد مع الأولاد أصحاب فروض (كالزوجين والأبوين) فإننا نعطي أصحاب الفروض أولاً ثم ما تبقى نقسمه بين الأولاد، للذكر مثل حظ الأنثيين.

وإذا ترك الميث ابناً واحداً فقط فإنه يأخذ كل المال، وهذا وإن كانت الآية لم تنص عليه صراحة إلا أننا نستطيع إدراكه من الآية فإن قوله تعالى ﴿لِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾، ثم ذكر في تتمتها فقال ﴿وإن كانت واحدة فلها النصف﴾ فيلزم من مجموع الآية أن نصيب الابن إذا انفرد جميع المال.

وأنا أطرح اليوم سؤالاً لأجيب عنه بإذن الله تعالى وهو سؤال هام: لماذا كان نصيب الذكر ضعف الأنثى؟ سؤال أعرضه لأسكت المنافقين الذين نبتوا في هذا الزمان، ونشروا فكرة ضالة خبيثة يقولون: إن الإسلام بخس المرأة حقها في الميراث، وجعلها على النصف من حظ الرجل، يريدون على حد زعمهم دفع الظلم عنها بتسويتها بالرجل في الميراث، وهؤلاء هم ثعالب البشر يمحرون بالمرأة ويغررون بها من أجل أن تتمرد على تعاليم الإسلام وتطالب بالمساواة مع الرجل.

ومن العجب أن هؤلاء الذين ييكون أو يتباكون على المرأة هم أنفسهم الذين يخلوا عليها بالنفقة، وأجبروها على النزول إلى المعمل والدكان لتكسب وتنفق على نفسها من مالها الذي جمعه، إنهم تلامذة الغرب الكافر، الغرب الذي لا يقيم للمرأة وزناً، ولا ينظرون إليها إلا بمنظار الشهوة والمتعة، فالحقيقة أن هؤلاء هم الذين خدعوا المرأة، وهم الذين بخسوها حقوقها وهم الذين أذلوا في نفسها وعرضها.

فما هو الجواب عن هذا السؤال؟

لماذا أعطى الإسلام للذكر سهمين وأعطى للمرأة سهماً واحداً؟
أقف اليوم بينكم لألقي الأشعة الكاشفة عن هذه القضية التي اتهم فيها الإسلام ظلماً بظلمه للمرأة.

فتعالوا معي معشر السادة لنرى مدى دفاع الإسلام عن المرأة.

إخوة الإيمان:

كانت المرأة قبل أن تبزغ شمس الإسلام لا تعطى شيئاً من الإرث، بحجة أنها لا تقاتل ولا تدافع عن حمى العشيرة، فكان العربي يقول: كيف نعطي المال من لا يركب فرساً ولا يحمل سيفاً ولا يقاتل عدواً فكانوا يمنعونها من الإرث كما يمنعون الوليد الصغير.

فماذا فعل الإسلام؟ إن القرآن يقرر أن للمرأة حقاً في الميراث تأخذه بعزة وكرامة لا منة فيه لأحد عليها، وليس إحساناً ولا تحنناً بل هو كما قال تعالى ﴿فريضة من الله﴾.

فما هي الحكمة من أنها تأخذ نصف نصيب الرجل؟

أولاً: أعطى الإسلام للمرأة مؤنتها وحاجتها، فنفتها واجبة على زوجها وابنها وأبوها وأخوها.

ثانياً: المرأة لا تكلف بالانفاق على أحد بخلاف الرجل، فإنه يكلف بالانفاق على الأهل والأقارب والزوجة والأولاد.

ثالثاً: نفقات الرجل أكثر والتزاماته المالية أضخم، فحاجته إلى المال أكبر من حاجة المرأة.

رابعاً: الرجل يدفع مهراً للمرأة (الزوجة)، ويكلف بنفقة السكنى وبالمطعم والملبس للزوجة والأولاد.

خامساً: أجور التعليم للأولاد، وتكاليف العلاج والدواء يدفعها الرجل دون المرأة.

من هذه النظرة الخاطفة يتبين لنا حكمة الله جليلة في التفريق بين نصيب الذكر والأنثى، ولهذا وضع الإسلام قاعدة: «الْعُنْمُ بِالْغَرَمِ» أعني كلما كانت النفقات على الشخص أكثر استحق أن يكون نصيبه أكثر وأوفر.

واسمحوا لي أن أضرب لكم هذا المثال لتتوضح حكمة التشريع:

إنسان توفي وخلف ولدين فقط ذكراً وأنثى، وترك ميراثاً لهما ثلاثة آلاف ليرة فعلى ضوء الآية القرآنية تأخذ الأنثى ١٠٠٠ ألفاً، ويأخذ الذكر ألفين، وإذا كانت على أبواب الزواج، وأراد الشاب أن يتزوج فإنه يدفع المهر لزوجته ولنفرض أن المهر ٢٠٠٠ ألفان، فقد دفع كل ما ورثه من أبيه مهراً لزوجته، فلم يبق معه شيء ثم يكلف بعد الزواج بكل النفقات، نفقات السكن والطعام والشراب والكسوة.

وأما البنت فإنها إذا أرادت أن تتزوج تأخذ المهر من زوجها، ولنفرض أنه ٢٠٠٠ ألفان فقط فهي قد ورثت ألفاً من أبيها وأخذت ٢٠٠٠ ألفين مهراً من زوجها، وأصبح مجموع ما لديها ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف، ثم هي لا تكلف بإنفاق شيء من مالها مهما كانت غنية لأن نفقتها أصبحت على زوجها، فهو المكلف بالانفاق عليها ما دامت في عصمته: فمالها زاد، وماله نقص وما ورثته من أبيها بقي ونما،

وما ورثه من أبيه ذهب وضاع، فمن هو أسعد حالاً وأكثر مالاً الفتى أم الفتاة، ومن الذي تنعم وترفه أكثر الذكر أم الأنثى، هذا هو الشرع والدين في ميراث البنات والبنين.

وهكذا نجد - معشر السادة - كيف رفع الإسلام الظلم عن كاهل المرأة، ودفع عنها العدوان، ورثها بعد أن لم تكن ترث، وجعل لها نصيباً مفروضاً. فلترفع المرأة رأسها عالياً بالإسلام ولتخرس كل الألسنة التي تدعي الدفاع عن المرأة زوراً، وبهتاناً وليحييا الإسلام عالياً في جبين الدهر، فالعظمة للإسلام والحياة للإسلام والعزة للإسلام وللمتمسكين به.

﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾.

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى^(١).

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

^(١) اقتضرت على خطبة واحدة في قضية الموارث للتنويه بشأنه، ولم أتم الحديث عن مواضعه الأخرى لأن هذا البحث جاف، مكان بحثه الدرس وليس المنبر، والله الموفق.

هداية القرآن في الأموال

الحمد لله الذي جعل مرور الشهور والأعوام عبرة وذكرى لأولي الأحلام. وتنبيهاً على قرب انقضاء الآجال وحلول الحِمام إذ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. وسيسأل الله العباد يوم القيامة عما عملوه في كل يوم من الأيام يقول سيد الأنام: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق».

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أوجد العالم على أبداع نظام، وأقام الكون على سنن لا يعتريها تبدل ولا انخرام.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله هدى إلى السعادة بما سنّه من آداب وأحكام.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

أتابع معكم اليوم قضية المال التي رسمها الإسلام، وحدد صورة علاقتنا بالمال هذه الصورة تتضح معنا اليوم في المواقف الإيمانية القرآنية التي حددت المعالم الشرعية لقضية الاقتصاد الإسلامي.

فما المال الذي بين أيدينا إلا وديعة، ونحن مستخلفون عليه من لدنه سبحانه، فهو القائل جل وعلا ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ /الحديد:

./٧

فما كان هذا المال ملكاً لآبائنا أو أسلافنا بل هم قد استودعوا هذا المال حيناً من الدهر ثم تركوه، فكان استخلافهم عليه إلى حين، وهذا ما سيكون منا، وهكذا إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، ويومئذ يعلو نداء الحق على رؤوس المخلوقات ليبين حقيقة ذلك ﴿لَمَن الْمَلِكُ الْيَوْمَ؟﴾ فلا يجيب أحد، ويجب المنادي ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ الْيَوْمَ تَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ / غافر: ١٧.

إننا مع الحلقة العاشرة بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

إخوة الإيمان:

يحدّد الإسلام بكل صراحة علاقتنا بالمال، فينفي أن تكون على هيئة ملكية مطلقة، لأن هذه الملكية المطلقة تحكمها الأنانية، ويقودها الجشع، ويقتزن بها على الأقل عدم الثقة بالله تعالى، وضعف الاستعداد للقائه، فالمالك الذي لا يحسّ بأن الله تعالى مالك ماله لا يقبل أن يشاركه أحد ملكيته، ويحاول أن يجمع المال ولو من غير حلّه، وهو لا يؤدي حق الله في ماله لأنه لا يثق بالله تعالى، ولا يتذكر النهاية المحتومة، مثل هذا المالك يؤدي به غناه إلى الفساد والطغيان وصدق الله العظيم ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاجٍ﴾ / العلق: ١.

وطغيان الإحساس بالملكية المطلقة يؤدي إلى الظلم وتجاوز أحكام الله تعالى في تصريف المال، وهذا أمر خطير لأن صاحبه أشبه بمن ينازع الله تعالى سلطانه على الأموال والأنفس والثمرات.

ومن أجل هذا رسم الإسلام صورة علاقتنا بالمال، فجعلها خلافة عن الله تعالى وجعله ودعة بين أيدينا ووسيلة إلى رضوانه سبحانه، ونتيجة هذه الخلافة عظيمة في سلوك المؤمن، فهو إن بقي له مال حمد الله تعالى الذي استخلفه ووظفه

فيه، وإن أصابته مصيبة في ماله فضاغ أو نقص لم يحزن على شيء فاتته، أوليس المال مال الله والكون ملكه سبحانه، ولهذا انتبهوا إلى هذه القضية التي صرحت بها الآيات القرآنية على موجات سورة الحديد: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ /الحديد/.

فما هي التعليمات والأوامر القرآنية الخاصة بقضية المال في الإسلام؟ كيف شرع القرآن توظيف المال لخدمة الأمة ورعاية مصالحها؟

إن القرآن وضع تشريعات تضمن تحقيق هذا الهدف:

أولها: أن يكون مصدر المال كسباً حلالاً ليس فيه سرقة ولا اختلاس ولا شبهة قال عز من قائل: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ /البقرة: ١٦٨/.

واسمع معي إلى قول صاحب الرسالة العصماء وهو يقول «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الرِّسَالُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ /المؤمنون: ٥/.

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول: يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأني يستجاب له» (م- ت).

الثاني: أن يوظف ماله لصالح الأمة، فقد حرّم الإسلام كنز المال، وأنزل بالكانزين أعنف العقاب وأوعدهم بعذاب تتحول فيه أموالهم أدوات جهنمية فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْزْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ /التوبة: ٣٤/.

وبهذا ضمن الإسلام تسخير كلِّ الأموال لمصلحة الأمة، وضمن في الوقت نفسه ألا تنشأ في المجتمع الإسلامي طبقة من الأغنياء أصحاب الكنوز، أو أصحاب الاستعلاء والفساد، فالكنز والفساد قرينان من قديم يقول عز من قائل: ﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ، وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدِّينِ وَأَحْسَنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ /القصص: ٧٦- ٧٧/.

وكم في الدنيا الآن من أمثال قارون كنزاً وطغياناً، فإن ظنوا أنهم قد ملكوا الدنيا فحسراهم في الآخرة لاشك فيه، وصدق الله العظيم ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ /القصص/.

أيها السادة:

ومن وظائف المال في الإسلام انفاقه في الجهاد ضد أعداء الله تعالى، وقد اشترى الله منا أنفسنا وأموالنا بثمن غالٍ هو الجنة، وهو سبحانه مالك أنفسنا وأموالنا من قبل الشراء ومن بعده، رضينا ذلك أو كرهناه، فكان من بالغ لطفه بالمؤمنين أن قال ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ /التوبة: ١١١/.

ومن وظائف المال في الإسلام أن ينفقه صاحبه على نفسه وأولاده وأهل بيته وفقراء ذوي رحمه وقضاء حاجات المعسرين ففي الحديث عنه ﷺ (م- د- ت): «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كَرِبَةً مِنْ كَرِبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرِبَةً مِنْ كَرِبِ يَوْمِ»

القيامة، ومن يَسِّر على معسر في الدنيا يَسِّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

ومن وظائفه تأمين حاجة الأبناء عند الكبر والمرض والوفاة وبحيث لا يحرم وارث من ميراثه يقول ﷺ: «من فرَّ بميراث وارثه قطع الله ميراثه من الجنة يوم القيامة» (هـ).

أيها الإخوة:

وبهذا نجد بأن الإسلام حرر المسلم من العبودية إلا لله، وحرر المال من أن يكون حكرًا لفرد، وجعله موجهاً لمصلحة الأمة، وهذا هو المعنى الذي فهمه سيدنا أبو ذر الغفاري حين قال: إن خليلي عهد إلي: أيما ذهب أو فضة أوكي عليه فهو جمر على صاحبه حتى يفرغه في سبيل الله عز وجل (أحمد).

معشر السادة:

اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك، إلى حيث الحبيب الأعظم ﷺ فالخطب جلل، إذ أن أعرابياً جافياً قدم إليه فقال:

أعطني يا محمد فإنك لا تعطيني من مالك ولا من مال أبيك.

وبهم سيدنا عمر بقتله لهذه المرأة على سيدنا رسول الله ﷺ، ولكن سيدنا محمداً رسول الله ﷺ يمنع عمر من إيذائه ثم يعطيه حتى يرضى.

كان ذلك من سيدنا رسول الله ﷺ تطبيقاً رائعاً لمعنى الخلافة عن الله تعالى في المال، وكان درساً لقنه أصحابه، الذين بدأ بهم مجتمع المدينة بعد الهجرة فأسسه على الإيثار والسخي والترفع عن عرض الدنيا رغبة فيما عند الله تعالى.

حتى لحظة وفاته ﷺ روي أنه كانت عنده سبعة دنانير في مرضه الأخير فقال ياعائشة ابعتي بالذهب إلى علي، ثم أغمي عليه، وتنشغل السيدة عائشة بنينا ﷺ

فكان كلما صحا يسألها: هل بعثت بالدنانير إلى علي؟ فبعثت بها إليه فتصدق بها ولم يبق في بيته ﷺ عندما مات شيء.

معشر السادة:

بهذه المعاني فهم أسلافنا وظيفة المال، كما أراد القرآن وكما علمهم رسول الله ﷺ وأهم لم يخلقوا إلا ليكونوا عباداً لمن استخلفهم في الأرض فنهضوا بتبعية الخلافة وأدوا أمانتها، وحين سئل أعرابي عنده إبل كثيرة لمن هذه الإبل يا أعرابي؟ قال: هي لله تعالى عندي.

هذه هي كلمة الإسلام والقرآن بقضية المال، وبهذا الفهم عرفت الأمة الإسلامية المال، أمة ترى المال وسيلة لا غاية، أمة ربانية سخرت كل ما بين يديها لطاعة ربها، مرددة مع نبيها وقودتها: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر» (ق).
هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

الحمد لله الذي أسعد وأشقى وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأقنى وأفقر وأغنى الذي خلق الإنسان من نطفة نمت ثم تفرد على الخلق بالقاهرة والغنى ثم خصص بعض عباده بالحسن فأفاض عليهم من نعمه ما أيسر به من شاء واستغنى وأحوج إليه من أخفق في رزقه وأكدى.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا محمداً الصادق الوعد الأمين وقف عندما نزل قوله تعالى ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فقال ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد.

ما هي القضايا الخمسة، وما هي الحدود السبعة، سؤالان أسألهما وأستمد العون من مولانا في الإجابة عنهما.

خمس قضايا من فرط بوحدة منها أقام الإسلام عليه الحد، وهذه القضايا أو الكليات الخمسة هي حفظ الدين أولاً، والعقل ثانياً، والنفس ثالثاً، والعرض أو النسب رابعاً والمال خامساً، جمعها صاحب الجوهرة في بيت واحد في منظومته في العقيدة فقال:

وحفظ دين ثم نفس مال نسب ومثلها عقل وعرض قد وجب

إننا مع الحلقة الحادية عشرة بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا شعار التوحيد.

أيها السادة:

كل من يدخل في الإسلام حراً مختاراً ثم يفرط في هذا الدين ويقطع استمرار إسلامه بالكفر ولا يحافظ عليه يسمى عندنا مرتداً.

والردة أنواعها ثلاثة : ردة في الاعتقادات وردة في الأفعال وردة في الأقوال.

كل إنسان يعتقد شيئاً مكفراً كأن يعتقد أن العالم قدم كالذات الإلهية أو يفعل أو يقول مكفراً سواء قاله استهزاء أم عناداً أم اعتقاداً كأن تردد في الكفر أو عزم عليه في المستقبل أو كذب رسولاً أو حلل حراماً بالإجماع معلوماً بالدين بالضرورة (أي يعلمه الصغير والكبير والجاهل والعالم) كأن يحلل الزنا أو اللواط والقتل والسرقة والغصب أو حرم حلالاً كالبيع والشراء والنكاح أو جحد واجباً مجمعاً عليه معلوماً بالدين بالضرورة كالصوم والزكاة أو الوضوء والصلاة، ليسمع تاركو الصلاة : (من ترك الصلاة المفروضة عليه جحداً أو عناداً كأن ادعى أن الله لم يفرض الصلاة) فهذا كفر وصار مرتداً وأما إن تركها كسلاً أو تهاوناً ولم يتب بعد استنابته فهذا يقتل بالسيف حداً، حتى قالوا : لو ترك صلاة الظهر وحضرت المغرب ولم يصلها يقتل، لو ترك الجمعة وقال أصلها ظهراً يقتل، لهذا يجب التوبة فوراً على تارك الصلاة لأن الإمهال يؤدي إلى تأخير الصلوات وسمع معي قول نبينا ﷺ وأنت تصلي عليه يقول: (ق) أمرت أن أقاتل حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى (هذا حديث متواتر رواه تسعة عشر صحابياً).

إذاً ترك العبد الصلاة جحداً أو عناداً مكفر كذا من ألقى مصحفاً في قاذرة أو مرقه مع قرنية الإهانة أو جحد آية من القرآن أو زاد حرفاً فيه معتقداً أنه منه، أو سجد لصنم أو مخلوق آخر بقصد تعظيمه كتعظيم الله كفر، فإن لم يقصد كان حراماً.

وأما ما جرت به العادة من خفض الرأس إلى حد لا يصل إلى أقل الركوع فلا كفر به ولا حرمة لكنه مكروه.

ومن ادعى بوجود نبي بعد سيدنا محمد ﷺ أو صدق مدعيها أو أنكر رسالة واحد من الرسل المجمع على رسالته كالخمس والعشرين المذكورين في القرآن كان مرتدًا. أو استخف باسم الله أو رسوله أو رضي بالكفر أو قذف أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أو أنكر صحة مولانا وسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه لثبوت صحبته بالقرآن (إذ يقول لصاحبه لا تحزن) أو قال لمسلم : يا كافر أو يا يهودي أو يا عدو الدين.

وأذكر أن رجلاً سرق من بيته شيء فتمن فاتهم به رجلاً معيناً، فقال له: أرايت لو أحضرت لك شهوداً أنني لم أسرقه؟ أعرفون بم أجاب هذا الأفاق؟ أجاب بكلمة لو مزجت بماء البحر لنجسته قال: لو شهد عندي الملائكة والأنبياء وجميع المسلمين بذلك ما قبلتهم. وقد ارتد بهذه الكلمات عن الإسلام ولم يعلم فقيل له اتق الله هناك يوم قيامة فقال: لا أخاف يوم القيامة، ثم أردف يقول: ما أصبت خيراً منذ صليت له.

ثلاث عبارات تكلم بها هذا الكافر كل واحدة منهن كفت لتخرجه عن بوتقة الإسلام.

لهذا يجب على المرء أن يحفظ لسانه عن ألفاظ الردة وقلبه عن الاعتقاد بما وجوارحه عن العمل بما، كل شخص مسلم ينطق بإحدى كلمات الكفر بطوعية واختيار وكان عاقلاً وغير معذور كأن أكره على قول ذلك، لأن الإكراه مع الشيء ينفي حكمه، وفي الحديث : رفع عن أمتي ثلاث: الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

واسمحوا لي معشر السادة أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك لأعرض على مسامعكم مشهداً عظيماً من ألوان الاضطهاد والعذاب الذي كان يلقي الجليل الأول من الصحب الكرام في سبيل الدفاع عن الإسلام والحفاظ عليه صافياً نقياً.

الزمان : السنوات الأولى للبعثة النبوية.

المكان : مكة المكرمة أم القرى.

الحدث : انتقام المشركين من آل ياسر.

آل ياسر : الأب والأم والابن.

وأرى بعين الإيمان واليقين وهم في القيود والسيئات خطاً على أجسادهم بدون رحمة ولا شفاعة، والثلاثة ثابتون صامدون موحدون لا يبدلون ولا يغيرون ، كلما نزل سوط على ظهورهم نادوا بكل إيمان لا إله إلا الله.

ومر عليهم سيدنا محمد ﷺ ورآهم فترقق في عينه الدمع وقال لهم : (اصبروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة) الله أكبر أما بيننا وبين الجنة إلا أن نموت، وصمد القوم فقتل الأب أمام عيني الأم والابن بحربة غادرة ، وربطت الأم بيديها وشدت من كل طرف بجبل وهي صامدة لا تكفر ولا ترد ولا ترضى بديلاً عن الإسلام ، كل هذا العذاب وهي لا ترضى أن تتزحزح خطاً عن الإسلام ، ويشد القوم الحبال من كل جانب حتى قطعت يد المرأة ، وتموت شهيدة في الإسلام فقولوا رضي الله عنها

ويبقى الابن عمار والدموع تسيل من عينيه والهلع والحزن يعتصر قلبه خطأ الطري ، ويصب عليه جام غضبهم ويدعونه ليقول كلمة الكفر فإذا به يقولها تحت سياط العذاب ، وهنا تهدأ نائرة القوم ويحلوا وثاقه ويطلقونه ، فيذهب مباشرة إلى طبيب القلوب سيدنا محمد ﷺ ويخبره بما فعل ونطق فقال له : (لا عليك كيف تجدد قلبك) ، قال (مطمئن بالإيمان يا رسول الله) ، فقال له : (إن عادوا فعد ، إن عذبوك لتقولها فقلها) وأنزل مولانا عز وجل في هذه القضية قوله : (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) .

اخوة الإيمان:

وأما من ينطق بألفاظ الكفر باختياره وطواعيته فهذا حبط عمله السابق وجميع حسناته وطاعاته ذهبت سدى ، وذهبت أدرج الرياح فكأنه لم يعمل خيراً قط ، وإن مات بعد رده خسر الدنيا والآخرة وخلد في نار جهنم ، اسمعوا إلى مولانا عز وجل يقرر هذه القضية فيقول على موجات سورة البقرة : (ومن يرتد منكم عن دينه قيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

ولا تصح صلاته ولا خطأ ولا صومه ولا اعتكافه وبطل ثواب حجه ويلزمه إعادته عند الحنفية والمالكية ، وتحرم ذبيحته كالكافر ، وحرمت عليه زوجته وبانت عنه عند الحنفية فلا يرجع لها بعد إسلامه إلا بمهر وعقد جديدين ولا يرث ولا يورث ، فإذا مات لا يصلى عليه ولا يغسل ولا يكفن ولا يدفن في مقابر المسلمين ، قال مولانا عز وجل لنبيه ومصطفاه : (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) ، ورحم الله من قال :

من يرتد عن دينه فليستتب فإن أبى فالقتل فوراً قد وجب

ولم يجهز بالصلاة تمتنع كالدفن في قبورنا فليمتنع

فإذا لم يمت فيلزمه فوراً ودون استبطاء أن يعود إلى الإسلام وينطق بالشهادتين ويتوب إلى الله تعالى ويقلع عما وقعت به الردة في الحال وعليه الندم

والحزن على ما صدر منه فيما مضى ، وأن يعزم على أن لا يعود إلى مثله ، فهذه أركان التوبة.

فإذا لم يتب كان على حاكم المسلمين أن يقيم عليه حد الردة لأنها خيانة عظمى ، دخل الدين باختياره لكنه تمرد على الله بكفره فأوجب عليه الإسلام ضرب عنقه بالسيف حداً ، قال سيدنا رسول الله ﷺ : (من بدل دينه فاقتلوه) ، لم يقل فاسجنوه ، بل قال : فاقتلوه . لأن السجن لا يصلحه ولا يهدبه ، ثم إن الإسلام لا يعرف السجون ، والسجن في الإسلام في نقاط الحدود حرام ، وكذا إذا كان المسجون مظلوماً ، لماذا ؟ لأن النبي ﷺ قال في حديث صحيح الإسناد صريح المعنى : (دخلت امرأة النار في هرة حبستها) قطة ! دخلت النار في قطة ! لماذا ؟ كوتها بالنار ، عذبتها ، وضعتها في غرفة باردة في ليالي الشتاء ؟ لا ، حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً. السجن للقطط حرام ، فما بالك بسجون الاعتقالات التي تحدث في العالم وخصوصاً لإخواننا في فلسطين بيد الصهاينة عملاء أمريكا ، ولكن رسول الله قال بعد ذلك : (رأيت ليلة المعراج امرأة تنهش من لحمها قطة لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً) قولوا : الله أكبر .

فليتجهز قضاة السوء الذين يسجنون إخواننا في فلسطين ليدخلوا النار بحبسهم المسلمين.

إن تعطيل حد من حدود الله بسجن صاحبه بدل إقامة الحد عليه حرام في الإسلام ، وليس في إقامة الحد على من بدل دينه ضغط على الحريات أو اعتداء عليها كما يدعي عملاء الاستعمار ، كما أنه ليس فيه ضغط على حرية أحد ، لأن دخول الإسلام كان بكامل حريته ، وتذكروا أن الذي يقيم الحدود وينفذها هو الحاكم ، الإمام لا بأيدينا نحن حتى لا تكون الحياة فوضى .

فما هي القضية التالية ؟ أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا.

الحمد لله المنتقم الجبار قاصم الجبابرة العزيز القهار ، المسلط جام غضبه على كل متكبر خطأ.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كتب : (لأغلبن أنا ورسلي).
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أنزل عليه سورة الرحمن وفيها (سنفرغ لكم أيها الثقلان
فبأي آلاء ربكما تكذبان)
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلآله وصحبه ومن أتبعهم بإحسان وسلم تسليماً.
أما بعد:

فيا حمة الإسلام وحراس العقيدة ، طرحت عليكم في الجمعة الماضية قضية هامة قررت على أثرها تحريم السجون على من فرط في القضايا الخمسة أو الكليات الخمسة ، وأنا اليوم أطرح سؤالاً لأجيب عنه بإذنه تعالى ما هو البديل في الإسلام عن السجون ، هل يترك الإسلام الجريمة تعربد في عرصات الدنيا ، إذا لم يكن هناك سجون تهذب وتصلح كما يزعمون ، فهل نطلق الجريمة ، هل نطلقها وأصحابها يعربدون في جنبات الحياة ، لا، إن الإسلام ضد الجريمة ، بل إن الإسلام لا يضع يديه في يدي مجرم ، فما هو الحل ؟ الحل أن نقيم حدود الله وننفذها كما أمر تماماً فهو الأعلّم بما يصلح المجرمين ويروّعهم عن أن يعكروا صفو المجتمعات ، والحدود في الإسلام سبعة خطأ عن جريمة القتل التي تعد من الكبائر الموبقة قرنها بالشرك بالله ففي الحديث الشريف (اجتنبوا السبع الموبقات) قيل يا رسول الله وما هن ، قال: (الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .
ولما كان القتل قرين الكفر كان أول ما يقضى به يوم القيامة بين الناس ، ففي الحديث الصحيح (أول ما يقضى به يوم القيامة بين الناس الدماء .
ولن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً .

واسمع معي قول سيدنا محمد ﷺ : (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق)
ف (كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً)
حتى الذي يعين على قتل المسلمين بتقرير أو كلمة أو إشارة مشارك في إثم القتل ففي الحديث :
(من أعان على دم امرئ مسلم بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله .
وأما أولئك الذين يحبون القتل والتدمير ويدخل السرور قلوبهم بقتل الناس فاسمعوا ماذا يقول عنهم سيدنا رسول الله يقول: (من قتل مؤمناً فاغتبط (سر) بقتله لم يقبل الله منه حرفاً ولا عدلاً) لا فريضة ولا نافلة.

حتى لو كان جماعة اشتركوا في قتل مسلم فإن الله يياديههم يوم القيامة ويدخلهم نار جهنم نطق بهذا سيد الكائنات حيث يقول: (لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبههم في النار)
وستراهم يا أخي بأم عينك يوم القيامة حين يقفون على أرض المحشرين يستقبلهم العنق ، نعم عنق ناري يخرج من النار ويتكلم ويقول: وكلت اليوم بثلاثة: بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله إلهاً آخر ومن قتل نفساً بغير نفس فينطوي عليهم فيقذفهم في حراء جهنم .

إننا مع الحلقة الثانية عشرة بعد المائة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا شعار التوحيد.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة النساء:
(وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ، ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبةً من الله وكان الله عليمًا حكيمًا . ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً)

إخوة الإيمان :

حددت هذه الآيات أنواع القتل وهو على ثلاثة أضرب:
أولاً : القتل العمد : وهو أن يتعمد شخص مكلف أن يقتل شخصاً مسلماً بأداة قاتلة .
ثانياً : القتل شبه العمد : وهو أن يقصد شخص أن يقتل شخصاً بأداة لا تقتل عادة فهذا فيه الدية المغلظة مئة من الإبل من مال قبيلته يؤديها خلال ثلاث سنين .
ثالثاً : القتل خطأ : وهو أن يقصد شخص أن يرمي شجرة مثلاً فأصاب إنساناً فقتله ، فهذا فيه الدية المخففة مئة من الإبل يؤديها خلال ثلاث سنين .

وأما لو هدد شخص امرأة حاملاً أو ضربها بالفعل أو سقاها شرباً أو منعها الطعام والشراب فأسقطت جنينها ميتاً وجب على القاتل إعتاق رقبة خطأ (وفي الجنين إذا انفصل غرة) أي عبد ذو ذمة .

معشر السادة :

ولا يجب القصاص في الأنواع الثلاثة المتقدمة إلا بالقتل العمد أجمع على هذا أهل العلم ، ودليله آية في كتاب الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) / البقرة : ١٧٨ / .
وليس هذا انتقاماً ولا إرواءً للأحقاد إنما هو أجل من ذلك وأعلى ، إنه في سبيل الحياة ، بل هو في ذاته حياة ، اسمع إلى قول مولانا عز وجل يقرر هذه الحقيقة فيقول على موجات سورة البقرة : (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون) .

إن الذي يؤمن أن يدفع حياته ثمناً لحياة من يقتل جدير به أن يتروى ويفكر ويتردد ، بأن الاعتداء على حياة فرد اعتداء على كل إنسان حي ، فإذا كف الجاني عن إزهاق حياة واحدة فقد كف عن الاعتداء على الحياة كلها ، وكان في هذا الكف حياة ، حياة مطلقة لا حياة فرد ولا حياة أسرة ولا حياة جماعة بل حياة الأمم كلها .

ويكفي القاتل الذي اقتص منه أن يسلم منه القصاص يوم القيامة ، فإنه إذا اقتص منه يوم القيامة لم يقتص منه في الآخرة وفي ذلك حياته الأبدية السرمدية .

فما هو حكم الجماعة إذا اشتركوا في قتل شخص وكانت ضربة كل منهم قاتلة ؟

هذه القضية استشكلت على الصاحب الكرام في صدر الإسلام زمن قوة الدولة الإسلامية زمن سيدنا ومولانا وقدوننا سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه حيث أرسل إليه والي اليمن أن سبعة هجموا على رجل فقتلوه غيلة ، وحرار الصحابة الكرام في هذه القضية التي تحدث لأول مرة وخاصة بعد ندرة عدد الجرائم التي أقيمت فيها الحدود على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء ، وكان معظمها مصحوباً باعتراف الجاني نفسه طائعاً مختاراً .

أما الآن فقد تفاقمت القضية وكانت تحتاج إلى حل جذري وإلا فستقوم كل طائفة أو مجموعة بقتل شخص معاً ، فما الذي فعله المحدث الملهم قولوا رضي الله عنه ، لقد حزم أمره فيهم وأمر بإقامة الحد عليهم جميعاً لقتلهم رجلاً واحداً ، وقال قولته المشهورة : لو تمالا (اتفق) عليه أهل صنعاء لقتلتهم به جميعاً .

ولم ينكر عليه أحد من الصحابة فصار ذلك إجماعاً .

في نهاية هذه القضية يجب علينا أن نعتقد مسألة هامة في هذه القضية هي أن أي إنسان يموت بقتل أو بغيره ، بسبب أو من غير سبب يموت وقد استوفى أجله الذي قدره الله له وقضاه أزلاً بخلقه تعالى ، أي أن القتل لا يقطع الأجل ، بل قال أهل السنة : أنه لو لم يقتل لجاز أن يموت في ذلك الوقت أو أن لا يموت فيه إن لم يقتل لأنه لا اطلاع لنا على ما في علم الله . هذه القضية قررها القرآن الكريم فقال : (ولئن متم (أي من غير سبب) أو قتلتم (بأن متم بسبب) لإلى الله تحشرون) .

ولهذه يقول صاحب منظومة العقيدة :

وميت بعمره من يقتل وغير هذا باطل لا يقبل

وصدق الله العظيم : (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

هذه هي عقيدتنا ، ولذلك لو تاب القاتل قبل أن ترفع قضيته إلى القاضي أو بعدها فإنه لا يخلد في النار ، القاتل تصح توبته لكن عذابه إلى الله تعالى إن شاء قبلها وإن شاء أدخله النار ثم يخرجها منه بفضلته وكرمه لوجود بذرة الإيمان ، فماذا يقول علماء التفسير والعقيدة في قوله تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) ، قالوا : هذا مخصوص بالمستحل للقتل ، وقالوا : إن الكفر أعظم من القتل العمد

ومع ذلك قبل الله توبة الكافر فقبوله توبة القاتل أولى ، قال تعالى : (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) .

وقالوا : إن الله تعالى يقول : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وهذه الآية يدخل فيها القتل وغيره .

وأكبر دليل على قبول توبة القاتل قوله تعالى : (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً) . الله يقول : (إلا من تاب) .

إن باب التوبة مفتوح لكل من قصده ورام الدخول منه ، يقول ﷺ : إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر .

فما هو حكم من يقتل نفسه أو يخنقها أو يطعننها ، أدع هذه الفتوى لسيدنا رسول الله ﷺ فهو الذي يقول : من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن تحسى سمّاً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ فيها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً) .

معشر السادة :

واسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هذا المشهد الذي يحدث على أرض المعركة في قتال مع المشركين حيث يقدم الآن رجل في أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يترك أحداً يقع تحت سيفه إلا ضربه ضربة قاتلة حتى قال الصحابة : ما أجزأنا اليوم أحد مثلما أجزأ فلان ، ومال رسول الله إلى عسكره فحدثه القوم حديث الرجل الشجاع فقال : (أما إنه من أهل النار) ، فقال القوم : أيننا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ، فقال رجل من القوم أنا صاحبه أبداً ، قال فخرج معه كلما وقف وقف معه ، وإذا أسرع أسرع معه ، قال فخرج الرجل جرحاً شديداً ، فماذا فعل ؟ لقد استعجل هذا الرجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبا به بين يديه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه . فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال : (أشهد أنك رسول الله)

وحدث النبي الكريم ومعه صحابته كيف قتل الرجل نفسه فقال رسول الله : (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة) .

اللهم أحسن ختامنا واجعلها على الإيمان وأنت راض عنا ، اللهم لا تعاملنا بما عملنا وعاملنا بما أنت له أهل إنك أهل التقوى والمغفرة .

هنا مدرسة التوحيد

الحمد لله الذي نور منار الشرع بالقرآن العظيم وحققه ، ونقحه بالسنة الشريفة وحرره ، ووضحه بالأئمة المجتهدين وأصله .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، من اعتصم بحبله أنزل عليه سكينه وأيده .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي خصه الله تعالى بأعظم الكمالات وشرفه ، وأثنى عليه بالقرآن الكريم وعظمه ، سيدي أبا القاسم يا رسول الله :

يا خير مخلوق وأفضل مرسل وشفيع قوم أذنبوا وأسأؤوا

أنوارك العظمى إذا ما أشرقت يوم القيامة فالورى سعاء

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا

محمد .

انتشرت الفاحشة في العالم الإسلامي وكثر الدعاة إليها وقل إنكار الناس على فاعلها ، بل ربما يفخرون بها في المجتمعات بلا حياء ولا خجل ، وكأن فعلها من جملة المباحات ، وقد باء المجاهرون بالمعصية بالخسران المبين ، إذا كان فعل المعصية معصية فإن التحدث بها والمجاهرة بها أمام الناس معصية ثانية وكأن صاحبها يتحدى الله في نواهيه .

وقد بينت السنة المطهرة أن كل من يرتكب معصية يجب أن يستتر نفسه ولا يتحدث بها ، فإن فعل أقام

الإسلام عليه الحد ، في الحديث : (من أتى من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله ، فإن أبدى لنا

صفحته أقمنا عليه الحد)

ومنذ تركت الحدود انتشر الشر في سائر الأقطار وارتفع الحياء ، وفقدت الغيرة ، وتمكن الأعداء من بث

أفكارهم وترويج بضائع السوء ، ولهذا قل الخير وزالت البركة من الأموال والأولاد والثمرات (وإقامة حد

بأرض خير لأهلها من مطر أربعين صباحاً) نطق بهذا سيد الأنبياء والرسل الكرام .

إننا اليوم في قضية اتفق أهل الملل على تحريمها وهي من أفحش الكبائر ولم تحل في ملة قط ، ولهذا كان حدها أشد الحدود لأنه خباية على الأعراض والأنساب ، إنها جريمة الاعتداء على العرض والنسب ، فنحن اليوم على موعد مع قضية الحفاظ على العرض والنسب مع الحلقة الثالثة عشرة بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية الحلقة

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل هداية الله للعالم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) / الإسراء : ٣٢ /

(الزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذهم بهما رأفة في دين الله إن كنتم

تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)

أخوة الإيمان :

حرم القرآن الزنا ، وحرم كل ما يتصل به من مقدمات الزنا كالقبلة واللمسة و الاختلاط والتقاء المرأة بالمرأة

، وهذا هو بالذات معنى قوله تعالى : **ولا تقربوا الزنا** ، فهذه العبارة أشد من قولنا لا تزنا ، ومعناها :

اجتنبوا وابتعدوا عن كل ما يتصل به حفاظاً على العرض والنسب . سئل سيدنا رسول الله ﷺ : أي

الذنب أعظم ؟ قال : أن تزاني حليمة جارك . وقال : إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان كالظلة فإذا

انقلع منها رجع إليه الإيمان .

فكل شخص مكلف يعتدي على عرض امرأة وكان غير متزوج فإن الإسلام أمر بجلده ثمانين جلدة ويبعد

عنه وطنه وأهله قدر عام مسافة القصر إلى بلد معين ، وكذا المرأة تجلد وتغرب عن أهلها مع محرم أو نسوة

ثقات إذا كان الطريق آمناً .

وأما إذا كان الشخص محصناً (أي سبق له التزوج بنكاح فهذا يرحم رجلاً كان أو امرأة حتى يموت ، يحاط

به من الجوانب الأربع بأمر الحاكم أو الإمام ويرمى بحجارة معتدلة ، وذلك بعد أن يشهد على ذلك أربعة

رجال عدول ، أو أن يقر الزاني على نفيه بالزنا .

فما هو الحكم إذا عفت الزانية عن الزاني وقالت إنه زنى برضاي وقد عفوت عنه ، هل يقبل عفوها لا ،

لأن الزنا حق الله تعالى ، والمرأة في الإسلام لا تملك عرضها حتى تغفو عن الزناة ، إنما المرأة في الإسلام

حارسة وأمانة على عرضها ، مثلها كممثل الصراف الذي يجلس على خزانة الدولة ، هو أمين على مال

الدولة ولكنه لا يملك أن يمد يده إلى مل الخزانة ، فإذا فعل حكم عليه بالخيانة وقطعت يده ، والمرأة هكذا

في الإسلام إنما هي أمانة على عرضها لأنها لا تتأذى بالعار وحدها وإنما يتأذى به أبوها وأعمامها

وأخوالها وأخوتها وعشيرتها ، فإذا فرطت في عرضها أقام الإسلام عليها الحد .

أيها الأخوة :

إنني وأنا في هذا المقام لأذكر تلك اللحظة التي قدمت فيها امرأة متزوجة تدعى الغامدية تطلب من رسول الله أن يطهرها من الزنا ، فسمعها رسول الله تقول أنها حامل فأمرها أن تذهب حتى تضع حملها ، فلما انقضت مدة حملها ووضعت ولدها جاءت تحمله فأمرها أن ترضعه حتى إذا استغنى عنها أقام عليها الحد ، فجاءت به بعد مدة يحمل كسرة خبز ، فسلم رسول الله الولد إلى بعض الأنصار ثم أمر برجم المرأة تنفيذ لحد الإسلام وهو آية الرجم كانت تتلى في كتاب الله ثم نسخت تلاوتها لا حكمها وبقي حد الرجم قائماً على الزاني المحصن ، وقد بين هذه الحقيقة سيدنا عمر في إحدى خطبه فقال : إن الله بعث سيدنا محمداً نبياً وأنزل عليه كتاباً ، وكان فيما أنزل عليه آية الرجم فتلوناها ووعيناها (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم)

فهل زنت امرأة بعد ذلك ؟ لا ، ولكن حادثة مشاهمة قبلها جرت لرجل يدعى ماعزاً بن مالك الأسلمي كان متزوجاً .

معشر السادة :

اسمحو لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى صاحب البيان ، تعالوا بنا لنجلس مع سيدنا محمد ﷺ إن رسول الله الآن جالس مع أصحابه الكرام فأرسلوا التحية إلى سيدنا محمد ، استقبلوا روحه الطاهرة بالتحية والريحان وقولوا السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

ها هو صحابي يدخل عليه هذا الصحابي الجليل فيقدم بين يديه اعتذاراً وإقراراً كاملاً بأنه زنى بامرأة ، فإذا بالنبي يعرض عنه ويشيح بوجهه عنه ، فيأتي الصحابي إلى قبل وجه المصطفى ويقرر خطأ باعتدائه بجرمة الزنا، فإذا بالحبيب الأعظم يعرض عنه فيأتي الصحابة معترفاً ثالثة ورابعة وهو يقول في كلها : إني زني فطهرني يا رسول الله ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه رسول الله وراح يسأله : لعلك قبلت ، فيقول : لا ، لعلك غمزت ، لعلك نظرت ، وفي كل ذلك يقول : لا ، فقال له رسول الله : أبك جنون ، قال لا يا رسول الله ، قال : فهل أحصنت ، قال نعم ، قال اذهبوا به فارجموه ، وأحاط الصحابة الكرام بسيدنا ماعز وأخذوا يرجمونه بالحجارة تنفيذاً لأمر القائد العام للأمة حتى إذا مات قال لهم : لو أخيكم ، يعني غسلوه وكفنوه لنصلي عليه .

وغسل وكفن وصلى عليه رسول الله ﷺ ، فاختلف الناس فيه ، قائل يقول : لقد هلك ، وقائل يقول : ما توبة أفضل من توبة ماعز .

وهنا قال رسول الله ﷺ : استغفروا لما عزر بن مالك لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم .

لهذا لو أقيم الحد على الزاني فالحد كفارة له عن فعلته تلك ، ففي الحديث : من أصاب منكم منهن حداً

خطأ له عقوبته فهو كفارته ومن آخر عنه فأمره إلى الله إن شاء رحمه وإن شاء عذبه .

أيها السادة :

ويلحق بالزنا اللواط ، وهو إتيان الذكور ، وحده كالزنا خطأ ، فيرجم الفاعل المحصن ويجلد ويغرب عن بلده

غير المحصن ، وأما المفعول به فيجلد ويغرب مطلقاً أحسن أم لا ، ففي الحديث : من وجدتموه يفعل فعل

قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به .

أيها الأخوة :

ولم يكتف القرآن بجلد الزاني ورجمه ، بل إنه قال لي ولك : إذا أتاك رجل وأنت تعلم أنه يمارس الزنا وأراد

أن يخطب ابنتك أو أختك فلا تزوجه ، وإذا علمت أن هناك امرأة تمارس الزنا فحرام عليك أن تتزوج بها

وهي تمارس الزنا ، لأن الله تعالى فرض حصاراً من حديد ، حصاراً اجتماعياً على الزناة والزانيات حتى لا

ينتشر الوباء الخلقي في المجتمع ، قال تعالى : (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها

إلا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين ، الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات

للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم)

حصار اجتماعي على الزنا وعلى الزانيات ، ونبع من حرص الإسلام على العرض أنه أوجد حداً يسمى حد القذف لمن رمى رجلاً بالزنا أو قال له يا زاني أو قال لامرأة يا زانية ، وإنما يقول : قذف محصنة يهدم عمل مئة سنة (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) وأما أولئك الذين فلهم عذاب أليم .

وأنتم تعلمون ما يجري في بيروت وأوروبا وما يجري في المساكن المفروشة والنبي يقول : بشر الزاني بخراب بيته ولو بعد حين (لا بد للتوبة حتى للذين ينظرون إلى الأجنبية العينان تزنيان وزناهما النظر)

إن رجلاً نظر إلى امرأة نظرة مريضة ، فلما دخل الرجل على عثمان بن عفان وكان يخطب على المنبر يوم الجمعة ، فنظر إلى وجه الرجل فقال : مالي أرى الزنا بين عينيك ، قال الرجل : أنبوءة بعد رسول الله ما الذي أطلعك ؟ نعم لقد نظر إلى امرأة نظرة مريضة والنبي يقول : والعينان تزنيان وزناهما النظر ، ما الذي أطلعك يا عثمان ؟ فقال له سيدنا عثمان : أو ما سمعت رسول الله يقول : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله .

وأجنحة تطير

تري ما لا يرى للناظرين

قلوب العارفين لها عيون

إلى ملكوت رب العالمين

بغير ريش

فما بالك إذا كان عثمان بن عفان ؓ .

إن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه دخل على رسول الله ذات يوم وكان الرسول مضطجعاً فلم يعتدل ودخل

سيدنا عمر ؓ بعده فلم يعتدل ، ودخل علي فلم يعتدل ، فلما دخل عليه عثمان اعتدل النبي في

جلسته ، قالوا : يا رسول الله ، دخلنا عليك واحداً بعد واحد فلم تعتدل إلا لعثمان ، فقال الحبيب

المصطفى : كيف لا أستحي من رجل تستحي منه ملائكة السماء .

سيدنا عثمان الرجل الذي لما دخل الإسلام عاهد الله ألا يمس عورته بيده اليمنى ، فقيل له : لم يا عثمان

؟ قال : أستحي أن أمسها بيدي اليمنى ثم أضع يدي بعد ذلك في يد رسول الله .

هؤلاء هم رجال سيدنا محمد ﷺ ، في أي الجامعات تخرجوا ، من أي المعاهد العليا ، على يد من تلقوا

هذا الأدب ، هل كانوا أعضاء في الأمم المتحدة ؟ هل خطأ منه إلى مجلس الأمن ؟ هل تركوا مجلس الأمن

ليدخلوا في عصاة الأسطول السادس الأمريكي ؟ لم يتخرجوا من جامعات أمريكا ولا أوروبا ، إنما تخرجوا

في جامعة كان يرأسها سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، تخرجوا من المسجد .

محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً ، في المسجد ، كانوا

مسجدين ، تخرجوا من هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

الحمد لله الذي فرض علينا تعلم شرائع الإسلام ، ومعرفة صحيح المعاملة وفاسدها لتعريف الحلال من الحرام ، وجعل مآل من علم ذلك وعمل به الخلود في دار السلام ، وجعل مصير من خالفه وعصاه دار الانتقام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، المان بالنعم الجسام .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للأنام .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد .

موعدا اليوم مع قضية خاصة حرص فيها القرآن الكريم على العقل الذي هو عماد التكليف في الشرع المطهر ، إنها قضية الحفاظ على العقل التي هي القضية المتممة للقضايا أو الكليات الخمسة . وقبل أن أفتتح معكم ملف هذه القضية الهامة اسمحوا لي أن ألتقط لكم هذا المشهد من العصر الذهبي للإسلام ، عصر ما بعد الهجرة لسيدنا محمد رسول الله ﷺ .

تعالوا بنا نسر مع ركب الصحابة الكرام من الأنصار وفيهم سيدنا عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل يتجهون إلى الحبيب الأعظم ومعهم سؤال يريدون توجيهه إليه ، اسمعوا صيغة السؤال : يا رسول الله ، أفنأ في الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل مسلبة للمال .

وسكت رسول الله ﷺ ، لكن الذي أجاب هو الله رب العالمين ، أرسل جبريل الأمين يطوي السحاب والسبع الطباق ونزل بآية عظيمة هي قوله تعالى :

(ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما)
أيها الأخوة :

وسميت الخمر خمر لأنها تخامر العقل أي تخالطه فتستره وتغطيه .

وقد كان المسلمون يشربونها في أول الإسلام ولم تكن قد حرمت ، إذ أن مولانا أنزل فيها قوله :

(ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً)

فلما نزلت الآية : (قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس) تركها قوم منهم وشربها قوم لقوله تعالى ومنافع للناس .

ثم إن سيدنا عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً ودعا إليه ناساً من الصحابة فأطعمهم وسقاهم الخمر ، وحضرت صلاة المغرب فقدموا أحدهم ليصلي بهم ، فقرأ : قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ، بحذف حرف لا ، فأنزل مولانا عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) .

فحرم الله السكر في أوقات الصلاة ، فكان الرجل يشربها بعد العشاء ، فيصبح وقد زال سكره ، ويشربها بعد صلاة الصبح فيصحو وقت الظهر .

ثم إن عتبان بن مالك اتخذ وليمة دعا إليها رجالاً من المسلمين وفيهم سيدنا سعد بن أبي وقاص فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ، فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الأشعار ، فأنشد سعد قصيدة منها فخر قومه وهجاء للأنصار ، فأخذ رجل من الأنصار بعظم ضرب به رأس سعد فشحه ، فانطلق سعد إلى رسول الله وشكا إليه الأنصاري .

وهنا قال سيدنا عمر : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ، فأُنزل رب العزة والجلال آية التحريم وكان ذلك عقب غزوة الأحزاب بأيام :

(يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) .
أخوة الإيمان :

والحكمة من وقوع التحريم على هذا الترتيب أن الله تعالى علم أن القوم كانوا قد أُلّفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيراً ، فعلم أنه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق عليهم ذلك ، فاستعمل معهم هذا التدريج وهذا الرفق ، يقول سيدنا أنس : حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب خطأ أعجب منها وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر .

فهل نفذ الصحابة هذا الأمر الإلهي ، هل تأخروا لحظة عن العمل بالقرآن الكريم ، اسمعوا إلى سيدنا أنس يقول : خطأ

معشر السادة :

إننا مع الحلقة الرابعة عشرة بعد المائة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا شعار التوحيد .

أيها السادة :

حرم الإسلام كل شراب أسكر كثيره ولو قطرة منه ، وعلى هذا وردت الأحاديث النبوية ، فعن أم المؤمنين السعيدة عائشة رضي الله عنها قال ﷺ : كل شراب أسكر فهو حرام ، وفي الحديث عن ابن عمر : كل مسكر خمر وكل خمر حرام .

وإنما حرم القرآن القليل وحد شاربه وإن كان لا يسكر حسماً لمادة خطأ ، كما حرم تقبيل الأجنبية والخلوة بها لإفضائه إلى الوطء المحرم ، فما أدى إلى محرم فهو محرم ، فكل شخص مكلف ملتزم لأحكامنا الشرعية يعلم أن الخمر حرام ويشربها باختيار يجلد ، بهذا ورد الأمر النبوي الشريف (من شرب الخمر فاجلدوه) .

ومهما اتخذت الخمرة من أسماء فهي محرمة ، سواء صنعت من العنب أو نقيع الزبيب أو التمر ، أو من العسل أو من القمح أو من الشعير أو الأرز أو الذرة ، حدد هذه الأصناف سيدنا رسول الله ﷺ فقال :

(إن من العنب خمرًا وإن من البر خمرًا وإن من الشعير خمرًا وإن من التمر خمرًا) وزاد : (وإن من العسل خمرًا) وفي رواية : (والبنذر وإنه أكمل من كسل مسكر) .
وأما الحشيشة فهي حرام لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن كل مسكر ومفتّر ، لكن لا حد فيها وهي من الخبائث التي تشل حركة العقل وتكسب صاحبها التفتر والهذيان وتضعف فيه صفات الحياة الإنسانية الرفيعة ، وتحط بمدنيها إلى وهاد القاذورات حيث يسعى في سبيل تحصيلها دفع كل نفيس وعرض وكرامة .
ولأجل ذلك يحرم تناول قطرة من الخمر عامداً مختاراً حتى ولو كان للتداوي أو العطش عند الشافعية ، لأن الله تعالى سلب الخمر منافعتها عندما حرّمها ، وقد وجد مرة سؤال إلى الذي لا ينطق عن الهوى قيل له : هل يتداوى بالخمر يا رسول الله ؟ فقال : (إنه ليس بدواء إنه داء) فهل بعد هذا البيان بيان ؟

إن طبيب القلوب يقرر لنا القواعد الطبية فيقول : إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواءً فتداؤوا عباد الله ولا تداؤوا بحرام . وفي الحديث : إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم .

وهذا كله إن تداوى بصرفها (خمر خالص) أما الدواء المعجون بها مما يستهلك فيه (مثل بعض أدوية السعال التي يضاف إليها الكحول) فهذا يجوز التداوي به عند فقد ما يقوم مقامه مما يحصل به التداوي من الطاهرات ، وهذا يشترط فيه إخبار طبيب مسلم عدل بذلك أو معرفته للتداوي كالصيدلي . ويوجد اليوم أدوية للسعال خالية من الكحول ، ففقد هذا الشرط فيجب أن نتبعه لذلك أيها الأخوة .

ومن الناس من لا يقام عليهم الحد إذا شربوها ، كالصبي والمجنون والمستكره على شربها ، أو شربها ظاناً كونها شراباً لا يسكر ، فهؤلاء إذا سكروا وفاتهم صلوات لا يجب عليهم القضاء كالمغنى عليه ، هذا القرار صرح به القائل الأعلى للأمة حيث يقول : (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) .

فما هو من غص بلقمة ولم يجد غير الخمر فأسأغها به ؟ هذا لا حد عليه لوجوب شربها عليه إنقاذاً للنفس من الهلاك ، وهذه رخصة واجبة ، لكن لو وجد غيرها ولو بولاً حرم إسأغتها بالخمر فإن فعل وجب حده .

أما لو أكل طعاماً طبخ بخمر أو خبزاً عجن دقيقه بها حرم ، ولا يحده لاستهلاكه فيه .
كذا لا يحده من وجد منه ريح خمر وقيء وسكر لاحتمال أن يكون شرب غلطاً ، والحد يدرأ بالشبهات .

معشر السادة الكرام :

لم يكتف الإسلام بتحريم شرب الخمر ، بل حرم الانتفاع بها بيعاً وشراءً وتجارة ، ومن باعها فكأنما استحل بيع الميتة والخنزير فإنها في التحريم سواء ، ومن استحلها كفر بذلك ويجب قتله لأنه مرتد ، يقول سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه : (لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيتها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وواهبها وأكل ثمنها)

لكن لا يحّد شارب الخمر إلا بشيئين : إما بشهادة رجلين أنه شرب خمرًا ، أو بالإقرار على نفسه بذلك ، لأن كلاً من البينة والإقرار حجة شرعية .

فما هو حد شرب الخمر ؟

أدع هذا السؤال لجدي سيدنا علي بن أبي طالب الذي يقول : (جلد النبي أربعين ، وجلد أبو بكر أربعين ، وجلد عمر ثمانين ، وكل سنة) ثم يتابع قوله فيقول : (وهذا أحب إلي ، لأنه إذا شرب سكر ، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى ، وحد الافتراء ثمانون على الأحرار) . فكان سيدنا عمر رضي الله عنه يجلد ثمانين جلدة على هذا الحد .

أيها الأخوة :

ما زلنا هناك في العصر الذهبي للدولة الإسلامية ، عصر عملاق الإسلام سيدنا عمر الفاروق ، فقد أتني بشارب خمر ، وسأله : لماذا شربت الخمر ؟ فقال : قدر الله علي يا أمير المؤمنين ، فقال سيدنا عمر : اجلدوه مائة وستين جلدة ثمانين حد شرب الخمر وثمانين لافترائه على الله عز وجل .

ولأن الإسلام جعل الحدود زجرًا وردعًا وتنكياً للجاني ، فقد أوجب أن يحّد شارب الخمر حين يفيق ، فلا يحّد أثناء سكره ليرتدع ، فيضرب بالنعال والجريد ، أو بالسوط أو بأطراف الثياب .

فما هي العقوبات الأخرى التي قررها الإسلام على شارب الخمر ؟

أولاً : من شرب الخمر أو المسكر لم تقبل له صلاة حتى يتوب إلى الله تعالى (ويسقط عنه الفرض بأدائها) .

ولهذا ورد عنه رضي الله عنه : (من شرب الخمر وجعلها في بطنه لم تقبل له صلاة سبعاً وإن مات فيها مات كافراً ، فإذا أذهبت عقله عن شيء من الفرائض لم تقبل صلاته أربعين يوماً وإن مات فيها مات كافراً .

ثانياً : من شرب الخمر في الدنيا من المسلمين حرّمها يوم القيامة ، نطق بهذا سيد الكائنات حين قال : (كل مسكر خمر وكل خمر حرام ، ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الآخرة) .

واسمعوا معي إلى هذا العهد الذي أحذه الله على ذاته العلية فقال : (إن على الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه طينة الخبال ، قالوا : وما طينة الخبال يا رسول الله ؟ قال : عرق أهل النار) .

ولهذا فإن الخمرة تسمى أم الخبائث ، ففي الحديث (إن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أخذ رجلاً فخيره بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفساً أو يزني أو يأكل لحم خنزير أو يقتلوه ، فاختار الخمر وإنه لما شرب الخمر لم يمتنع من شيء أرادوه منه) وإن رسول الله قال : (ما من أحد يشربها فتقبل له صلاة أربعين ليلة ، ولا يموت وفي مثانته شيء منها إلا حرمت به عليه الجنة ، فإن مات في أربعين ليلة مات ميتة جاهلية .

كان هذا هو أيها الأخوة البيان الختامي لقضية الحفاظ على العقل ، فما هي القضية الختامية للقضايا الخمس ؟ أعلق هذا السؤال لأجيب عنه .

الحمد لله الذي وفقنا لحفظ كتابه ، ووفقنا على الجليل من حكمه وأحكامه وآدابه ، وأهمننا تدبير معانيه ووجوه إعرابه ، وعرفنا تفنن أساليبه من حقيقته ومجازته وإيجازه وإسهابه .

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على الاعتصام بأمتن أسبابه .

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة مؤمن بيوم حسابه .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبرز بفصاحته وفصل خطابه ، ناظم حبل الحق بعد انقضائه وجامع شمل الدين بعد انشعابه ، وقف ينادي للأمة الإسلامية جيلاً بعد جيل ويقول (إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا) (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد .
هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد .

حرم الإسلام أكل أموال الناس بالباطل ، وجعله من كبائر المحرمات ، ومنع أتباعه والمؤمنين به حكماً ومحكومين من أن تمتد أيديهم إلى أموال الغير إلا برضاهم وإذئهم ، وجماه من التأميم والمصادرة والضيعة خطأ ، وعلى هذا جاءت البيانات النبوية الشريفة ، ففي الحديث : ألا لا تظلموا ، ألا لا يجل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه .

و (من انتهب نهبه فليس منا) ، و (من أخذ من الأرض شيئاً بغير الحق خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين ، و (لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده) أي يسرق البيضة أولاً فيعتاد حتى يسرق ما قيمته ربع دينار فتقطع يده .

ولأجل ذلك حرم الإسلام الربا ، وحرم الغش واللصوصية وحرم الاحتكار وحرم الميسر وحرر الفلول والرشوة والغصب والنهب وغير ذلك مما يدخل تحت أكل أموال الناس بالباطل .

أيها السادة :

إننا في القضية الختامية للقضايا أو الكليات الخمس ، مع الحلقة الخامسة عشرة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من القرآن الكريم : (يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ، ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً) .

(السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسباً نكالاً من الله والله عزيز حكيم) .

معشر السادة الكرام :

صان الإسلام بتشريعه الخالد كرامة الإنسان ، وجعل الاعتداء على النفس أو المال أو العرض جريمة خطيرة تستوجب أشد أنواع العقوبات ، فالبغي في الأرض بالقتل والسلب والاعتداء على الأمنين بسرقة

الأموال، كل هذه جرائم ينبغي معالجتها بشدة وصرامة حتى لا يعيث المجرمون في الأرض فساداً ولا يكون هناك ما يخل بأمن الأفراد والمجتمعات .

وقد وضع الإسلام للمحارب الباغي أنواعاً من العقوبات (القتل ، الصلب ، تقطيع الأيدي والأرجل ، النفي من الأرض) كما وضع للسارق عقوبة قطع اليد ، وهذه العقوبات تعتبر بحق رادعة زاجرة تقتلع الشر من جذوره وتقضي على الجريمة في مهدها وتجعل الناس في أمن وطمأنينة واستقرار .

وأعداء الإنسانية يستفظعون قتل الفاعل ، وقطع يد السارق ، ويزعمون أن هؤلاء المجرمين ينبغي أن يحظوا بعطف المجتمع لأنهم مرضى بمرض نفسي ، وأن هذه العقوبات الصارمة لا تليق بمجتمع متحضر يسعى لحياة سعيدة كريمة .

هؤلاء أيها السادة يرحمون المجرم من المجتمع ولا يرحمون المجتمع من المجرم الأثيم الذي سلب الناس أمنهم واستقرارهم وأقلق مضاجعهم وجعلهم مهددين بين كل لحظة ولحظة في الأنفس والأموال والأرواح .

وقد كان من أثر هذه النظريات التي لا تستند إلى عقل ولا منطق سليم أن أصبح في كثير من البلاد عصابات للقتل وسفك الدماء وسلب الأموال ، وزادت الجرائم واختل الأمن وفسد المجتمع وأصبحت السجون ممتلئة بالمجرمين وقطاع الطريق .

والعجيب أن هؤلاء الغربيين الذين يرون في الحدود الإسلامية شدة وقسوة لا تليق بعصرنا المتحضر ، والذين يدعون إلى إلغاء عقوبة القتل والزنى وقطع يد السارق هم أنفسهم يفعلون ما تشيب له الرؤوس خطأً له الأفئدة ، فالحروب الممجية التي يثيرونها ، والأعمال الوحشية التي يقومون بها من قتل الأبرياء والاعتداء على الأطفال والنساء وتهدم المنازل على من فيها في البوسنة والهرسك وكوسوفو والسودان في الآونة الأخيرة وغيرها كلها لا تعتبر في نظرهم وحشية ، وما أحسن قول الشاعر :

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

نعم أيها الأخوة ، إن الإسلام شرع عقوبة قطع يد السارق ، وهي عقوبة صارمة ، ولكنه أمن الناس على أموالهم وأرواحهم ، وهذه اليد الخائنة التي قطعت إنما هي عضو أشل تأصل فيها الداء والمرض ، وليس من المصلحة أن نتركها حتى يسري المرض إلى جميع الجسد ، ولكن الرحمة أن نبتزها يسلم سائر البدن ، هذا هو تشريع العليم الخبير .

فمتى تقطع يد السارق ؟

أيها الأخوة :

كل مكلف يسرق مختاراً نصاب السرقة تقطع يده ، والنصاب هو ربع دينار ذهبي فصاعداً ، أي غرام ذهبي تقريباً أو ما يساوي قيمته ، لما ورد في الحديث : لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً .

لكن الإسلام اشترط لذلك شروطاً :

أولاً : أن يأخذ عامداً عالماً بالتحريم من حرز المثل ، أي من مكان يوضع فيه المال عادة ، فلو وجده في الطريق مثلاً فلا قطع .

ثانياً : أن لا يكون المال لأصله أو فرعه أو شريكاً فيه .

ثالثاً : أن لا يكون المال له أو ظنه ملكه أو وهب له ولم يقبضه .

الرابع : أن يرفع أمره إلى القاضي ، فإن عفا عنه المسروق أو دفع له ما سرقه منه أو قيمته عند تلفه فلا قطع ، أما لو رفع أمره إلى القاضي وثبت عليه جرم السرقة فإن الحاكم يقطع يده اليمنى من مفصل الكوع (الرسغ) فإن سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من المفصل ، فإن سرق الثالثة قطعت يده اليسرى ، فإن سرق رابعة قطعت رجله اليمنى ، ولا بد من أنه مال الطرف قبل قطع ما بعده ، فإن سرق خامسة عزر وحبس .

ويفعل شبه هذا في حد قطع الطريق مع الإرهابيين ، لأن الإسلام حرم الإرهاب وضرب على يد صاحبه بشدة لسلامة المسلمين ، فكل شخص يقطع الطريق ليسرق المال ، أو ليقتل أو ليرعب أو ليغير على قوم اعتماداً على القوة ، فهؤلاء طبق الإسلام في حقهم حداً يدعى حد قطع الطريق ، وإليك هذا البيان الذي أصدره رب العزة والجلال في هذه القضية الإرهابية :

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) .

معشر المسلمين :

هذه الآية قسمت قطاع الطريق إلى أربعة أقسام : إن قتلوا شخصاً مسلماً وأخذوا ماله (فوق النصاب) فهؤلاء يقتلوا ويصلبوا بعد غسلهم وتكفينهم والصلاة عليهم زيادة في التشكيل وزحراً لغيرهم ، يصلبون على خشبة أو نحوها ثلاثة أيام في زمن البرد والاعتدال .

فإن قتلوا من غير أخذ مال قتلوا فقط .

فإن أخذوا المال فقط من حرز المثل قطعت أيديهم اليمنى مع الرجل اليسرى لأنه حد واحد ، فإن عادوا لمثلها تقطع اليد اليسرى مع القدم اليمنى ، وهذا هو المراد من قوله تعالى : (وتقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) .

وأما إن أربعوا وأرهبوا وأخافوا المارة فإن الإمام أو الحاكم يجلسهم في غير بلدهم وينفيهم ويرى رأيه الزاجر فيهم .

وهذا إن لم يتوبوا من قبل أن يقدر عليهم الحاكم ويظفر بهم فأولئك تسقط عنهم الحقوق ويبقى حقوق الناس ، فإن كان قتل فيقتص منه وإن تاب ، وإن سرق فيطالب برد المال وإن تاب ، وهكذا .

أيها السادة :

ومن أنواع السرقة الخمر والغلول ، وهو خاص بالموظفين على الأموال العامة الذين يأخذون منها بغير حق ، فمن فعل ذلك فقد غل ، وقد نص القرآن على حرمة وتوعد صاحبه بالفضيحة يوم القيامة حين تراه الخلائق يحمل على رقبته ، قال تعالى : (ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفي كل نفس بما كسبت

وهم لا يظلمون) .

وفي الحديث عنه ﷺ : من استعملناه على عمل فزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول ، ومن الغلول الرشوة ، بل هي أقبح لأنها تفسد ضمير ذي السلطان وتجعله يهضم الحقوق الخاصة والعامة من أجل مصلحة الراشي ، وأقبح الرشوة ما يأخذه القضاة ، فيها يعين القاضي الظالم على ظلمه ويعطيه الحق لسلطة القضاء ، وبما قد يبرئ القاضي الجاني والمجرم ، وبالرشوة يفسد جهاز الدولة كله ، ويغدو ألعوبة بأيدي المجرمين وأصحاب الأهواء والظالمين ، ولذلك لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشى والرائش الذي يمشي بينهما .

والأمة التي تصل إلى مثل هذه الحالة أمة محكوم عليها بالنتائج الوخيمة وبالهلاك المحقق ، ولهذا فإن الحكومات الإسلامية تمنع الرشوة وتحاربها ، والحرب قائمة منذ القدم ضد السارقين والمرتشين ، وسمحوا لي معشر السادة أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك ، لأنقل لكم بثاً حياً أحى الله به الأمة الإسلامية .

أيها السادة :

نحن الآن بين يدي الحبيب الأعظم ، فأرسلوا نحيبتكم لرسول الله ﷺ ، هاهي قضية تعرض أمامه لأول مرة ، إذ أن امرأة من الشريفات من بني مخزوم قد سرت ، وراح بعض الصحب الكرام يحاولون التوسط لعدم إقامة الحد عليها ، فلم يجدوا إلا أسامة بن زيد حبيب رسول الله ﷺ ، فأرسلوه ليكلم القائد الأعلى للأمة ، لكن ما إن وقف أمامه وتكلم فيها حتى تغير لون رسول الله ﷺ وعرف الغضب في وجهه الشريف وقال :

أتشفع في حد من حدود الله ، فقال أسامة مباشرة : استغفر لي يا رسول الله ، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ ليقرر القواعد التشريعية ، قام خطيباً ليعلمها عالياً صريحة .

أيها الأخوة المؤمنون :

إن رسول الله ﷺ يلقي إليكم بياناً هاماً في أربعة عشر قرناً فاسمعوا وأطيعوا ، وقف ليقول : أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإني والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع سيدنا محمد يدها . وهنا أمر رسول الله ﷺ بالمرأة المخزومية فجيء بها وأقام عليها الحد .

وهكذا أخوة الإيمان :

طبق رسول الله ﷺ الحدود بنفسه ليكون قدوة لحكام وملوك العالم ، وصدق الله العظيم :

(لقد كان لكم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة)

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله .

الحمد لله الذي من علينا بالإيمان والإسلام ، وتفضل علينا ببيان الشرائع والأحكام ، وأحل الحلال وحظر الحرام ، ووعد من أطاعه الثواب في دار السلام ، وأوعد من عصاه بالعقاب في دار الهوان والانتقام ، نحمده على ما أفاض علينا من الإناعام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الأنام ، وقف في حجة الوداع ليعلم كلمة الله الأخيرة في قضية الربا فقال أمام ثمانين ألفاً من الصحب الكرام : ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ... ورا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله .

وراح رسول الله في كل حياته بعد الهجرة يعدد أكبر الكبائر ويحذر منها ويأمر أصحابه المسلمين من بعدهم باجتنابها فقال : اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف .

سيدي أبا القاسم يا رسول الله :

وتركأت أهلي قد أتيتك زائراً	إني رجوتك يا شفيع إلى الورى
وارحم فؤاداً قد غدا مستبشراً	فامنن علي بنظرة بتعطف
بالشام ترجوكل خير في الورى	إني أتيتك وافداً عن أمة
وتقطعت والأمر صار منكراً	حلت بما الأهواء في أرجائها
وأغث ياذن الله شعبك بالعرى	أدرك أبا الزهراء قوماً فرقوا
	وسل الإله بفضلله وبجوده
صلى وسلم ذو الجلال مكرراً	صلى عليك الله يا علم الهدى

أقف بينكم اليوم طبيباً معالجاً لا لأمراض البدن بل لبعض أمراض القلب ، ألا وهو الجشع ، هذا الداء الدفين الذي عاجله الإسلام علاجاً تدريجياً بعد أن استمر قروناً ممتدة فتنتجت عنه مفاسد كبيرة كان من أعظمها الربا .

وقد كان الرجل في الجاهلية يكون له على آخر مال إلى أجل ، فإذا حل الأجل طلبه من صاحبه فيقول الذي عليه الدين : أخر عني دينك وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك ، فذلك هو الربا أضعافاً مضاعفة ، فلما جاء الإسلام وأراد تحريم الربا لم يحرمه مباشرة ، لأن التشريع الإسلامي سار بسنة التدرج في تقرير الأحكام ، ففي مكة المكرمة نزل قوله تعالى : (وما أتيتهم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما أتيتهم من زكاة يريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) . فهذه الآية ليس فيها ما يشير إلى تحريم الربا ، وإنما فيها إشارة إلى بغض الله للربا ، وأن الربا ليس ثواب عند الله فهي إذن موعظة سلبية .

فلما انتقل المجتمع المسلم إلى المدينة بعد الهجرة واجتمع المسلمون باليهود ، قص عليهم مولانا كيف حرم عليهم الربا فأكلوه واستحقوا عليه اللعنة والغضب ، فقال عز من قائل : (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) . فهذه الآية تحرم بالتلويح لا بالتصريح لأنه حكاية عن جرائم اليهود ، وليس فيه ما يدل دلالة قطعية على أن الربا محرم على المسلمين .

لكن مرحلة ثالثة نزل فيها التحريم الجزئي لا الكلي ، لأنه تحريم النوع من الربا الذي يسمى الربا الفاحش ، وهو الربا الذي بلغ في الشناعة والقبح الذروة العليا وبلغ في الإجماع النهاية العظمى حيث كان الدين فيه يتزايد حتى يصبح أضعافاً مضاعفة يضعف عن سداده كاهل المستدين الذي استدان لحاجته وضرورته ، هنا نزل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفةً ...)

ثم وفي المرحلة الرابعة نزل التحريم الكلي القاطع الذي لا يفرق فيه القرآن بين قليل أو كثير ، والذي تدل النصوص الكريمة أنه قد ختم فيه التشريع السماوي بالنسبة إلى حكم الربا ، فقد نزل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) .

كان هذا هو الموجز معشر السادة الكرام ، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة السادسة عشرة بعد المائة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم دائماً لترفعوا شعار التوحيد عالياً .

أخوة الإيمان :

اعتبرت الشريعة الإسلامية الربا من أكبر الجرائم الاجتماعية والدينية ، وشتت حرباً عليه لا هوادة فيها ، وأوعد القرآن الكريم المتعاملين به عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة ، ويكفي أن نعلم عظم هذه الجريمة النكراء من تصوير حالة المرابين بذلك التصوير الشنيع الذي صورهم به القرآن ، صورة الشخص الذي به مس من الجن فهو يتخبط به كلما قام سقط : (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) لا يقومون يوم القيامة من قبورهم إلا كما يقوم الذي مسه الشيطان وصرعه (ذلك) أي الذي أصابهم (بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا) لأنهم لما أكلوا الربا الحرام في الدنيا أرياه الله في بطونهم حتى أثقلهم يوم القيامة ، فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا ويريدون الإسراع أمام الناس فلا يقدرين ، ولأجل هذا يقول ﷺ : (لعن الله آكل الربا وموكله وكتابه وشاهده) ، وفي رواية : وشاهديه ، وقال هم سواء ، وقال أيضاً : (درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية) .

وأوعد رسول الله ﷺ البلد التي يتفش فيها الربا فقال : (إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله) ، وقال : (ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة) . وقال في حديث يعد من أعلام نبوته : (ما ظهر في قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون ، ولا ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت ، وما

بخس قوم الكيل والوزن إلا منعهم الله القطر) . و (الربا سبعون باباً ، أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه ، وإن أربا الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم) .

فلم يبلغ من تفضيع أمر من أمور الجاهلية أراد الإسلام إبطاله ما بلغ من تفضيع الربا ، ولا بلغ من التهديد في منكر من المنكرات كما بلغ في شأن الربا ، فهو في نظر الإسلام جريمة الجرائم وأساس المفاسد . فكيف نتجنب الوقوع في هذه الجريمة ؟

لكي لا نقع في هذا المحذور الشرعي علينا أن نعرف ما يسمى بالأموال الربوية ؟ الربا يجري في الذهب والفضة والمطعومات الربوية لا غير ، والمراد بالمطعوم ما خطأ للطعم أو تفكهاً أو تداوياً .

واسمحوا لي معشر السادة أن أنتقل بكم إلى هناك ، إلى حيث المشرع الثاني ، إلى صاحب السنة العصماء ، إلى شارح القرآن ومقرر القواعد الشرعية سيدنا ومولانا محمد ، فيها هو يقرر على أصحابه الأموال الربوية في حديث جامع مانع فاسمعوا واعوا واستقبلوا أوامر رسول الله بالصلاة والسلام عليه ، هاهو يقول : (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل وسواء بسواء يداً بيد ، فإذا اختلفت الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد) .

أيها السادة :

هذا الحديث نص على البر والشعير والمقصود منهما القوت ، فالحق بهما ما في معناهما كالأرز والذرة والبقول . ونص على التمر ، والمقصود منه التفكه ، فالحق به ما في معناه ، كالزبيب والتين ، ونص على الملح والمقصود به إصلاح الطعام ، فالحق به ما في معناه كالزنجبيل ، ولا فرق بين ما يصلح الغذاء أو يصلح البدن ، فإن الأغذية تحفظ الصحة ، والأدوية ترد الصحة .

أيها الأخوة :

وما دام مولانا قد تواعد أكل الربا بالمخاربة والهلاك ، فعلينا في هذا اليوم أن نفتتح أذهاننا وإدراكاتنا حول هذه الأحكام الهامة ، ولكي لا أغوص معكم في بحر الفقه مستخرجاً لآلئه الثمينة ، اسمحوا لي أن أشرح لكم هذا الحديث شرحاً موجزاً كافياً ، فأعبروني آذاناً صاغية وقلوباً واعية ، ولكي تفهموا صلوا على النبي وقولوا : اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من فضلك علماً .

الحديث يبين أنه إذا أراد شخص بيع قمح بقمح أو بيع شعير بشعير أو بيع تمر بتمر أو بيع ذهب بذهب وهكذا من هذه الأموال الربوية فإنه يشترط ثلاثة شروط :

أحدها : الحلول : أي أن يبيع حالاً أي نقداً فلا يجوز بل لا يصح التأخير إلى أجل .

ثانيها : المماثلة : أي التساوي في القدر بين كل جنس بجنسه من غير زيادة حبة أو نقصها كثيراً في المكيل ووزناً في الموزون ، فلا يجوز بيع القمح بالقمح متفاضلاً ، وهذا معنى قول النبي ﷺ : مثلاً بمثل وسواء بسواء .

ثالثها : التقابض للمالين : وهذا معنى قوله ﷺ : يداً بيد .

أما لو اختلفت الأجناس حنطة بشعير ، ذهب بفضة ، جاز التفاضل واشترط الحلول والتقابض ، وهذا نبه عليه رسول الله ﷺ في عدد من الأحاديث فقال : (الذهب بالذهب وزناً مثلاً بمثل والفضة بالفضة وزناً مثلاً بمثل ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى) ، وفي رواية : (التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والمالح بالمالح مثلاً بمثل يداً بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى إلا ما اختلفت ألوانه) .

تعالوا معي - معشر السادة - ننهل من معين هذه الأحاديث النبوية الشريفة ونستفد من أحكام سيدنا رسول الله ﷺ فإنه يستفاد منها أنه لو بيع طعام بنقد (قمح بذهب) أو ثوب لم يشترط شيء من الشروط السابقة ، كما هي قضية البيع بالتقسيط في عصرنا فإنه يباع نقد بعروض تجارة (براد - غسالة) فهذا البيع صحيح وجائز .

ولأجل ذلك قسم العلماء الربا إلى أربعة أنواع :

ربا الزيادة (الفضل) : وهو بيع ذهب بذهب بزيادة وزن أحدهما (١٠٠ مقابل ١٢٠)

ربا التأخير (الأجل) : وهو البيع لأجل كأن يبيع قمح بشعير ولو للحظة .

ربا القرض : وهو كل قرض جر نفعاً للمقرض إذا اشترطه في العقد ، فقد أتى رجل ابن عمر فقال : إني أسلفت رجلاً سلفاً واشترطت عليه أفضل مما أسلفته ، فقال عبد الله بن عمر : فذلك الربا .

والرابع : ربا اليد : وهو بيع الذهب بالذهب أو الذهب بالفضة مع تأخير القبض لأحدهما أو لكليهما ، ونسب إلى اليد لأن القبض يكون بها .

أيها الأخوة :

إذا علمنا هذه القواعد وجب علينا أن نعلم أن الفائدة البنكية وشهادات الاستثمار وصندوق توفير البريد وكل أنواع الادخارات في البنوك والمصارف مشوبة بأموال الربا ، وأنه يحرم العمل بها ولو كان لأجل تنظيف البنك ، لأن الحديث صريح في لعن كل من يعين على أكل الربا ، الأكل والموكل (الذي يضعه في البنك ليدفع للإقراض بالربا) والكاتب والشاهدان .

هذا هو جهاز الربا في زمن النبي ﷺ وكل مشترك في هذا الجهاز يشتركون في إثم الربا وكسبهم بالتالي خبيث لا يحل .

أيها المسلمون :

يا أمة سيدنا محمد ، يا رجال سيدنا محمد : إن أكبر حجة على تحريم الربا قوله تعالى : (وأحل الله البيع وحرم الربا) وقوله تعالى : (اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا) وقوله تعالى : (يمحى الله الربا ويربي الصدقات) .

هذه هي أوامر رب العزة والجلال ، هذه هي الكلمة الأخيرة ، فماذا يفعل الله تعالى بمن يخالف أوامر الله ، إن الذي يأكل الربا سيسبح يوم القيامة في النهر ، وأي نهر ، إنه سيسبح في نهر الدم ، اسمع إلى

حبيبك سيدنا محمد ﷺ يقول : (إن أكل الربا يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة في النهر الأحمر الذي هو مثل الدم ، ويلقم الحجارة وهي المال الحرام الذي جمعه في الدنيا يكلف المشقة فيه ، ويلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام الذي جمعه في الدنيا) .

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها :

الربا محرم بجميع أنواعه بالنصوص القطعية ، والقليل والكثير في الحرمة سواء ، وصدق الله العظيم : (**يحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم**) .
هنا مدرسة التوحيد .

الحمد لله الذي من علينا بالإيمان والإسلام ، وتفضل علينا ببيان الشرائع والأحكام ، وأحل الحلال وحظر الحرام ، ووعد من أطاعه الثواب في دار السلام ، وأوعد من عصاه بالعقاب في دار الهوان والانتقام ، نحمده على ما أفاض علينا من الإنعام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الأنام ، وقف في حجة الوداع ليعلم كلمة الله الأخيرة في قضية الربا فقال أمام ثمانين ألفاً من الصحب الكرام : ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ... ورا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله .

وراح رسول الله في كل حياته بعد الهجرة يعدد أكبر الكبائر ويحذر منها ويأمر أصحابه المسلمين من بعدهم باجتنابها فقال : اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف .

سيدي أبا القاسم يا رسول الله :

وتركزت أهلي قد أتيتك زائراً	إني رجوتك يا شفيع إلى الورى
وارحم فؤاداً قد غدا مستبشراً	فامن علي بنظرة بتعطف
بالشام ترجوكل خير في الورى	إني أتيتك وافداً عن أمة
وتقطعت والأمر صار منكراً	حلت بها الأهواء في أرجائها
وأغث بإذن الله شعبك بالعرى	أدرك أبا الزهراء قوماً فرقوا
	وسل الإله بفضلته وبجوده
صلى وسلم ذو الجلال مكرراً	صلى عليك الله يا علم الهدى

أقف بينكم اليوم طبيباً معالجاً لا لأمراض البدن بل لبعض أمراض القلب ، ألا وهو الجشع ، هذا الداء الدفين الذي عاجله الإسلام علاجاً تدريجياً بعد أن استمر قروناً ممتدة فتنجت عنه مفاسد كبيرة كان من أعظمها الربا .

وقد كان الرجل في الجاهلية يكون له على آخر مال إلى أجل ، فإذا حل الأجل طلبه من صاحبه فيقول الذي عليه الدين : أخر عني دينك وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك ، فذلك هو الربا أضعافاً مضاعفة ، فلما جاء الإسلام وأراد تحريم الربا لم يحرمه مباشرة ، لأن التشريع الإسلامي سار بسنة التدرج في تقرير الأحكام ، ففي مكة المكرمة نزل قوله تعالى : (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) . فهذه الآية ليس فيها ما يشير إلى تحريم الربا ، وإنما فيها إشارة إلى بغض الله للربا ، وأن الربا ليس ثواب عند الله فهي إذن موعظة سلبية .

فلما انتقل المجتمع المسلم إلى المدينة بعد الهجرة واجتمع المسلمون باليهود ، قص عليهم مولانا كيف حرم عليهم الربا فأكلوه واستحقوا عليه اللعنة والغضب ، فقال عز من قائل : (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) . فهذه الآية تحريم بالتلويح لا بالتصريح لأنه حكاية عن جرائم اليهود ، وليس فيه ما يدل دلالة قطعية على أن الربا محرم على المسلمين .

لكن مرحلة ثالثة نزل فيها التحريم الجزئي لا الكلي ، لأنه تحريم النوع من الربا الذي يسمى الربا الفاحش ، وهو الربا الذي بلغ في الشناعة والقبح الذروة العليا وبلغ في الإحرام النهاية العظمى حيث كان الدين فيه يتزايد حتى يصبح أضعافاً مضاعفةً يضعف عن سداذه كاهل المستدين الذي استدان لحاجته وضرورته ، هنا نزل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفةً ...)

ثم وفي المرحلة الرابعة نزل التحريم الكلي القاطع الذي لا يفرق فيه القرآن بين قليل أو كثير ، والذي تدل النصوص الكريمة أنه قد ختم فيه التشريع السماوي بالنسبة إلى حكم الربا ، فقد نزل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) .

كان هذا هو الموجز معشر السادة الكرام ، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة السادسة عشرة بعد المائة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم دائماً لترفعوا شعار التوحيد عالياً .

أخوة الإيمان :

اعتبرت الشريعة الإسلامية الربا من أكبر الجرائم الاجتماعية والدينية ، وشتت حرباً عليه لا هوادة فيها ، وأوعد القرآن الكريم المتعاملين به عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة ، ويكفي أن نعلم عظم هذه الجريمة النكراء من تصوير حالة المرابين بذلك التصوير الشنيع الذي صورهم به القرآن ، صورة الشخص الذي به مس من الجن فهو يتخطب به كلما قام سقط : (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) لا يقومون يوم القيامة من قبورهم إلا كما يقوم الذي مسه الشيطان وصرعه (ذلك) أي الذي أصابهم (بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا) لأنهم لما أكلوا الربا الحرام في الدنيا أرباه

الله في بطونهم حتى أثقلهم يوم القيامة ، فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا ويريدون الإسراع أمام الناس فلا يقدرون ، ولأجل هذا يقول ﷺ : (لعن الله أكل الربا وموكله وكتابه وشاهده) ، وفي رواية : شاهده ، وقال هم سواء ، وقال أيضاً : (درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية) .

وأوعده رسول الله ﷺ البلد التي يتفش فيها الربا فقال : (إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله) ، وقال : (ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة) . وقال في حديث يعد من أعلام نبوته : (ما ظهر في قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون ، ولا ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت ، وما بحس قوم الكيل والوزن إلا منعهم الله القطر) . و (الربا سبعون باباً ، أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه ، وإن أربا الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم) .

فلم يبلغ من تفضيع أمر من أمور الجاهلية أراد الإسلام إبطاله ما بلغ من تفضيع الربا ، ولا بلغ من التهديد في منكر من المنكرات كما بلغ في شأن الربا ، فهو في نظر الإسلام جريمة الجرائم وأساس المفساد .

فكيف نتجنب الوقوع في هذه الجريمة ؟

لكي لا نقع في هذا المحذور الشرعي علينا أن نعرف ما يسمى بالأموال الربوية ؟

الربا يجري في الذهب والفضة والمطعومات الربوية لا غير ، والمراد بالمطعوم ما خطأ للطعم أو تفكهاً أو تدواياً .

واسمحوا لي معشر السادة أن أنتقل بكم إلى هناك ، إلى حيث المشرع الثاني ، إلى صاحب السنة العصماء ، إلى شارح القرآن ومقرر القواعد الشرعية سيدنا ومولانا محمد ، فيها هو يقرر على أصحابه الأموال الربوية في حديث جامع مانع فاسمعوا واعوا واستقبلوا أوامر رسول الله بالصلاة والسلام عليه ، هاهو يقول : (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثلاً وسواء بسواء يداً بيد ، فإذا اختلفت الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد) .

أيها السادة :

هذا الحديث نص على البر والشعير والمقصود منهما القوت ، فالحق بهما ما في معناهما كالأرز والذرة والفول . ونص على التمر ، والمقصود منه التفكه ، فالحق به ما في معناه ، كالزبيب والتين ، ونص على الملح والمقصود به إصلاح الطعام ، فالحق به ما في معناه كالزنجبيل ، ولا فرق بين ما يصلح الغذاء أو يصلح البدن ، فإن الأغذية تحفظ الصحة ، والأدوية ترد الصحة .

أيها الأخوة :

وما دام مولانا قد توعد أكل الربا بالمخاربة والهلاك ، فعلياً في هذا اليوم أن نفتح أذهاننا وإدراكاتنا حول هذه الأحكام الهامة ، ولكي لا أغوص معكم في بحر الفقه مستخرجاً لآله الثمينة ، اسمحوا لي أن أشرح لكم هذا الحديث شرحاً موجزاً كافياً ، فأعيروني آذاناً صاغية وقلوباً واعية ، ولكي تفهموا صلوا على النبي وقولوا : اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من فضلك علماً .

الحديث يبين أنه إذا أراد شخص بيع قمح بقمح أو بيع شعير بشعير أو بيع تمر بتمر أو بيع ذهب بذهب وهكذا من هذه الأموال الربوية فإنه يشترط ثلاثة شروط :

أحدها : الحلول : أي أن يبيع حالاً أي نقداً فلا يجوز بل لا يصح التأخير إلى أجل .

ثانيها : المماثلة : أي التساوي في القدر بين كل جنس بجنسه من غير زيادة حبة أو نقصها كياً في المكيل ووزناً في الموزون ، فلا يجوز بيع القمح بالقمح متفاضلاً ، وهذا معنى قول النبي ﷺ : مثلاً بمثل وسواء بسواء .

ثالثها : التقابض للمالين : وهذا معنى قوله ﷺ : يدأ بيد .

أما لو اختلفت الأجناس حنطة بشعير ، ذهب بفضة ، جاز التفاضل واشترط الحلول والتقابض ، وهذا نبه عليه رسول الله ﷺ في عدد من الأحاديث فقال : (الذهب بالذهب ووزناً مثلاً بمثل والفضة بالفضة ووزناً مثلاً بمثل ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى) ، وفي رواية : (التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلاً بمثل يدأ بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى إلا ما اختلفت ألوانه) .

تعالوا معي - معشر السادة - ننهل من معين هذه الأحاديث النبوية الشريفة ونستفد من أحكام سيدنا رسول الله ﷺ فإنه يستفاد منها أنه لو بيع طعام بنقد (قمح بذهب) أو ثوب لم يشترط شيء من الشروط السابقة ، كما هي قضية البيع بالتقسيط في عصرنا فإنه يباع نقد بعروض تجارة (براد - غسالة) فهذا البيع صحيح وجائز .

ولأجل ذلك قسم العلماء الربا إلى أربعة أنواع :

ربا الزيادة (الفضل) : وهو بيع ذهب بذهب بزيادة وزن أحدهما (١٠٠ مقابل ١٢٠)

ربا التأخير (الأجل) : وهو البيع لأجل كأن يبيع قمح بشعير ولو للحظة .

ربا القرض : وهو كل قرض جر نفعاً للمقرض إذا اشترطه في العقد ، فقد أتى رجل ابن عمر فقال : إني أسلفت رجلاً سلفاً واشترطت عليه أفضل مما أسلفته ، فقال عبد الله بن عمر : فذلك الربا .

والرابع : ربا اليد : وهو بيع الذهب بالذهب أو الذهب بالفضة مع تأخير القبض لأحدهما أو لكليهما ، ونسب إلى اليد لأن القبض يكون بها .

أيها الأخوة :

إذا علمنا هذه القواعد وجب علينا أن نعلم أن الفائدة البنكية وشهادات الاستثمار وصندوق توفير البريد وكل أنواع الادخارات في البنوك والمصارف مشوبة بأموال الربا ، وأنه يحرم العمل بها ولو كان لأجل تنظيف البنك ، لأن الحديث صريح في لعن كل من يعين على أكل الربا ، الأكل والموكل (الذي يضعه في البنك ليدفع للإقراض بالربا) والكاتب والشاهدان .

هذا هو جهاز الربا في زمن النبي ﷺ وكل مشترك في هذا الجهاز يشتركون في إثم الربا وكسبهم بالتالي خبيث لا يحل .

أيها المسلمون :

يا أمة سيدنا محمد ، يا رجال سيدنا محمد : إن أكبر حجة على تحريم الربا قوله تعالى : (وأحل الله البيع وحرم الربا) وقوله تعالى : (اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا) وقوله تعالى : (يمحى الله الربا ويربي الصدقات) .

هذه هي أوامر رب العزة والجلال ، هذه هي الكلمة الأخيرة ، فماذا يفعل الله تعالى بمن يخالف أوامر الله ، إن الذي يأكل الربا سيسبح يوم القيامة في النهر ، وأي نهر ، إنه سيسبح في نهر الدم ، اسمع إلى حبيبك سيدنا محمد ﷺ يقول : (إن أكل الربا يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة في النهر الأحمر الذي هو مثل الدم ، ويلقم الحجارة وهي المال الحرام الذي جمعه في الدنيا يكلف المشقة فيه ، ويلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام الذي جمعه في الدنيا) .

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها :

الربا محرم بجميع أنواعه بالنصوص القطعية ، والقليل والكثير في الحرمة سواء ، وصدق الله العظيم : (يمحى الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) .
هنا مدرسة التوحيد .

الحمد لله الذي لا تنفذ خزائن رحمته ولا تفيض ينابيع فضله ولا يطرد أحداً عن بابه ، وهو الذي يهب الكثير ويجبر القلب الكسير ويغفر الزلات ، ويقول : هل تائب مستغفر أو سائل أقضي له الحاجات .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ينادي ويقول : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) ، يا رب :

يا من يجيب العبد قبل سؤاله

وإذا أتاه الطالبون لعفوه

ويجود للعاصين بالغفران

ستر القبيح وجاء بالإحسان

يا رب قطرة ، قطرة يا رب ، قطرة من فيض جودك تملأ الأرض ربا ، ونظرة بعين رضاك تجعل الكافر ولياً .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أنزل عليه مولانا أمانين لأهل الأرض فقال : (وما

كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد فيا حمة الإسلام وحراس العقيدة :

قبل أن أُلج معكم إلى باب القضية التالية اسمحوا لي أن أُلقط لكم هذا المشهد من أمام باب سيد الزهاد سيدي إبراهيم بن أدهم وقد جاءه رجل قال له : يا أبا إسحاق ! إن نفسي غلبتني وإن أهوائي تملكني فاعرض علي ما يكون زاجراً ومستنقذاً .

فقال إبراهيم : يا هذا ! إني أعرض عليك أموراً خمسة إن قدرت على واحدة منها لم تفرك المعصية.
 قال : هات الأولى .
 قال : إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل من رزقه .
 قال : ومن أين أكل يا أبا إسحاق وكل ما في الكون من رزقه ؟
 قال : يا هذا ! أليق بك أن تأكل رزقه وتعصيه ؟
 قال : لا والله ، ولكن هات الثانية .
 قال : فإن أبيت إلا المعصية فلا تسكن في أرضه .
 قال : ما هذا يا أبا إسحاق وأين أسكن وكل ما في الكون أرض الله .
 قال : يا هذا ! أليق بك أن تأكل رزقه وتسكن أرضه وتعصيه ؟
 قال : لا والله ولكن هات الثالثة .
 قال : فإن أبيت إلا المعصية وأنت تأكل من رزقه وتسكن في أرضه فاعصه في مكان لا يراك فيه .
 فقال : هذه والله أعجب وأغرب ، وأين أجد في الدنيا مكاناً لا يراني فيه ؟
 قال : يا هذا أليق بك أن تأكل رزقه وتسكن أرضه وتعصيه وهو يراك ؟
 قال : لا والله ولكن هات الرابعة .
 قال : فإن عصيت الله وأنت تأكل رزقه وتسكن أرضه وهو يراك وجاءك الموت فقل رب أحرني حتى أتوب .
 قال : إنه إذا جاء الأجل لا ينفع الأمل .
 قال : يا هذا فأنت تأكل رزقه وتسكن أرضه وتعصيه وهو يراك ولا تملك للموت تأخيراً ولا دفعاً فكيف تطمئن بذلك قدمك ؟
 قال : لا والله يا أبا إسحاق ، ولكن هات الخامسة .
 قال : يا هذا ، فإذا جاءك زبانية جهنم ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم .
 قال : إنهم لا يقبلون مني .
 قال : يا هذا فأنت تأكل رزقه وتسكن أرضه وتعصيه وهو يراك ولا تملك للموت تأخيراً ولا لعذاب الله دفعاً فكيف ترجو النجاة إذن .
 قال : حسبي حسبي كفتني كفتني أن أستغفر الله وأتوب إليه .
 وقفت معكم في الجمعة الماضية وقفة حول أقسام الذنوب ، وقسمناها إلى قسمين صغائر وكبائر تنفيذاً لقول ناظم العقيدة :

صغيرة كبيرة فالثاني	ثم الذنوب عندنا قسمان
ولا انتقاض إن يعد للحال	منه المتاب واجب في الحال

لكن يجدد توبة لما اقترف وفي القبول رأيهم قد اختلف
وكنت قد علقت معكم سؤالاً حول قضية تكفير الكبائر ، كيف يمكن لمرتكب الكبيرة أن يكفر
ذنبه .

وقد أجابت الأبيات السابقة عن هذا السؤال بأن مرتكب الكبيرة يجب عليه التوبة ليكفر عن ذنبه
فالتوبة شعار الصالحين ولاء القلوب من الران والصدأ الذي على القلوب ، وقد تصادف التائب العناية الإلهية
فيدخل الجنة بسبب التوبة . ولهذا نجد أن الإسلام رغب بالتوبة وحض عليها ، اسمع معي إلى نبي السلام
والإسلام يقول : (يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروا فإنما أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة) .
وقال أيضاً : (والله لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم) .
إننا معشر السادة نجيب اليوم عن قضية تكفير الكبائر مع الحلقة الثامنة عشرة بعد المائة من سلسلة
القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد .
وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب الله الخالد هداية الله للعالم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم
جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم
وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير) .
(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب
إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) .

أخوة الإيمان :

التوبة مندوبة في كل حال ، ولكنها تكون واجبة عيناً على صاحبها في حال التلبس بمعصية
فتأخيرها ذنب آخر ، لكنه ذنب واحد ولو تراخى .
ولهذا يقول مولانا الإمام النووي رحمه الله : (اتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة على الفور
ولا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة) .
وهذا الحكم مستمد من قوله تعالى : (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم
يتوبون من قريب) . فما هي التوبة ؟

التوبة عبارة عن ندم يورث عزماً وقصدًا على عدم العود إلى المعصية ثانية ، ومن علامات الندم طول
الحزن والبكاء ، فإن من استشعر عقوبة نازلة بولده أو من يعز عليه طال بكأؤه واشتدت مصيبته ، وأي عزيز
أعز عليه من نفسه ، وأي عقوبة أشد عليه من النار ؟ وأي سبب أدل على نزول العقوبة من المعاصي ؟ وأي
مخير أصدق من رسول الله ﷺ ؟

أيها الأخوة :

وبناء على الأدلة الشرعية حدد علماء الأمة أركان التوبة بثلاثة :

الأول : الإقلاع عن الذنب ، فلا تقبل توبة العبد وهو مقيم على المعصية ومستمر فيها .

الثاني : الندم على فعلها لوجه الله تعالى ، ولهذا يقول ﷺ : (الندم توبة) ، فلا تصح توبة من ندم لغير وجه الله كأن ندم لأجل مصيبة حصلت له .

الثالث : العزم على أن لا يعود لمثلها أبداً .

فإن كان في عنقه حق لمسلم زيد شرطاً رابعاً ألا وهو : رد الظلامة إلى صاحبها وتحصيل البراءة منه تفصيلاً عند الشافعية وإجمالاً عند المالكية .

فإن كان مستغرق الذمم فالمطلوب منه الإخلاص وكثرة التضرع إلى الله تعالى لعله يرضي خصائمه يوم القيامة ، فإن كان عنده مال اغتصبه واختلط الحلال بالحرام عرف قدر الحرام بالاجتهاد وتصدق بمقداره ، وإن قتل عمداً وجب عليه القصاص بشروطه ، فعليه أن يبذل نفسه لولي الدم إن شاء قتله وإن شاء عفا عنه ، ولا يجوز له إخفاء أمره بخلاف ما لو زنا أو شرب الخمر أو باشر ما يجب فيه حد الله تعالى ، فإنه لا يلزمه في التوبة أن يفضح نفسه ، بل عليه أن يستر نفسه .

والهم أيها الأحبة والصحب أن ينظر التائب إلى مقادير ذنوبه فيطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات ، واسمع معي إلى قول مولانا عز وجل يقرر هذه القضية فيقول : (إن الحسنات يذهبن السيئات) .

ولهذا يقول ﷺ : (أتبع السيئة الحسنة تمحها) فيكفر مثلاً عن سماع الملاحية بسماع القرآن ، وحضور مجالس الذكر ، ويكفر عن مس مصحف بغير طهارة بإكرامه وكثرة القراءة فيه ، ويكفر شرب الخمر بالتصدق بالشراب الحلال ، وهكذا فالأمراض تعالج بضدها .

واسمحوا لي **معشر السادة** أن أنتقل بكم إلى هناك ، إلى عصر ازدهار الإسلام ، إلى الثلة التي اكتحلت عيونها بمراى الحبيب الأعظم سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

انظروا كيف كان الذنب ولو صغيراً يقض مضاجعهم فينامون على جمر اللظى خوفاً من العقاب عليه يوم القيامة ، ها هو رجل أصاب من امرأة قبله ، وفي رواية : أصاب مها ما دون أن يمسه ، فأتى صديق الأمة الأكبر أبا بكر فذكر له ذلك فقال : استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً ، فولى هذا الصحابي الكريم وأقلق هذا الذنب مضجعه وشعر وكأنه في أصل جبل يكاد يقع عليه فلم يصبر ، فأتى طبيب القلوب ﷺ فذكر الذنب الذي أتى به أمام الصحب الكرام فقال له عمر الفاروق : لقد سترك الله لو سترت نفسك .

وهنا أطرق رسول الله رأسه طويلاً ، وإذا بالوحي يطوي السبع الطباق وينزل على سيد الكائنات بقول العليم ذي الجلال : (أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) . فرح الرجل فقال : إلى هنا يا رسول الله ؟ قال : بل لجميع أمتي كلهم .

أيها السادة :

وينبغي للتائب أن يتفقد ما عليه من صلاة فائتة ، أو صلاها بغير شروطها ، كأن صلاها في ثوب نجس فيقضئها كلها ، وكذلك إن كان عليه صوم أو زكاة أو حج ، بل ورد في الحديث أنه من جملة مكفريات الكبائر الحج المبرور ، ففي الحديث : (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) .
ومن المكفريات أيضاً الجهاد ، فقد ورد (إن الغزو في البر يكفرها إلا التبعات ، وفي البحر يكفرها حتى التبعات) .

ويا قوم :

إليك هذا الحديث الذي أخرجه الإمام البراز عن سيدنا أنس مرفوعاً : (من تلا قل هو الله أحد مائة ألف مرة اشترى نفسه من الله ونادى مناد من قبل الله تعالى في سماواته وفي أرضه ألا إن فلاناً عتيق الله فمن له قبله تباعة فليأخذها من الله عز وجل) ، فظاهر هذا الحديث تكفيرها الكبائر أيضاً ، وهذه هي العاقبة الكبرى) .

هذا إن أراد أن يتوب ولم يستطع أن يرضي خصماءه .

أيها المؤمنون :

واشترط العلماء للتوبة شروطاً على التائب :

أولاًها : أن تكون قبل الغرغرة وهي حالة النزاع عند الموت ، ففي هذه الحالة لا تقبل توبة ، وهذه القضية قررها رب العزة والجلال في كتابه ، فعلى موجات (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) وهذه قضية وضحها رسول الله ﷺ فقال : (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)

كذلك من شروطها أن تكون قبل طلوع الشمس من مغربها ، فإنه حين إذ يغلق باب التوبة فتمتنع على من لم يكن تاب قبل ذلك ، ويؤيد ذلك ما ورد في الحديث : (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه) ، وفي رواية : (إن باباً من الغرب [أو قبل الشام] مسيرة عرضه أربعين أو سبعين عاماً خلقه الله يوم خلق السماوات والأرض مفتوحاً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه) .

ولا فرق في عدم صحة التوبة في هاتين الحالتين عند الأشاعرة بين الكافر والمؤمن ، فإن تاب كل منهما قبلها رحمه الله تعالى .

معشر السادة الكرام :

ما زلنا عند الحبيب الأعظم ، وأرى بعين الإيمان واليقين رجلاً يقدم عليه فيقول له : رأيت من عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئاً وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا حاجة إلا أتاها فهل لذلك من توبة ؟ قال : فهل أسلمت ؟ قال : أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله ، قال : تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلن الله لك خيرات كلهن ، قال : وعذراي وفجراي ؟ قال : نعم ، قال : الله أكبر الله أكبر الله أكبر فما زال يكبر حتى توارى .

(ومن يغفر الذنوب إلا الله) لا أحد .

فما هو حكم التائب إن عاد إلى معصيته ثانية ؟ هل تنتقض توبته الأولى ؟ قال علماء العقيدة لا ، أي لا يعود ذنبه الذي تاب منه بعد خطأ ، لكن يجب عليه تجديد التوبة للذنب الذي ارتكبه ثانياً ، فلا يضر إلا الإضرار على المعاصي بخلاف ما إذا كان كلما وقع في معصية تاب منها ، وفي هذه القضية يقرر مولانا جل في علاه : (إن الله يحب التوابين) وهم الذين كلما أذنبوا تابوا ، وفي الحديث : (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) ، وتوبته مقبولة لنص القرآن في ذلك وهو قوله تعالى : (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون) .

أيها الأخوة :

ما زلنا عند الحبيب الأعظم ، ها هو يحدث صحابته الكرام وفيهم الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه يقول : (إن عبداً أصاب ذنباً فقال : يا رب إني أذنبت ذنباً فاغفره ، فقال له ربه : علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ، ثم قلت ما شاء الله ثم أصاب ذنباً آخر فقال : يا رب إني أذنبت ذنباً آخر فاغفره لي ، قال ربه : علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ، ثم قلت ما شاء الله ، ثم أصاب ذنباً آخر فقال : يا رب إني أذنبت ذنباً آخر فاغفره لي ، فقال ربه : علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له : ربه : غفرت لعبدي فليعمل ما شاء) .

فما دام العبد كلما أذنب ذنباً استغفر وتاب منه وأقلع عنه كانت كفارة لذنبه ، وأما من يستغفر بلسانه من غير إقلاع عنه ثم عاوده فإن هذه توبة الكذابين . فما حكمه لو مات ولم يتب عن ذنبه ؟ إذا مات مرتكب الكبيرة وهو غير مستحل لها ولم يتب منها فأمره مفوض إلى الله عز وجل :

ومن يموت ولم يتب عن ذنبه فأمره مفوض إلى ربه

فلا تقطع له بالعفو عنه لئلا تكون الذنوب في حكم المباحة ، ولا تقطع له بالعقوبة لأنه تعالى يجوز أن يغفر ما عدا الكفر وعلى تقدير وقوع العقاب تقطع له بعدم الخلود في النار ، ولهذا يقول مولانا : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) .

ويقول عليه السلام : (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) ، ولا يصح أن يدخل الجنة ثم يدخل النار لأن من دخل الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى : (وما هم منها بمخرجين) .

فهو إما أن يدخل الجنة بدون دخوله النار المرة وهذا هو العفو التام ، أو بعد دخوله النار بقدر ذنبه فقد يعذب الله مرتكب الكبيرة وإن مات بدون توبة ، لكنه لا يخلد في النار .

أيها الأخوة الكرام :

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها : الناس على قسمين : مؤمن وكافر . فالكافر إجماعاً في النار ، والمؤمن على قسمين : طائع وعاص ، فالطائع في الجنة إجماعاً ، والعاصي على قسمين : تائب وغير تائب ، فالتائب في الجنة إجماعاً ، وغير التائب في المشيئة الإلهية وعلى تقدير عذابه لا يخلد في النار ، وهذا من فضل الله تعالى وكرمه .

فاللهم تبنا إليك توبة نصوحاً وندمنا على ما فعلنا من المعاصي وعزمنا على أن لا نعود إليها فاقبل توبتنا ...

هنا مدرسة التوحيد .

الحمد لله الذي بلطفه تصلح الأعمال ، ويكرمه وجوده تدرك الآمال ، وعلى وفق مشيئته تتصرف الأفعال ، وبإرادته تتغير الأحوال ، وإليه المصير والرجع والمآل .

أحمدته على ما أسعج من الإنعام والإفضال ومن به من الإحسان والنوال حمداً لا توازنه الجبال ملك السماوات والأرض وعلى كل حال .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال : (وعد الله الذين آمنوا ليستخلفنهم في الأرض) .

يا رب حبك في دمي وكياني نور أعز يذوب في وجداني

أنا لا أضام وفي رحابك عصمتي أنا لا أخاف وفي رضاك أمانتي

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحببيه المفضل الذي قال : إنه ليستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن كره (بقلبه ولم يستطع إنكاراً بقلب أو لسان) فقد برئ (من الإثم وأدى وظيفته) ومن أنكر فقد سلم (من هذه المعصية) ولكن من رضي (بفعلهم) وتابع (فهو العاصي) ، قالوا : يا رسول الله ألا نقاتلهم ، قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة) .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد .

تقدم البلاد على حدث هام من أحداث حياتها السياسية ألا وهو انتخاب أعضاء مجلس الشعب السوري ، ولأن أمور الولاية الشرعية من مهمات الدين ، رأيت أن أقوم بذكر أهم الأحكام المتعلقة بهذه القضية المسماة عندنا بالسياسة الشرعية .

لكن علينا أولاً أن نعلم أن هذه القضية لا تتعلق فقط بتولية هؤلاء الأعضاء نواباً عن الشعب السوري ، بل تتعلق بكل ولاية ، فكل شخص يريد أن يتول شيئاً من أمور المسلمين يجب عليه أن تتوفر فيه شروط معينة ضبطها علماء الشريعة .

نعم لا يشك اثنان أنه لا بد من رجل قوي يقيم الحدود ويحمي ثغور البلاد ويجهز الجيوش ، وذلك لا يتم إلا بإمام يرجع الشعب إليه في فورهم ، وهذا ما أجمعت عليه جماهير الصحابة بعد مفارقتة ﷺ حتى إنهم اشتغلوا به عن دفنه ، لأنه ﷺ توفي يوم الإثنين عند الزوال ، فمكث ذلك اليوم وليلة الثلاثاء ودفن في آخر ليلة الأربعاء .

أخوة الإيمان والعقيدة :

ولأن الأمر جد خطير ، ولأنه أمر من مهمات الدين ، اسمحو لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى عصر النبوة ومهد الرسالة الأول ، إلى البداية الأولى لهذه القضية الإيمانية ، مع الدرس التاسع عشر بعد المائة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد .

أيها الأخوة :

ها نحن عند الحبيب ، فأرسلوا تحيتكم لرسول الله وقولوا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته

إنني أرى سكناً رهيباً حيم على المدينة المنورة ، وأسمع من خلال هذا السكون أنات الحزن والبكاء العميق في جنباتها ، والكل يبكي على فراق الحبيب الأعظم ، كل طبقات المجتمع ، الحر والعبد ، الكبير والصغير الذكر والأنثى ، كلهم أذهلتهم الكارثة ، وها هو الطاهر مسحى ببردة ، ينتظر الأمة ليرى إلى من ستؤول الولاية العامة للأمة .

معشر السادة :

ثم أنتقل بحضراتكم إلى الثلة الطيبة المباركة إلى صحابة نبينا ﷺ وفيهم أجلة الصحابة ﷺ وفيهم أجلة الصحابة ﷺ وقد عقدوا مؤتمراً طارئاً في مسجد رسول الله ﷺ يتشاورون فيما بينهم ، وها هو الصديق الأكبر يفتتح الجلسة الطارئة والمؤتمر العام لأهل المدينة من المهاجرين والأنصار ، فهم أهل الحل والعقد في ذلك الزمان والأقطار تتبع لهم ، افتتح الصديق الأكبر كلامه بحمد الله تعالى والثناء عليه وبالصلاة على نبيه ومصطفاه ثم قال : لا بد لهذا الأمر ممن يقوم به ، فانظروا وهاتوا آراءكم رحمكم الله ، فقالوا جميعاً : صدقت صدقت .

وراح المهاجرون يتشاورون في شأن الولاية العامة ، فقالوا لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار ندخلهم معنا في أمر الخلافة .

فانطلق القوم إلى سقيفة بني ساعدة وراحوا يتجادلون أطراف الرأي فيما بينهم ، فقام خطيب الأنصار فقال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفة دافة من قومكم (اشتد ازدحامهم) وإذا هم يريدون أن يختارونا من أصلنا وينصبونا الأمر .

ثم قام الصديق الأكبر وقال للأنصار : يا أيها المهاجرون نحن أول الناس إسلاماً وأكرمهم أحساباً وأوسطهم داراً وأحسنهم وجوهاً وأكثرهم ولادة من العرب وأمسهم رحماً برسول الله ﷺ ، أسلمنا قبلكم وقدمنا في القرآن عليكم فقال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان) فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفء وأنصارنا على العدو ، وأما ما ذكرتم من خير فأنتم له أهل وأنتم أجدر بالثناء من أهل الأرض جميعاً ، فأما العرب فلن تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش : (الأنمة من قريش) ، هكذا قال رسول الله ﷺ .

نعم أيها الأخوة ، بهذا وردت الأحاديث : إن هذا الأمر في قريش (الأئمة من قريش إن لي عليكم حقاً ولهم عليكم حقاً مثل ذلك) (الأمراء من قريش (ثلاثاً) ما فعلوا ثلاثاً : ما حكموا فعدلوا واسترحموا فرحموا وعاهدوا فوفوا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) (الناس تبع لقريش في هذا الشأن)

(لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان)
(إن هذا الأمر في قريش لا يعاديه أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين)

معشر السادة :

وما أن أتم الصديق الأكبر تقرير هذه الحقيقة حتى ختمها بقوله : فمننا الأمراء ومنكم الوزراء .
فقام أحد الأنصار فقال : (منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش) (أي يتولى واحد منا فإذا مات يتولى واحد منكم وهكذا تتعاقب على الحكم أبداً) .

فقال الصديق الأكبر : بل منا الأمراء ومنكم الوزراء وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم وأخذ بيد عمر بن الخطاب وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بينهما فقالا : لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك فإنك أفضل المهاجرين . ثم أتبع الفاروق عمر فقال : من ثبت له مثل هذه الفضائل التي لأبي بكر ، قال تعالى : (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن) فأنبت صحبته بذلك ، وأنبت له معية كمعية نبيه بقوله تعالى : (إن الله معنا) .

وراح القوم يتذكرون الفضائل التي هي للصديق الأكبر ، فهو صديق هذه الأمة ، والصديقية مرتبة بعد الرسالة والنبوة ، ثم إنه أنفق ماله كله في سبيل الدعوة وعلى إعتاق العبيد ، بل سماه رسول الله عتيقاً لأن الله أعتقه من النار ، وقال عنه : لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره) ، وقال : (يأبى اله والمسلمون إلا أبا بكر) .

وشهد جميع الغزوات لم يتخلف عن واحدة منها ، وكان أمير الحج في السنة التاسعة والنبي على قيد الحياة ، وكان يفتي الصحابة أثناء حياة النبي ﷺ وبحضرته ، وكان يصلي إماماً في أثناء غياب سيدنا النبي ﷺ ، وصلى بالناس زمن مرض الوفاة ، بل صلى إماماً برسول الله ﷺ ورسول الله إلى جنبه قاعد يصلي بصلاة أبي بكر .

أيها الأحبة والصحب :

وهذه الخصوصية الأخيرة بالذات كانت من أهم الأمور التوجيهية التي رجحت ميزان الصديق لتولي الخلافة ، وما أن تذكر المسلمون هذه الفضائل الكثيرة والعظيمة حتى قال الفاروق وابن الجراح أمين هذه الأمة : فمن ذا الذي ينبغي له أن يتقدمك أن يتولى هذا عليك ، ابسط يدك يا أبا بكر لنبايعك ، فبايعه الناس جميعاً بيعة خاصة ثم ببيع بيعة عامة في المسجد ثم أمرهم الصديق بجهاز سيدنا رسول الله ﷺ .

أيها المسلمون :

من أهم نتائج هذا المؤتمر العام علمت الأمة أن تنصيب الإمام العدل واجب شرعي ، وظهرت من هذا المؤتمر شروط تنصيب الولاة والمرشحين للولاة وغيرهم كأعضاء مجلس الشعب الذين نحن بصددهم .
وإذا قلنا بالوجوب الشرعي فليس معناه أنه ركن يعتقد في قواعد الدين المجمع عليها المعلومة بالتواتر بحيث يكفر منكرها كالشهادتين والزكاة والصلاة وصوم رمضان والحج ، لأنه ليس معلوماً من الدين بالضرورة ، فلا يكفر منكره .

فما هي هذه الشروط ؟ إذا أردنا أن ننتخب أعضاء مجلس الشعب فما هي الشروط الواجب توافرها

؟

أولاً : أن يكون مسلماً لأن الكافر لا يراعي مصالح المسلمين ، وهذه القضية مستمدة من القرآن الكريم الذي نحن بصدد الحديث عنه فهو هداية الله للعالم ، يقول عز من قائل : (**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً**) .

ثانياً : الذكورة ، فلا تصح ولاية امرأة ، وهذه القضية قررها أيضاً القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ حين قال : (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) .

ثالثاً : البلوغ والعقل لأن الصبي والمجنون لا يليان أمر نفسهما ، فلا يليان أمر غيرها .

الرابع : الكفاية ولو بغيره ، وهي الجرأة والشجاعة والنجدة بحيث يكون قيماً بأمر السياسة والحرب وإقامة الحدود والذب عن الأمة .

الخامس : سلامة الحواس والأعضاء .

السادس : الحرية ، لأن الرقيق مشغول بخدمة سيده ولأنه مستحق في أعين الناس ، فلا يهاب ولا يمتثل أمره .

ويشترط عند جمهور العلماء النسب ، أي أن يكون قرشياً لحديث الأئمة من قريش .

السابع : عدم الفسق ، لأن الفاسق لا يوثق في أمره ونهيه ، والفاسق هو الذي ارتكب كبيرة أو أصر على صغيرة ولم تغلب طاعته على معاصيه .

فلما أراد أن يكون عدلاً ولو ظاهراً ، والعدالة الظاهرة ملكة في النفس تمنع من اقتراف الكبائر والذاتل .
فهذه الشروط يجب توفرها في المنتخب ، فإذا توفرت وجبت طاعته على الجميع ظاهراً وباطناً ، وهذه القضية قررها مولانا في كتابه الكريم فقال : (**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**) منكم من المسلمين وهم العلماء والأمراء .

وقضية الطاعة وضحتها سيدنا رسول الله فقال : (من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني) ، ولكن لا يطاع في المكروه والحرام للحديث : (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) .

وأما ما فيه مصلحة عامة للمسلمين (وهو ما يسمى بالمباح) فتجب طاعته فيه ، فلو نادى بعدم شرب الدخان المعروف الآن وجبت طاعته ، لأن في إبطاله مصلحة عامة إذ في تعاطيه خسة لذوي الهيئات ووجوه الناس خصوصاً إذا كان في القهوة ، وقد وقع أنه أمر بترك الدخان في الأسواق والقهواوي ، وقد أصدر السيد رئيس الجمهورية مرسوماً يمنعه في الباصات والسيارات العامة فيحرم الآن شربه في هذه الأماكن .

أيها السادة :

فماذا لو زالت عدالة المنتخب (أصبح فاسقاً) ؟

قالوا : لا يعزل إلا إذا أمر بكفر ، فهذا تطرح بيعته جهراً فإن لم يقدر على الجهر فليطرحها سراً ، والله يكفيننا أذاه فهو الذي ناصيته بقدرته ، بغير هذا الكفر من المعاصي لا يجوز خلعه لا جهراً ولا سراً ، ولكن هنا سؤال يطرح نفسه على بساط البحث : هل تجب طاعته إذا قام من غير شورى أو موافقة أو بيعة كما يقولون ؟

انتبهوا أيها الأخوة ، كل شخص يستوفي شروط انتخابه ويقوم العدل بين الناس بعد تولية نفسه عليهم ويرتضيه الناس ويباعونه يكون والياً أو متولياً أمورهم أو إماماً عليهم كما هو التعبير الفقهي ، وكلنا يذكر ما حدث لسيدنا عمر بن عبد العزيز فلم يختار بالشورى ، ولكنه أقام العدل ورد المظالم ، ولهذا اتفق الأئمة الثلاثة والمذاهب (المالكية والشافعية والحنابلة) على أن كل قرشي غلب على الإمامة بالسيف مثلاً واجتمع عليه الناس فهو خليفة إن عدل ، وأن من شق عليه عصا الطاعة بعد أن ارتضوه فقد عصى الجماعة ، وهذه القضية مستمدة من قول سيدنا رسول الله ﷺ : (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) .

أخوة الإيمان :

إننا في القضية الرئيسية لبحثنا اليوم ألا وهي كيف ينتخب المرشح ، أو ما هي طرق الانتخاب ؟ إنما الشورى الطريقة التي حددها رب العزة والجلال حين أمر نبيه الكريم فقال : (وشاورهم في الأمر) وحض المسلمين على الأخذ بهذا المبدأ فقال : (وأمرهم شورى بينهم)

فطريقة الشورى هي الطريقة المثلى في انتخاب المرشح والتي اتبعها دولتنا الحبيبة مع أعضاء مجلس الشعب ، لكن السنة المظهرة لم تبين كيفية الطريقة ولا من هم أهل الشورى ، وترك للناس أمر تنظيمها بما يصلحهم ، ولكن الناظر في القرآن والسنة والتاريخ والأثر يجد أن الطرق لانتخابه ثلاث :

الطريق الأولى : أن يعينه مولانا عز وجل ، وقد ذكر مولانا عز وجل تعيين سيدنا داود فقال (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) وقال عن سيدنا آدم : (إني جاعل في الأرض خليفة) .

الطريق الثانية : أن يعين من قبل الرسول أو باستخلاف من الإمام السابق كما وقع مع سيدنا أبي بكر الصديق فإنه أوصى بالخلافة لسيدنا عمر بعده فباعه المسلمون طائعين مختارين ، أو بطريقة العهد إلى واحد ثلاثة أو أكثر يعدون أفضل القوم كما فعل سيدنا عمر مع سيدنا عثمان والصحابه الخمسة فبويع سيدنا عثمان من قبل الناس .

الطريق الثالثة : هي طريقة الانتخاب من قبل الأمة أي اختيار حر عن مشورة من غير عهد من أحد كاختيار الصديق الأكبر أبي بكر .

أيها الأحية :

فإذا تولى المنتخب سدة الحكم فعليه أن يرفق بهم ويسد حاجتهم ، وعندها تدركه دعوة سيدنا رسول الله ﷺ حين قال : (اللهم من ولي من أممي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أممي شيئاً فرفق بهم فارفق به) .

وعليه أن يحكم بينهم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ قال تعالى : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) أي اقض بينهم بالعدل .

فالعدل أساس العدل ، واسمع معي قول حبيبنا الأعظم ﷺ : (يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة) ، وقال : (أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى مسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال) وقال : (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا) .

ولهذا ورد في الحديث : (إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر (على اجتهداده وطلب الحق) وإن أصاب فله أجران (أجر على اجتهداده وأجر على إصابته) وفي رواية : (وله عشرة أجور) .

وأجمع المسلمون (كما في شرح صحيح مسلم) على أن هذا في حاكم عالم عادل أهل للحكم بخلاف من ليس بأهل له فلا أجر له وإن أصاب بل هو آثم ، ولا ينفذ حكمه وإن وافق الحق لأن إصابته للحق اتفاقية ليست صادرة على أصل شرعي ، فهو خاطئ في جميع أحكامه وكلها مردودة .

واسمعوا معي **أيها السادة** هذا الحديث الذي يوضح هذه القضية بشكل تفصيلي ، يقول ﷺ : (القضاة ثلاثة : قاض في الجنة وقاضيان في النار ، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق وقضى به ، واللدان في النار رجل عرف الحق وجار في الحكم ورجل قضى للناس على جهل .

وأما إن تولى المنتخب الحكم فجار وظلم فهو أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، يقول ﷺ : (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي وإمام جائر) ، ويقول : (من ولي أمة من أممي قلت أو كثرت فلم يعدل فيهم كبد الله على وجهه في النار) ، ويقول : (ما من عبد يستر عليه الله عز وجل خطأ وهو غاش رعيته إلا حرم الله تعالى عليه الجنة) ، (وسوف يأتي يوم القيامة مقيداً مغلولاً لا يفكه إلا العدل)

وأما إن لم يظلم وتركهم في فقرهم وحاجتهم ووضع الحجاب على بان ومنع الناس من مراجعته فاسمعوا ماذا يقول عنهم سيدنا رسول الله ﷺ : (من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته يوم القيامة) أي أغلق الله تبارك وتعالى أبواب رحمته دون حاجته وفقره أفقر ما يكون إليها .

وهكذا معشر السادة :

قرر الإسلام قواعد الانتخابات ، فالمسؤولية جسيمة والمفرط فيها من أهل النار ، وسوف تقدمون على يوم ٣٠ / ١١ وواجب عليكم تثقيل موازين المسلمين .

الحمد لله الذي جعل ذكره رياض الصالحين ومناجاته غذاء أرواح الفالحين والخضوع بين يديه والتضرع إليه عز العارفين .

يا مالك النفس قاصيها ودانيها	رضاك خير من الدنيا وما فيها
فليس للنفس آمال تحققها	سوى رضاك مذ أقصى أمانيتها
فنظرة منك يا سؤلي ويا أملتي	خير إلي من الدنيا وما فيها

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي أمر عباده بالدعاء فقال : (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله ، كان إذا ضر به أمر نادى يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد .

أما بعد فيا حاة الإسلام وحراس العقيدة :

الأدعية هي أنفع الأدوية ، وهي سلاح المؤمن ، وهي عدوة البلاء تدافعه وتعالجه وتمنع نزوله أو تخففه إذا نزل ، والدعاء مع البلاء على ثلاثة مقامات :

أحدها : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه .

ثانيها : أن يكون أضعف منه فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ، ولكن قد يخففه ولو كان البلاء ضعيفاً .

ثالثها : أن يتقاوما وتمنع كل واحد منهما صاحبه ، في الحديث قوله ﷺ : (لا يغني حذر عن قدر والدعاء ينفع ما نزل وما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة) .

وإذا كان الذكر اعتراف بالربوبية لله تعالى فإن الدعاء اعتراف بالعبودية له تعالى .

وما أعطي عبد الدعاء إلا كان دليلاً على الإجابة الإلهية ، ففي الحديث : (ما ألهم الله عبداً الدعاء إلا وهو يريد أن يستجيب له) و (لن يهلك مع الدعاء أحد) .

وقد ذكر سيدنا رسول الله ﷺ أن الله يفعل بالدعاء إحدى ثلاث :

إما أن يستجيب لصاحبه مباشرة .

أو يصرف عنه من سوء مثلها .

أو يدخرها الله له إلى يوم القيامة فيجزيه جزاءً وفاقاً .

واسمعوا إليه وهو يقول لك : (ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله تعالى إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم) ، فقال رجل من القوم : إذاً تكثر ! قال : الله أكثر .

فعدنا أن الدعاء ينفع كما من القرآن وعداً يسمع

أيها السادة :

إننا مع قضية الدعاء مع الدرس العشرين بعد المائة من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا شعار التوحيد .

وخير ما نستهل به حلقتنا لهذا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من القرآن الكريم هداية الله للعالم : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) .

(ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين) .

(أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) .

(قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم) .

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت خير وليها ومولاها اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشيع ومن دعوة لا يستجاب لها .

أيها الأخوة المؤمنون :

إن الجن والإنس ما خلقوا في هذه الحياة إلا لعبادة الله عز وجل ليبرهنوا على ضعفهم وذلمهم واحتياجهم لخالقهم في جميع شؤونهم وسائر تقلباتهم ، لأنهم هم المحتاجون إليه وهو الغني عنهم ، اسمع إليه يقول عز من قائل : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) .

أما استغناؤه تعالى عنهم فقد صرحت به الآية الكريمة : (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني) ، هكذا بالنداء العام الشامل [الناس] بما فيهم المؤمن والكافر والصالح والعاصي والملك والسوقة والقوي والضعيف والصحيح والمريض والذكر والأنثى والكبير والصغير ، ويلاحظ في بلاغة القرآن الكريم أن فقر الناس إلى الله تعالى لا يحتاج إلى تأكيد فجاء : أنتم الفقراء ، وأما غناء مولانا عز وجل فهو مؤكد لا يشك به عاقل ، فجاء (والله هو الغني) مؤكداً بالضمير ، اسمعوا وانتبهوا :

معشر الأخوة :

الله الغني وأنتم الفقراء ، الله الغني هكذا خطأ الصيغة التي ارتقت إلى أعلى طبقات البلاغة : الله الغني الله أعرف المعارف ، الغني معرف بالآلف واللام ، إذا كان المسند إليه معرفة والمسند معرفة ، أو إذا كان المبتدأ معرفة والخبر معرفة ، أو إذا كان الموضوع معرفة والمحمول معرفة ، أفاد ذلك الأسلوب الحصر والقصر ، أي

لماذا لم يقل : الله غني وأنتم فقراء ؟ لو قال : والله غني ، لظن السامع أن هناك أغنياء غير الله ، أما : الله الغني ، فلا غني إلا الله .

أسمعتم كيف حولتنا الألف واللام من شمال الأرض إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها ، ومن شامها إلى عراقها .

وأنتم الفقراء : لم يقل وأنتم فقراء ، لأنه لو قال وأنتم فقراء ربما كان غني غيرهم ، ولكن وأنتم الفقراء أي لا فقراء إلا أنتم مهما زاد مالكم ما دمتم بعيدين عن الله .

من أراد حجة فالقرآن يكفيه ومن أراد مؤنساً فالله يكفيه ومن أراد واعظاً فالموت يكفيه ومن أراد الغني فالقناعة تكفيه ومن لم يكفه شيء من هذا فإن النار تكفيه .

والتوجه إلى الله تعالى بالدعاء يدل على افتقار العبد إلى مولاه وعلى اعترافه بضعفه وحاجته إلى معونة ربه القوي العزيز ، ولهذا عد سيدنا رسول الله ﷺ الدعاء عبادة فقال : (الدعاء هو العبادة) ثم قرأ : (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) فأعظم عبادة بعد الامتناع عنها استكباراً ، وينذر المستكبر عنها بجحيمها صاغرين .

ولهذا اسمع إلى قول الصادق المصدوق يقول : (من لم يسأل الله يغضب عليه) .

ولئن كان أكثر الناس يتضايقون من السؤال وطلب شيء منهم فإن رب الجلالة يحب أن يسأل ويدعا ويطلب منه فهو الغني وسعة فضله لا يدرك ، فعنه ﷺ : (سلوا الله عز وجل من فضل فإن الله يحب أن يسأل) .

ولهذا كان الدعاء أكرم شيء على الله سبحانه وتعالى ، نطق بهذا رسول الله ﷺ .

فكيف نقول إذا أردنا أن نسأل الله تعالى ؟

هذا سؤال وجهه صحابي جليل إلى سيدنا رسول الله ﷺ سألته : يا رسول الله ! كيف أقول حين أسأل ربي ؟ قال : (قل اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني فإن هؤلاء تجمع لك دينك وآخرتك .

وكان ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك ، وكان أكثر دعائه ﷺ : (اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) .

قال له يوماً الصديق الأكبر : يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي ، قال : (قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم) .

أمة الحبيب الأعظم :

ومن أسباب استجابة الدعاء آداب علمنا إياها سيدنا رسول الله ﷺ ينبغي على العبد التخلق بها قبل التوجه بالدعاء ، من ذلك أن يتحرى الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهور والجمعة من الأسبوع والسحر من الليل ومن الأوقات الشريفة بين الأذان والإقامة وعقيب الصلوات وعند نزول الغيث

وعند القتال في سبيل الله وعند ختم القرآن وعند السجود وعند الإفطار وعند حضور القلب ووجله ودعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب .

وعلى الحقيقة فإن شرف الأوقات يرجع إلى شرف الحالات فإن وقت السحر وقت صفاء القلب وفراغه ، وحالة السجود حالة الذل .

ومن آداب الدعاء أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه ثم يمسخ بهما وجهه بعد الدعاء والأفضل أن يخفض صوته حال الدعاء ، ففي الحديث : كان رسول الله ﷺ إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسخ بهما وجهه .

ومن آداب الدعاء أن يدعو على طهارة وأن يبدأ بحمد الله ثم يصلي على سيدنا رسول الله ﷺ ولا يتكلف فيه السجع ، ففي الحديث سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته فلم يصل على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : عجل هذا ، ثم دعاه فقال : (إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليدع بعد بما شاء .

ومن آدابه أن يكون الدعاء بعزم وتصحيح وبعد التوبة وصدق النية والإقبال على الله تعالى والثقة بإجابته ، ففي الحديث : ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه . وعنه ﷺ قال : (لا يقول أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له) .

وليحذر الداعي من الظن بأن الله تعالى لا يستجيب له ، وليعلم أن وقت الإجابة قد يتأخر لحكمة يعلمها الله تعالى ، فعنه ﷺ : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي) .

فالدعاء مستجاب كله إن لم يكن فيه إثم أو قطيعة رحم ، ولهذا نمانا رسول الله ﷺ أن ندعوا على أنفسنا وأولادنا وأموالنا بالشر لئلا يوافق ساعة يستجاب فيها الدعاء فنكون السبب فيما نزل بنا من الهلاك ، اسمع إلى حبيبك ﷺ يقول : (لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجب لكم .

أيها السادة :

اسمحو لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى العصر الذهبي للإسلام إلى الثلة المباركة التي حجت الحبيب سيدنا محمد ﷺ ، ها هو رجل من أصحاب سيدنا النبي ﷺ من الأنصار يكنى أبا مفلح ، وكان تاجراً يتجر بمال له ولغيره ويضرب به الآفاق ، وكان ناسكاً ورعاً فخرج مرة فلقية لص خطأ معه سلاحه فقال له : ضع ما معك فأني قاتلتك ، قال : فما تريد إلا دمي فشأنك والمال ، قال : أما المال فلي ولست أريد إلا دمك قال : أما إذا أبيت فذرني أصل أربع ركعات ، قال : صل ما بدا لك .

فتوضأ ثم صلى أربع ركعات ثم كان من دعائه في آخر سجدة : (يا ودود يا مجيد يا فعال لما يريد أسألك بعزك الذي لا يرام وبملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص يا

مغيث أغثني يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني) ، فإذا هو بفارس أقبل ويده حربة قد وضعها بين أذني فرسه فلما أبصر به اللص أقبل نحوه فطعنه فقتله ثم أقبل إليه فقال : قم ، فقال : أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت فسمعت لأهل السماء ضجة ثم دعوت بدعائك الثالث فقبل لي : دعاء مكروب ، فسألت أن يوليني قتله ، يقول سيدنا الحسن راوي الحديث : فمن تَوْضاً وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروباً كان أو غير مكروب .

فيا رب بجاه حبيبك ومصطفاك هبّ لنا من أمرنا رشداً واجعل معونتك العظمى لنا سنداً .

اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك .

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا واجعل الحياة لنا زيادة في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالاً لما تريد نسألك بعزك الذي لا يرام وبملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيننا ما أهمنا وما أغمننا وتقضي لنا حاجتنا يا مغيث أغثنا يا مغيث أغثنا يا مغيث أغثنا ، اللهم إنا نعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل ونعوذ بك من عذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات وغلبة لدين وقهر الرجال .

اللهم اغفر لنا خطايانا وجهلنا وإسرافنا في أمرنا وما أنت أعلم به منا ، اللهم اغفر لنا جدنا وهزلنا وخطأنا وعمدنا وكل ذلك عندها ، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير .

اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء .

لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش الكريم ، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ وأنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بك .

معشر السادة الكرام :

ثم اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى حدي سيدنا علي ، فهو الآن يحدث من حوله ، اسمعوه يقول : علمني حبيبي رسول الله ﷺ دعاء لا أحتاج معه إلى دواء الأطباء ، قيل : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : سبع وثلاثون تحليلة من القرآن الشريف من أربع وعشرين سورة من البقرة إلى المزمل ، ما قالها مكروب إلا فرج الله كربته ولا مديون إلا قضى دينه ولا غائب إلا رد الله غيبته ولا ذو حاجة إلا قضى الله حاجته ولا خائف إلا أمن الله خوفه .

ومن قرأها في كل يوم حين يصبح أمن قلبه من الشقاق والنفاق ودفع عنه سبعين نوعاً من أنواع البلاء أهنأها الجذام والجنون والبرص ، وأحياه الله رياناً وأماته رياناً وأدخله الجنة رياناً .

ومن قالها وهو على سفر لم ير في سفره إلا خيراً ، ومن قرأها في كل ليلة حين يأوي إلى فراشه وكل الله به سبعين ملكاً يحفظونه من ابليس وجنوده حتى يصبح ، وكان في ثماره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي ، ومن كتبها وشربها في ماء المطر لم يصبه في بدنه سوء ولا خصاصة ولا شيء من أعين الجن ولا نفثهم ولا سحرهم ولا كيدهم ، ولم يزل محفوظاً من كل آفة مدفوعاً عنه كل بلية في الدنيا حتى يريه الله عز وجل في منامه مقعده من الجنة .

فمن يريد أن أعلمه هذا الدعاء فليبق بالمسجد بعد صلاة الجمعة وأعود بكم من هناك إلى هنا .

الحمد لله موفق من توكل عليه، القيوم الذي ملكوت كل شيء بيديه، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا وحيينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً، عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين وخاتماً للنبيين وحرزاً للأئمة وإماماً للمتقين، اللهم آتِه الوسيلة وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون.

فيا سيدي يا رسول:

يا سيدي إنا نسير بقفرة زاد المهجير بها وقلّ الماء

يا سيدي كن للنجاة شفيعنا يا خير من شهدت له الشفعاء

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا وليكننا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم، وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

حديثنا اليوم عن قضية مرتبطة ارتباطاً كلياً بالعقيدة، وهي قضية التوكل، وتعني أن يرى العبد الأشياء المختلفة صادرة عن الواحد القهار، أن يرى أنه لا فاعل إلا الله، فلا ينظر إلى غيره في مراحل حياته فيتوكل عليه، فلا يعتمد على المطر في

خروج الزرع، ولا على الغيم في نزول المطر ، ولا على الدكان في الرزق، ولا على الدواء في الشفاء، ولا على الريح في سير السفينة.

إذا انكشف للمرء عن بصيرته علم أن الريح لا تتحرك بنفسها، وأنه لا بد لها من محرك، فلهذا لا يكون اعتماده إلا على الله سبحانه، وقد علمتنا العقيدة أنه لا فاعل إلا الله.

فنحن اليوم في قضية اعتقادية هامة تقول: إذا ثبت في نفسك أنه لا فاعل سواه، واعتقدت مع ذلك أنه تام العلم والقدرة والرحمة، وأنه ليس وراء قدرته قدرة، ولا وراء علمه علم، ولا وراء رحمته رحمة اتكل قلبك عليه وحده لا محالة ولم يلتفت إلى غيره تعالى.

إننا مع القضية الواحدة والعشرين بعد المائة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا ومولانا محمد رسول الله

إخوة الإيمان:

ترتبط بقضية التوكل قضية أخرى تذكر معها مباشرة هي قضية الاكتساب، أي مباشرة الأسباب بالاختيار (كالبيع والشراء والصنائع والمهن وتعاطي الدواء لأجل الصحة).

فما هو الأفضل؟ هل العمل أفضل (التكسب) أم التوكل على الله؟

إن الذين رجحوا الاكتساب والعمل على التوكل رجحوه لما فيه من كف النفس عن التطلع لما في أيدي الناس، ومنعها من الخضوع لهم والتذلل بين أيديهم، مع ما يقدمونه لأنفسهم من التوسعة على عباد الله ومواساة المحتاجين وصلة الأرحام.

وقبل أن أُلج معكم إلى هذه القضية بشكلها التفصيلي اسمحوا لي أن ألتقط لكم هذا المشهد من بيت من بيوت الله تعالى فيه شيخ مربٍّ من شيوخ التربية الذين

كنا نسمع عنهم (اللهم دلنا على من يدلنا عليك) فمن لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان، هكذا قال الإمام الجنيد رحمه الله.

هاهو الشيخ يدخل إلى المسجد عدداً من المرات فيرى تلميذاً له قد سبقه إليه، فسأله:

— أليس لك عمل تتكسب منه؟

فأجاب التلميذ: نعم، ولكني تركت عملي وجلست في المسجد متوكلاً على الله تعالى، فهو يرزقني وإن لم أعمل.

سأله الشيخ: تركت عملك؟! لماذا؟!!

قال: نظرت يوماً إلى كوة المسجد فوجدت فيها بومة عمياء قد عششت فيه، فقلت في نفسي من يأتيها بالطعام لتأكل، فراقبت... فوجدت طيراً جارحاً يأتيها بالدود ويضعها في فمها مباشرة لتأكله، فقلت: سبحان الله هذه البومة يأتيها رزقها رغداً دون أن تسعى في طلبه، فعلمت أن الله يرزق العبد ولو لم يتكسب.

وهنا نظر الشيخ المري لتلميذه وقال له: ولم رضيت لنفسك أن تكون البومة العمياء ولم ترض لنفسك أن تكون الطير الجارح؟!!

[اليد العليا خير من اليد السفلى].

أيها الإخوة الكرام:

هذا هو التوكل، الاعتماد على الله تعالى وقطع النظر عن الأسباب مع التمكن منها، فلماذا رجحه قوم على التكسب؟

رجحوه لما فيه من ترك ما يشغل عن الله تعالى والاتصال به والثوق بما عنده، وليسلم العبد من فتنة المال والمحاسبة عليه يوم القيامة.

أيها السادة:

اسمحوا لي بعد ذلك أن أنتقل بحضراتكم لتقرير هذه الحقيقة إلى هناك، إلى عصر النبوة، إلى معدن الرسالة، إلى سيد السادات وأمير الأنبياء والمرسلين الكرام سيدنا محمد ﷺ:

كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

ها هو يحدث أصحابه الكرام وفيهم معقل بن يسار، اسمعوه وهو يقول (حا: ترغيب ١١٧/٤): يقول ربكم: (يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى، وأملأ يدك رزقاً، يا ابن آدم لا تباعد مني أملأ قلبك فقراً، وأملأ يدك شغلاً.

ثم ذكر لهم (ق): أنه يدخل الجنة من أمته سبعون ألفاً لا حساب عليهم.

فمن هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون (لا يطلبون الرقية من غيرهم) ولا يتطيرون (لا يتشاءمون) وعلى ربهم يتوكلون»، قال هذا: لأنهم كانوا في الجاهلية يكتوون ويسترقون في أمن العافية لئلا يمرضوا.

ثم قال لهم: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً».

فما هي النتيجة؟ ما هو الراجح الاكتساب أم التوكل؟ هذا السؤال أجاب عنه علماء العقيدة فقالوا: إنهما يختلفان باختلاف أحوال الناس، فمن صبر على ضيق معيشتة بحيث لا يتسخط ولا يتطلع لسؤال أحد فالتوكل في حقه أرجح لما فيه من مجاهدة النفس على ترك شهواتها، وقد كان زمن نبينا ﷺ أخوان وكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه للنبي ﷺ فقال: لعلك ترزق به، فالمعونة على قدر المؤونة (ت ٢٣٤٦).

فهذه الحالة تحتاج من صاحبها إلى أن يكون حاله مع الله حال الثقة بكفايته وعنايته أو أن يكون حالة صاحبها مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لا يعرف

غيرها ولا يفزع إلى سواها ولا يعتمد إلا إياها وإن أصابه أمر كان أول خاطر يخطر على قلبه أو أول ما يسبق أن يقول على لسانه: يا أماه.

فمن كان تأله إلى الله ونظره إليه واعتماده عليه كلف به وتعلق كما يكلف الصبي بأمه، فيكون متوكلاً حقاً.

وقد مثل علماء العقيدة حال المتوكل الصادق على الله تعالى بالميت بين يدي الغاسل لا يفارقه، كأنه يرى الله يقلبه كيف يشاء من حال اليسر إلى حال العسر، ومن حال البسط إلى حال القبض، ومن حال الجمال إلى الجلال. فإن لم يستطع العبد إلى هذا المقام فإن التكسب له أفضل.

إخوة العقيدة والدين:

فهل يمكن للعبد أن يجمع بين هذين المقامين؟ (مقام التوكل ومقام الكسب)، والجواب هو: نعم، قد يكون العبد متوكلاً وهو مكتسب، إذاً التوكل هو الثقة بالله والاعتماد عليه والاعتقاد بأن الأمر كله منه وهذا محله القلب.

أما مباشرة الأسباب فمحلها الجوارح، لذا لا تنافي بين عمل القلب والجوارح واجتماعهما ممكن، وقد ورد في الحديث (ت ٢٥١٩/٧) أن رجلاً قال: يا رسول الله أعقل الناقة وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ فقال رسول الله: إعقلها وتوكل. فهذا الحديث فيه الجمع بين الأخذ بالأسباب ونفي التأثير عنها بالتوكل على الله تعالى، ولهذا يقول عملاق الإسلام سيدنا عمر رضي الله عنه: المتوكل هو الذي يلقي حبه في الأرض ويتوكل على الله تعالى.

ورأى رجلاً معتكفاً في المسجد فسأله: ماذا تفعل في المسجد؟ قال: متوكل على الله، فأمره أن يقوم ويعمل ويكتسب وقال له: إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضةً.

فلا يظن بعض الناس أن معنى التوكل ترك التكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب، والسقوط على الأرض كالحزقة البالية فهذا ينافي الشرع المطهر، لأنّ الشرع علمنا التعرض للأسباب والأخذ بها، وتعطيها تعطيل للحكمة الإلهية، كما أنّ الاعتماد عليها كفر والعياذ بالله:

قال تعالى: (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه)

كما أن النبي ﷺ وهو سيد المتوكلين كان يحبس لأهله قوت سنة، ولبس الدرع في الحروب وحمل السيف رغم أنّ الله تعالى تعهد له بالنصر على من خالفه فقال:

(لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي)

كما أمر المؤمنين بحمل الأسلحة في الحروب فقال: (ولياخذوا أسلحتهم) رغم أنّه تعهد لهم بالنصر على من خالفهم فقال: (ولينصرنّ الله من ينصروه).

كما أن النبي ﷺ تداوى وأمر بالتداوي، فهذا لا يناقض التوكل لأننا نعتقد أن الله هو الشافي لا الدواء، وقد تداوى خلق كثير من المسلمين، وامتنع عنه أقوام توكلاً على الله تعالى كما روي عن الصديق الأكبر، وقد مرض فزاره الناس وقالوا: ألا ندعو لك طبيباً؟ فقال: أبصرتني الطبيب. فقالوا له: فما قال لك؟ قال: (إني فعال لما أريد).

كذلك ليس من شرط التوكل ترك الأسباب الدافعة للضرر، فلا يجوز النوم في الأرض المسبّعة (التي فيها سباع) أو في مجرى السيل أو تحت الجدار الخرب، فكلّ ذلك منهى عنه.

والحاصل: أنّ لسان حال العبد مع الله تعالى يكون إن قُدّم إليه الطعام فرح وقال: لولا أنّه علم أنّ الغذاء يؤذيني لما منعني.

ويكفي أن يكون حال الأنبياء مع الله تعالى درساً لنا في التوكل والتسليم المطلق، فاسمحو لي أن أنتقل بحضراتكم سريعاً إلى عصر الخليل إبراهيم لنرى الدروس

التطبيقية لهذا المقام العظيم ، ها هو الخليل يمتحن امتحاناً صعباً، إذ أنّ النمرود وضعه في منحنيق بعد أن أوقد على النار التي صنعها له، وأرى الخليل ساكن الجأش هادئ البال لم يتحرك قلبه خوفاً من النمرود ولا من النار، توجه بقلب مطمئن وهو في الجو إلى القادر المقتدر، إلى الذي لا يخيب أحداً، وراح يرّد بتوكل عجيب: حسبي الله ونعم الوكيل (خ)، الله أكبر، ما هذا اليقين؟ الله أكبر ما هذا التوكل؟ حسبي الله ونعم الوكيل، وجاء الأمر الإلهي بأقل من لمحّة عين: (قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم).

هكذا فليكن التوكل، هكذا فليكن الإعتماد على الله تعالى، هذا الموقف اليقيني يذكرنا بموقف آخر حدث لأحد أحفاد سيدنا إبراهيم، حفيد ملأ الدنيا زينةً وبهجةً وجمالاً، ملأها محبةً وأخوةً وإيماناً، ملأها عزّةً ونصراً ومجداً، إنه سيدنا محمد ﷺ، فأرسلوا تحتكم لهذا النبي الحبيب. هاهو بعد إحدى الغزوات يستريح مع صحابته الكرام في واد فيه شجر الشوك، نزل تحت الشجرة، وتفرق الناس يستظلون تحت الشجر، وعلق سيفه على شجرة منها، ونام الناس، واستيقظ رسول الله لينام، ولكن الأنبياء تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم، ويبقى الجهاز القلبي يعمل بتسييح الله وتمجيده، وإذا بأعرابي من المشركين يتناول سيف النبي ويجرده من غمده وينادي: من يمنعك مني يا محمد؟ وفتح رسول الله عينيه وقال بثبات ويقين وصدق وتوكل، رد عليه دون أن يتردد وقال كلمة كررها ثلاثاً: الله الله الله.

وما أن سطع نور هذه الكلمة اليقينية من الفم الشريف بتوكل عظيم حتى طار السيف من المشرك وسقط على الأرض. فمد رسول الله يده إلى السيف وأخذه ورفع في وجه المشرك وقال له: (من يمنعك مني).

ونظر الأعرابي إلى هذا الموقف العجيب الذي حدث مع أمير الأنبياء، وكيف انقلب السيف من يده إلى يده بغتة، وأصابه الدّهش، فراح يتوسل بالصفات التي

رَّجَّهَ اللهُ فِي حَبِيبِ اللهِ، وَمِنْهَا صِفَةُ الرَّحْمَةِ فَقَالَ لَهُ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ: (تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّيَ رَسُولُ اللهِ؟)، قَالَ: لَا، (أَشْهَدُوا بِمَا أَنْتُمْ مِنْ قُلُوبِكُمْ)، قَالَ: لَا وَلَكِنِّي أَعَاهِدُكَ أَلَّا أَقَاتِلَكَ وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يَقَاتِلُونَكَ، وَهَذَا تَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ، تَرَكَهُ لِيَذْهَبَ إِلَى قَوْمِهِ فَيُخْبِرَهُمْ بِهَذَا الْحَدِثِ الْعَجِيبِ الْمَلِيءِ بِالتَّوَكُّلِ وَقَالَ لَهُمْ: جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ.

فَكَيْفَ يُحْفَظُنَا اللهُ عِنْدَ مَنَاظَرِنَا كَمَا حَفِظَ نَبِيَّهُ الْكَرِيمَ؟

هَذَا سُؤَالٌ بَحِثٌ عَنْ جَوَابِهِ بَيْنَ كُتُبِ السَّنَةِ فَوُجِدَتْ أَنَّ نَبِيَّنَا عِلْمَ صَحَابَتِهِ أَدْعِيَةٌ فِيهَا حَفِظَهُمْ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَشَيْطَانٍ.

معشر الإخوة:

رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَوَجَّهَ بِخُطَابِهِ الْهَامِ الَّذِي يَقْرُرُهُ عَلَيْنَا الْيَوْمَ فِي هَذَا الْمُؤْتَمَرِ الْأُسْبُوعِيِّ.

أيها السادة :

رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخَاطِبُكُمْ مِنْ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا، فَأَصْغُوا إِلَيْهِ بِأَسْمَاعٍ أَفْهَامِكُمْ، هَاهُوَ يَعْلَمُنَا فَيَقُولُ: «إِذَا أَتَيْتَ مُضْجِعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتَ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتَ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَضْتَ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتَ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» (خ ٩٣/٩٤ - م ٢٧١٠).

وَلِهَذَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرَ تَرْغِيبٍ لِيَحْفَظُنَا اللهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ سُوءٍ فَقَالَ: «مَنْ قَالَ (إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ) بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ يَقَالَ لَهُ (أَيُّ يَقُولُ لَهُ مُلْكَاهُ) هَدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِّيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ» (د ٩٥٠ - ت ٣٤٢٢ - ن حب).

أيها الإخوة المؤمنون:

ما زالت الإمدادات الإلهية تترى، ما زالت المواقف الإيمانية تتلقاها الشاشة القلبية على الموجات العاملة من الأحاديث الصحيحة الثابتة.

ما زلنا هناك عند الحبيب الأعظم، وأرى بعين الإيمان واليقين رجالاً من صحابة نبينا ﷺ أسلم هو وأبوه وأمه وأولاده، فكلهم صحابة، إنه الصديق الأكبر سيدنا أبو بكر عبد الله بن عثمان الذي يلتقي نسبه مع النبي في مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي.

هاهو يرافق القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ في هجرته إلى المدينة (اللهم ارزقنا زيارته فيها في كل عام) ويدخلان الغار الذي بالكاد يتسع لاثنين، ويقدم كفار مكة على خيلهم بعددهم وعدتهم ويقفون أمام الغار، ورسول الله ثابت الجنان لا تطرف له عين من شدة صدق توكله على الله تعالى، ولكن الصديق كان يمتلئ خوفاً على رسول الله، اسمعوه وهو يصرح بخوفه على النبي وهو يقول: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت: يا رسول الله لو أنّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، ونظر إليه سيد المتوكلين، وقال بلسان عربي مبين ينبئ عن عظمة اتصاله بالله رب العالمين: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟) (خ ٩/٧ - م ٢٣٨١).

وهكذا أيها الإخوة يقرر رسول الله القواعد الإيمانية التي كان من أعلاها أن الله مع المؤمنين، والله مؤيد له، الله ناصر له .. فلا تخافوا وقووا إيمانكم، وقووا اتصالكم بالله، فالنصر لنا، النصر آت، ولن تستطيع قوة على ظهر الأرض أن تقهر قوة الإسلام، هذا هو الجواب الإيماني الذي نطق به رسول الله ﷺ، فما ظنكم بأمة رسولها سيدنا محمد ﷺ ومعها رب العالمين، هكذا فليكن التوكل، هكذا فليكن اليقين، فلنبق هنا مع مدرسة التوكل واليقين، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لا إله إلا الله

الحمد لله الذي بلطفه تصلح الأعمال ، وبكرمه وجوده تدرك الآمال ، وعلى وفق مشيئته تتصرف الأفعال ، وبإرادته تتغير الأحوال ، وإليه المصير والمرجع والمآل .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الباقي بلا زوال ، والمنزه عن الحلول والانتقال ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسوله ونبيه وخيرته من خلقه وصفيه وخليله ووليه ، وحببيه المفضل ذو الشرف البازخ والفضل الشامخ والعلم الراسخ والجمال والكمال .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد .

أف أف اليوم بينكم لأضع النقاط على الحروف في قضية كثر الرد فيها بين المسلمين في عصرنا هذا ، قضية تفشت منذ قريب قرنين من الزمان يوم خرج على المسلمين رجل راح يكفر المسلمين بدعوى أنهم مبتدعة خارجون عن الإسلام وتعاليمه ومبادئه ، وراحت ثلة من الجند تقتل المسلمين في ذلك العصر بفتوى من ذلك الرجل الذي أضله الله على علم فقتل في مكة والمدينة وما حولها وقتل في الطواف خلق كثير ، وإذا كنت سأسكت عن اسم هذا الرجل الذي خرج إليه جيش من مصر على رأسه إبراهيم بن علي باشا فحاربهم وهزمهم وردهم على أذارهم هو ومن معه .

إذا كنت سأسكت عن اسمه فلن أسكت عن هذه القضية التي تحير عامة المسلمين اليوم ، فهم لا يدرون من يصدقون ، هل يصدقون هؤلاء الذين يدعون التمسك بالكتاب والسنة والأحاديث الصحيحة أم يسألون الذين يقررون النصوص الفقهية التي من أساس قواعدها الكتاب والسنة والأصول المبنية عليها .

إنها إذاً قضية هامة جداً هي قضية البدعة وأحكامها ، أعرضها على حضراتكم مع الدرس الثاني والعشرين بعد المائة الأولى من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات القرآن الكريم هداية الله للعالم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) .

(وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) .

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) .

أخوة الإيمان :

وقبل أن أُلج معكم إلى هذه القضية اسمحوا لي أن ألتقط لحضراتكم هذا المشهد من على منبر رسول الله ﷺ فياني أرى القائد الأعلى للأمة يوجه بياناً خطيراً ، فاستقبلوا ببيان النبي الكريم بالصلاة عليه ﷺ ، والمتحدث الرسمي عنه هو سيدنا جابر رضي الله عنه يقول : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم ، ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين يقرن بين أصبعيه (المسبحة والوسطى) ويقول : (أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي سيدنا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ...)

أيها السادة :

أخذ بعض المسلمين هذا الحديث وجعلوه على إطلاقه ، فكانوا كلما رأوا أمراً ليس فيه نص من الكتاب ولا السنة جرحوا صاحبه ووصفوه بالمبتدع الضال ، فما هي الحقيقة ؟ الحقيقة أن البدعة ليس كل أمر لا نص عليه في الكتاب أو السنة وإنما البدعة كل أمر لا أصل له في الكتاب والسنة ، فكل أمر ينضوي (يبوب - ينزل) تحت أصل من أصول الكتاب والسنة ليس بدعة وإنما هو سنة ، نعم سنة نطق بهذا سيدنا محمد ﷺ فهو الذي يقول : (من سن في الإسلام سنة حسنة (أسمعتم سمي الشيء المستحدث الذي لم يكن موجوداً ثم وجد مما لا يخالف نصوص القرآن والسنة بل ينضوي تحت أصل من أصولهما : سماها سنة حسنة ، فما هو ثوابه ؟ قال :) فله أجره وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) .

هذا الحديث عمدة في قضية البدعة ، لأن النبي قسمها إلى قسمين : سنة ممدوحة أو بدعة ممدوحة ، وسنة مذمومة أو بدعة مذمومة .

أيها الأخوة المؤمنون :

ها نحن في الصفحة الأولى من هذه القضية ، التي وقع فيها الغموض على العامة لعدم فهمهم هذا الحديث .

ومن فهم الحديث وهم العلماء أقرروا واتفقوا على أن البدعة قد تكون مندوبة ، بدعة مندوبة ؟ نعم مستحبة بل أشد ، قد تكون البدعة واجبة ! وإليكم تفصيل الأنباء :

البدعة الواجبة هي ما تناولتها قواعد الوجوب وأدلة الشريعة ، وتشمل كل ما يرجع لحفظ الدين أو بيان أحكامه ، وأول من فعلها الصحابة الأجلاء وعلى رأسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وسيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه ، وهي كتابة القرآن العظيم وجمعه ضمن مصحف واحد ، فلم يكن القرآن مجموعاً كله عند صحابي واحد ، بل كان مكتوباً بعضه عند هذا الصحابي وبعضه الآخر عند هذا ، ولكنه كان محفوظاً في صدورهم عن ظهر غيب ، وكان عدد الحفاظ صغيراً جداً ولم يكن هناك خوف على فقدته حتى بدأت الغزوات وبدأ الصحابة يموتون في سبيل الله شهداء في سبيل نشر الإسلام ، وكفي أنه قتل منهم في يوم اليمامة ويوم بئر معونة قتل من الحفاظ

أربعون ومائة ، فلما بدأ الصحابة يتساقطون شهداء على أرض الجهاد الإسلامي عقد سيدنا عمر الفاروق مؤتمراً خاصاً مع خليفة رسول الله ﷺ ثم انضم إليهما سيدنا زيد بن ثابت ، وإليك هذا التصريح الهام الذي صرح به هذا الصحابي الجليل ، يقول : أرسل إلي أبو بكر مقتل (بعد مقتل) أهل الإمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم الإمامة بقاء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالمواطن فيذهب كثير من القراء ، وإني أرى أن تجمع القرآن . فقلت لعمر : كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ ، قال عمر : هذه والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر ، ثم قال : يا زيد إنك شاب عاقل وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه . يقول زيد : فتبعت القرآن أجمعه من العصب والخاف وصدور الرجال . وكان سيدنا زيد لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ .

هذه أول بدعة بزعم هؤلاء حدثت بعد رسول الله ﷺ ونحن نقول إنما سنة واجبة ولا نقول إنما بدعة إلا من حيث المعنى اللغوي (وهو الأمر المستحدث) وبذلك واجه الصديق الأكبر بجمعه للمصحف كل محاولات أعداء الدين لتحريف القرآن والقضاء عليه أولاً بأول .

ومن البدع الواجبة تنقية السنة من الدخيل والأحاديث الموضوعة ونشر العلوم المساعدة على فهم القرآن كعلوم اللغة والفقه .

أيها الأخوة المؤمنون :

وقد تكون البدعة مندوبة كتحسين الطرق والمباني ومدها بالمياه والكهرباء وتنظيم أمور التعليم والمرور في الطرقات .

ومن البدع المدحوة المولد النبوي الشريف أخذاً من الإشارة في صحيح مسلم والبخاري ، سئل النبي ﷺ عن صومه ليوم الإثنين فقال : ذلك يوم ولدت فيه ، فهذا الحديث النبي عبادة ، وهو الصوم بسبب الولادة مثلما فعل رسول الله ﷺ بصيام يوم عاشوراء حيث قدم المدينة فوجدهم يحتفلون به وسألهم فقالوا : هذا يوم نجي الله فيه موسى فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه .

وهذا معناه أن رسول الله ﷺ كان يخص الأيام الفاضلة بمزيد العناية ، ولكن شرط الاحتفال بمولده أن لا يكون فيه اختلاط بين الجنسين أو وجود محرمات كآلات موسيقية أو كشف عورات نسأل الله حسن الطاعة .

أيها الأخوة :

ومن البدع المدحوة التبرك بآثار الصالحين قياساً على التبرك بآثار النبوة ، والغريب والعجيب أن الذين ينكرون البدع هم أنفسهم ينكرون التبرك بآثار النبي ﷺ رغم أنه ورد بها الأحاديث الصحيحة كما هو موجود في البخاري ومسلم .

ومن البدع المباحة المسموح بها والتي لم تكن على عهد النبوة التوسع في الطيبات وترويج النفس بالأسفار والكلام في المحافل بما يرضي الله تعالى ، والحرص على تولي المناصب الدينية والدنيوية منعاً من أن يتولاها من ليس أهلاً لها .

ومن البدع أو السنن الممدوحة والمستحبة ما فعله عمر حين جمع الناس على صلاة التراويح بعشرين ركعة على قارئ وإمام واحد ، وهو سيدنا كعب ، حيث كان الصحابة بعده يصلونها فرادى ، ومنهم من يصلها خلف إمام ضمن مجموعات متفرقة ، ومن أعجب العجب أن بعضهم أنكر صلاة التراويح كلها وقال أن النبي لم يصلها ، رغم أن صلاة النبي للتراويح في صحيح البخاري ومسلم ، فقد خرج رسول الله من جوف الليل في رمضان وصلى في المسجد فصلى الناس بصلاته (انتبهوا صلواها جماعة مع النبي) فأصبحوا يتحدثون بذلك ، وكثر الناس في الليلة الثانية فصلى وصلوا بصلاته (أي جماعة) فلما كانت الليلة الثالثة كثر الناس حتى ضاق المسجد على أهله فلم يخرج إليهم حتى خرج لصلاة الفجر ، فلما صلى الفجر أقبل عليهم وقال : (إنه لم يخف علي شأنكم الليلة ولكي خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها .

فمقتضى هذا الحديث أنه ﷺ خرج إليهم ليلتين فقط والمشهور أنه خرج لهم ثلاث ليال وهي ليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين ولم يخرج لهم ليلة تسع وعشرين ، ثم توفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر الذي قال عنه رسول الله أنه محدث ملهم (أي يلهمه الله تعالى الصواب) فرأى أن يجمع الناس جميعاً فيصلوا عشرين ركعة خلف إمام واحد ، فجمع الرجال على أبي بن كعب والنساء على سليمان بن أبي حثمة ، وهكذا مضت السنة إلى الآن ، ولهذا لما تولى سيدنا عثمان الخلافة خرج إلى المسجد في رمضان فرأى جماعة التراويح قائمة في مسجد رسول الله فقال : نور الله قلب عمر كما نور مساجدنا .

أخوة الدين والعقيدة :

هذا الذي فعله الفاروق وافقه عليه جميع الصحابة الكرام وأثنوا عليه ، فتم بذلك الإجماع على ما فعله سيدنا عمر ، ولهذا لا تسمع لأي ناعق ينعق بما لا يفهم الحكمة العظيمة من جمع كلمة المسلمين وتوحيدهم والصلاة تحت راية إمام واحد .

لكن الأمر المذموم حقاً في البدعة هو المحرم والمكروه لأنها كل أمر يخالف صريح الكتاب والسنة مثل تحريم الحلال أو تحليل الحرام بدون عذر شرعي أو قصد صحيح .

ولتوضيح هذه القضية تعالوا بنا نسأل سيدنا رسول الله ﷺ كما سأله الصحابي ، قال له : يا رسول الله إني إذا أصبت اللمم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي فحزمت على نفسي اللمم . فكان الذي أجاب عن هذه القضية مولانا عز وجل ، أنزل الأمين جبريل بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً) .

ومن البدع المحرمة إنكار الاحتجاج بالسنة أو تقديم العقل على الشرع وجعله أصلاً والشرع تابع له ومنها كل ما يضر بالدين أو يهدم أصلاً من أصوله ، أو يميئ سنة أو يحيي بدعة ، ومنها ما يفعله بعض العوام في أول خميس من شهر رجب بين المغرب والعشاء بعد صوم الخميس بما يسمى صلاة الرغائب التي تغفر الذنوب على زعم واضعها ، فهذا الخبر موضوع لم يقله رسول الله ، لكنها ابتدعها رجل كان حسن التلاوة سنة ٤٤٨ هـ في بيت المقدس ، وكل شخص يفعلها فإنه يشجع على وضع الحديث ويشجع على الابتداع في الدين لأنها مخالفة للصلاة المشروعة التي شرعها رسول الله .

فإذا كان زيادة عدد التسيجات عقب الصلوات بقصد الرغبة عن السنة أمراً مكروهاً لأن فيه خروجاً عما حدده رسول الله ، فإن إنشاء صلاة لم يأمرنا بها رسول الله أمر محرم ومن الكبائر ، وقد يتدرج الأمر بالعبد المبتدع أن توصل صاحبها إلى الكفر فيما لو خالف ما يعلم من الدين بالضرورة (وهو الذي يعرفه الخاص والعام) كان ينكر البعث ووجوب الصلاة والصوم وينكر الزنا وشرب الخمر .

ولهذا وضع لنا رسول الله ﷺ قاعدة هامة في البدعة المحرمة والمكروهة اسمعوها جيداً ، قال : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو مردود عليه) ، وفي رواية : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) . ولذلك كل ما ينقل عن بعض المسلمين يفسرون حديث رسول الله كل بدعة ضلالة ليس على إطلاقه ، بل المراد منه ما أحدث وليس له دليل من الشرع .

أيها السادة :

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها : المحدثات ضربان :

أولاً : ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً ، فهذه بدعة الضلالة .

ثانياً : وما أحدث من الخير لا يخالف شيئاً من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة .

هنا مدرسة التوحيد .

الحمد لله المتفضل على عباده بأنواع المواهب والأرزاق ، والحمد لله بجميع محامده على الإطلاق .

نحمده ونستغفره ونعوذ به من الرياء والسمعة والنفاق .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ظهر نورها ولاح في الآفاق .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث لإظهار الأحكام وتدمير أهل الشرك والنفاق .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً يدومان إلى يوم

التلاق وسلم تسليمًا .

وقفت قبل شهر رمضان المبارك عن الحديث عن القضايا الإيمانية لمجيء هذا الشهر الفضيل ،
 فـرمضان معيار لا يتسع غيره جعلنا الله فيه من المقبولين ، فيه جدد المؤمنون العهد مع الله تعالى على متابعة
 السير على نهج القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وشعارنا وشريعتنا في الحياة الدنيوية : (إن هذا القرآن يهدي
 للتي هي أقوم) .

هذا هو الشعار الذي رفعناه في الحديث عن أحد أركان الدين ، الدين الذي يجب أن نحافظ عليه
 ونتمسك به ونرفع رايته عالياً ، واسمحوا لي أن أرجع قليلاً إلى الوراء لأصل ما انقطع من حديث القضايا الإيمانية
 ، فما هو الدين ؟

سؤال تتنوع الإجابة عليه حسب علم الإنسان وثقافته ، قد يكون الجواب عن هذا السؤال : إن
 الدين هو الطاعة والعبادة والخضوع والحساب ، وإلى هذا المعنى يشير القرآن الكريم في قوله تعالى على موجات
 سورة الماعون : (أرايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين) .

وقد يكون الجواب هو أن الدين ما قد شرعه الله على لسان نبيه من الأحكام (شرع لكم من
 الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا
 تفرقوا فيه) .

وقد يكون الجواب أن الدين وازع إلهي يقذفه الله في القلب فيهدي صاحبه إلى عمل الخير وفعل البر
 والتقرب إلى الله بهما ويصبح على نور وصراط مستقيم ، وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى : (فمن يرد الله أن
 يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) .

وقوله تعالى : (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من
 ذكر الله أولئك في ضلال مبين) .

والدين كذلك هو الإسلام ، هو أحد أركان الدين الثلاثة : الإسلام والإيمان والإحسان ، وصدق
 الله العظيم : (إن الدين عند الله الإسلام) وكل هذه الأجوبة حق وصدق . ولكن سيدنا رسول الله حدد
 معنى آخر عن الدين في أحاديثه النبوية الشريفة ، فما هو هذا المعنى ؟ هذا سؤال أجيب عنه مع الدرس الثالث
 والعشرين بعد المائة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً
 لترفعوا شعار التوحيد .

أيها الأخوة :

إن الباحث في الأحاديث النبوية يجد أن رسول الله ﷺ بلغت نظر الأمة الإسلامية إلى أن الدين
 عمل صالح وسلوك سليم يبرز للوجود ويظهر أثره على العبد في سلوكه ومعاملته ، فاسمحوا لي _ معشر السادة _
 أن أنتقل بمحضراتكم إلى هناك ، إلى عصر النبوة ، إلى القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ ، ها هو رجل
 يأتي النبي الكريم ويسأله سؤالاً هاماً ، قال له : ما الدين يا رسول الله ؟ فأجابه رسول الله ﷺ : الدين حسن
 الخلق ، فأتاه من قبل يمينه وسأله : ما الدين يا رسول الله ؟ فأجابه : الدين حسن الخلق ، ثم أتاه من قبل شماله

وسأله : ما الدين يا رسول الله ؟ فأجابه : الدين حسن الخلق ، ثم أتاه من ورائه وسأله : ما الدين يا رسول الله ؟ فالتفت إليه رسول الله وقال : أما تفقه هو ألا تغضب .

أخوة الإيمان والدين :

إن رسول الله ليبين أن الإسلام يحمل بين حناياه وجوانحه أخلاقاً وتربية لمتبعيه ، مما يجعلهم مؤهلين لرضا مولانا عز وجل ، ولهذا استمعوا إلى المربي الأعظم يقول : (إن العبد ليلبغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وأشرف المنازل وإنه عند الله لضعيف العبادة ، وإنه ليلبغ بسوء خلقه أسفل درجة في جهنم) .
و (إن العبد ليقول الكلمة لا يقولها إلا ليضحك بها المجلس يهوي بها أبعد ما بين السماء والأرض ، وإن المرء ليزل عن لسانه أشد ما يزل عن قدميه) .
و (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) .

معشر السادة :

هذه هي التعاليم النبوية الشريفة تبين أن أول مراحل هذه الاستقامة أن ينفض العبد يديه مما لا شأن له به ، وألا يقحم نفسه فيما لا يسأل عنه ، ف (من حسن إيمان المرء تركه مالا يعنيه)
والبعد عن اللغو من أركان الفلاح في الدين ودلائل الاكتمال ، ولهذا ذكره القرآن الكريم بين فريضتين من فرائض الإسلام المحكمة هي الصلاة والزكاة : (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون) .

أما من يدعي التدين ويتظاهر بالنسك وهو بعيد عن الأخلاق الفاضلة فهو في خطر من عذاب الله ، ويخشى أن يكون من المنافقين ، لأن الإسلام لا يعنى بالظواهر بل هو لا يقيم لهذه المظاهر وزناً إذا لم يكن لها حقيقة راسخة في النفس ، وصدق رسول الله : (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم) .

الإسلام لا يكتفي من المؤمن بالعبادة التي ليس فيها خشوع يشعره بعظمة المعبود ، ليس لها أثر من خلق حسن يلمسه الناس ، واسمع معي إلى مولانا عز وجل يقرر هذه الحقيقة فيقول على موجات سورة البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ...)

ولهذا يقرر سيدنا رسول الله أن القصد من العبادة هو تزكية النفس وتطهير القلب وحب الخير وحسن الصلة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، لذلك نفى الدين عن بخون أمانته ، إن رسول الله يعلنها عالية في سماء الإسلام الخالد أبدي الدهر .

يروى لنا جدي سيدنا علي فيقول : كنا جلوساً عند رسول الله فأقبل علينا رجل من أهل البادية فقال : يا محمد أخبرني عن أشد شيء في دين هذا الدين وألينه ، فقال رسول الله : (يا أبا العالية ، ألين شيء في هذا الدين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأشدّه يا أبا العالية : الأمانة ، ألا إنه لا دين لمن لا أمانة له وإن صام وصلى) .

كما أنه أصدر حكمه المبرم على امرأة أنها من أهل النار لإيذاها جيرانها ، امرأة تكثر من الصلاة والصيام والصدقة ، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، فقال : هي في النار ، وزف بشارته لامرأة ذكرت عنده بقلة صومها وصلاتها وعبادتها غير أنها تحسن إلى جيرانها فقال : (إنها من أهل الجنة) .

هذه القرارات الوجيهة كلها ليعلم الناس أن التدين الحق هو معاملة الناس معاملة حسنة ومنع الأذى عنهم ، إن عظماء الرجال يلتزمون في أموالهم جميعاً ألا تبدو منهم لفظة نابية خارجة عن نطاق الأدب ويخرجون مع صنوف الخلق أن يكونوا سفهاء أو متطاولين .

يروى لنا الإمام مالك بلاغاً : إن سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام مر بخنزير على الطريق فقال له : أنفذ سلام ، فقيل له : تقول هذا لخنزير ؟ فقال : إني أخاف أن أعود لساني النطق بالسوء . وأما أولئك الشرسين ذوي الطباع السقيمة والعادات الذميمة فقد أمرنا الإسلام بمداراتهم والصبر على أذاهم ريثما يجعل الله لنا فرجاً ومخرجاً .

أيها السادة الكرام :

مازلنا عند الحبيب الأعظم ، ها هو رجل يستأذن بالدخول عليه فقال نبي الله : (بس أخو العشيعة هو) ، فلما دخل عليه انبسط إليه وألان له القول فلما خرج قالت له السيدة عائشة : يا رسول الله ، حين سمعت الرجل قلت كذا وكذا ، ثم تطلعت في وجهه وانبسطت إليه ، فقال ﷺ : (يا عائشة متى عهدتني فاحشاً ، إن من شر الناس عند الله تعالى منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه) .

إن بعد الأكثرين في زماننا عن روح التدين وحقيقته جعل الناس يشكون في فائدة العبادة ويسئئون الظن في تعاليم الإسلام لأنهم يتظاهرون بالعبادة والتدين انحرفاً عن الخلق الكريم .

وليس الذنب في هذا ذنب الإسلام ، إنما التبعة على هؤلاء الذين لم يؤدوا العبادات على الوجه الذي أرادوا منهم فلم يتجاوز عباداتهم رؤوسهم ولم يتقبلها الله منهم ، إن العبادة المقبولة هي التي يظهر أثرها طيباً صالحاً في المجتمع ، ورحم الله من قال :

توهمت يا مغرور أنك دين
علي يمين الله مالك دين
تحج إلى البيت الحرام تنسكاً
ويشكوك جار بائس وخدين

أيها الأخوة :

علينا أن نكون عند حسن ظن نبينا بنا ، فما هي الأخلاق المطلوبة من المسلم ؟
أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى ، وأعود بكم من هناك إلى هنا

هنا مدرسة التوحيد .

الحمد لله العلي الكريم الوهاب الذي يعطي من فضله من يشاء بغير حساب ، أكرم المتقين من عباده بأن لهم طوبى وحسن مآب .

نحمده سبحانه وتعالى حمداً يكون كفيلاً بالمزيد ونيل جزيل الثواب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عنت له الوجوه وخضعت له الرقاب وتعفرت لجلال عظمته وجوه العظماء بالتراب .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الناطق بالصواب المؤيد بالمعجزات والآداب التي بمرت الألباب .

اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سيدنا محمد .

أقف اليوم بينكم شامخاً بنا الإسلام إلى العلياء إلى ذرة المجد والرفعة ، هذا الإسلام الذي شرع لمتبعيه أصناف الشرائع والأحكام في مختلف جوانب الحياة ، وصدق الله العظيم : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) رأينا ذلك في العبادات ، في المعاملات ، في الأسرة ، في الاقتصاد في السياسة الشرعية وتولي شؤون الدولة وما نحن نصل إلى ذروة أخرى من ذرا الإسلام إنها الأخلاق الإسلامية أو كيفية معاملة العبد ربه عز وجل وكيفية معاملة الإنسان وأخيه الإنسان .

والإسلام حين يأمر المسلمين بالأخلاق فهو يريد منهم أن يرفعهم إلى المستوى الذي خلقهم الله لأجله ، والأخلاق روح الإسلام وجوهره ولهذا لما أراد الله أن يمدح بنبيه الكريم لما يقل له وإنك ذو مال عظيم أو ذو جاه عريض أو علم كبير ، بل مدحه بقوله : (وأنت لعلی خلق عظیم) .

إننا اليوم في صفة مدح الله بما أنبيأه ورسله الكرام ، وجعلها لازمة لهم ضمن الصفات الواجبة وهي صفة يتصف بها الصديقون والأولياء والصالحون ألا وهي صفة الصدق ، الصدق في القول ، الصدق في العمل ، الصدق في الوعد والصدق بالعهد ، إننا باختصار مع الدرس الرابع والعشرين بعد المائة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا شعار التوحيد :

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها الأخوة وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من القرآن الكريم هداية الله للعالم :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (واذكر في الكتاب إسماعيل أنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً) ، (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) ، (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) .

أخوة الإيمان والدين :

الصدق قول الحق ، أو مطابقة القول للحقيقة والواقع وهو من صفات الخير التي أمر بها القرآن وأرسل بها الأنبياء الكرام ، وحين طالب الكافرون رسول الله بتغيير بعض ما أنزل عليه إلى ما يوافق أهواءهم وشهواتهم أنزل عليه مولانا عز وجل قوله : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) .

أي أهلكناه إهلاكاً سريعاً ، لو أنه كذب علينا في بعض الأقاويل لهلك ، ولهذا عصم الله الأنبياء الكرام من كل شيء من الأخلاق الرديئة .

والحقيقة أيها السادة : أن الصدق فطرة موجودة في الإنسان منذ صغره ، فلا تحتاج لغرسها في نفسه لأنه على الحق وحب الصدق .

وأما الكذب فيأتيهم من البيئة التي حولهم ، ولهذا اسمع إلى حبيبك رسول الله ﷺ يقول : (يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب) ، هكذا ربي رسول الله صحابته الكرام .

معشر الأخوة :

اسمحو لي أن أنتقل بحضراتكم إلى المربي الأعظم والقُدوة الأكرم سيدنا محمد ﷺ :

جعلت إليها غدوتي ورواحي	خذوني إلى أرض المدينة إنني
أطير على وجهي بغير جناح	وإن قيل لي وفد الركاب فإنني
وقل سيدي ذي ملة الأشباح	وقف بي أمام القبر عند خبابه
وتبدل الأتراح بالأفراح	فعسى تزول همومنا وكروبنا
ويقال لي ها قد شفيت صلاح	وعساي أشفى في رحاب محمد

ها هو الحبيب الأعظم يرى عبد الله بن عامر وأمه تدعوه ورسول الله قاعد في بيته ، فقالت : ها تعال أعطك . فقال لها رسول الله ﷺ : ما أردت أن تعطيه ؟ قالت : أردت أن أعطيه تمرًا . فقال رسول الله ﷺ : أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة .

فحين نعد أطفالنا بأن نعطيهم شيئاً ثم لا نفي لهم بما نعدهم فإننا نعلمهم على الكذب .

فالبيئة تحول الفطرة الصالحة إلى الكذب والخيانة ، فمن جالس جانس ، وتكرار ممارسة الكذب تكتسب العادة ثم تتحول العادة إلى خلق راسخ وعندئذ يكتب عند الله كذاباً ، ومن غدا كذاباً هانت لديه معظم أعمال الفجور فيدفع به ذلك الكذب إلى النار . وهذه القضية بالذات صرح بها من تحبون أن تصلوا عليه حيث قال : (إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) .

ولأجل ذلك اسمع إلى مولانا عز وجل يقول في هداية الله للعالم : (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) .

يروى لنا الإمام مالك في الموطأ أنه قيل لسيدنا رسول الله ﷺ أيكون المؤمن جباناً ؟ قال : نعم . فقيل : أيكون المؤمن كذاباً ؟ فقال : لا .

فافتراء الكذب وافتعاله عن إصرار وتعمد إنما يفعله الكذابون الذين لا يؤمنون .

ولم يرخص الإسلام في الكذب إلا عند ثلاثة مواطن : اسمعوها على موجات الأثير من أحاديث البشير النذير : (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً) قال الراوي يا سادة يا كرام : ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذباً إلا في ثلاث : الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها .

وصدق رسول الله : (إن الصدق طمأنينة والكذب ريبة) و (الشريكان في النار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبنياء وبرك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما) .

نعم أيها الأخوة :

قد يضطر العبد أن يكذب لسوء من حوله ، فهذا شرع له رسول الله ﷺ لكي لا يكذب ما يسمى بالتورية ، فما هي التورية المنجية من الكذب ؟

اسمحو لي أن أجيب بمثال توضيحي ؛ حين يتصل بك أحد هاتفياً ، ويرفع ولدك السماع ويسأله عن أبيه هل هو موجود أم لا ؟ وأنت لا تريد أن تكلمه ، فهنا أنت تعلم ولدك أن يخط دائرة على الحائط ويشير إليها قائلاً مع الإشارة : إن أبي ليس هنا ، فولدك يريد أنك لست ضمن الدائرة ، والسامع يفهم أنك لست بالبيت ، فتكون أنت قد علمت ولدك الصدق دون أن تضطر إلى الكذب المحرم .

ومن لطيف ما يذكر عن شيخ من الصالحين في عصرنا يدعى الشيخ ياسين خدام الجامع رحمه الله ، هذا الرجل كان يسمى غرفته الخاصة في البيت مضايا ، هكذا يعلم أهل البيت هذه الغرفة اسمها مضايا ، فحين يتصل به رجل لا يحب لقاءه يدخل غرفته (غرفة مضايا) فيقول أهل بيته للمتصل : إن أبي في مضايا . هذه القضية نجانا منها سيدنا رسول الله ﷺ فقال : إن في المعارض المبذوحة عن الكذب .

معشر السادة :

علينا أن نصدق ونعلم أولادنا الصدق لنفوز برضا ربنا عز وجل ثم بالجنة ، يقول ﷺ : اضمنوا لي خطأ من أنفسكم أضمن لكم الجنة ، اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا عاهدتم وأدوا إذا أؤتمتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم .

فجعل رسول الله في هذا الحديث الصدق أحد عناصر ست من تحلى بها دخل الجنة :

الصدق في أقوالنا أقوى لنا والكذب في أفعالنا لنا

أيها الأخوة :

ما زلنا عند الحبيب الأعظم ، ما زلنا عند الصادق الأمين وهو يزرع خلق الصدق في نفوس صحابته الذين فتحوا العالم من بعده بصدقهم مع الله تعالى وبصدقهم مع عباد الله .

ها هو يبيع رجلاً بيعة تجارية قبل أن يبعث وبقيت له بقية ، فوعده الرجل أن يأتيه بها في مكانه ، يقول الرجل (واسمه عبد الله بن أبي الحسماء) فنسيت (نسي أن يعود إلى النبي) قال : فذكرت بعد ثلاث (فعدت إلى مكان البيعة) فإذا هو مكانه ينتظره ، فقال له رسول الله : (لقد شققت علي أنا هنا منذ ثلاث أنتظرُك) . هذا ليعلم صحابته الصدق ، ليجنبهم رذيلة الكذب لتبقى رائحتهم نقية زكية طيبة ، لأن رذيلة الكذب لها رائحة منتنة تشمها الملائكة المرافقة للإنسان ، فالأعمال لها روائح ولها وزن ولها صور ولها صفات كثيرة يدركها أهل الله ومنهم الأنبياء ، واسمع معي إلى سيدهم وعظيمهم وهو يقول : (إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلاً من نتن ما جاء به) .

وأعظم الكذب وأعظم الخيانة حين تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت به كاذب (خيانة كبرى أن تستغل تصديق أخيك لك) وهذه القضية صرحت بها الأحاديث النبوية ، فعنه ﷺ : (كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت به كاذب) .

وأشنع صور الكذب وأفحشه : الكذب على الله ورسوله لأنه افتراء في الدين وتلاعب بالشرعية وتجوُّر عظيم على النار ، والله كرر في كتابه كثيراً : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) .

أتدرون ما يفعل الله بهم يوم القيامة ؟ اسمعوا : (أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) .

ومثله الكذب على رسول الله ﷺ ، لأن أقوال الرسول حجة في الدين ومصدر من مصادر التشريع ، فالكذب عليه تلاعب في الدين وافتراء وإضلال للعباد ، ولهذا جاء في الحديث المتواتر : (من كذب علي فليتوأ مقعده من النار) .

وكل من يروي حديثاً موضوعاً (مكذوباً على رسول الله) وهو يعلم أنه موضوع ثم لا يبين وضعه ولا يذكر أنه مكذوب على رسول الله فهو أحد الكاذبين ، نطق بهذا النبي الأمين : (من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين) .

أيها المؤمنون :

وهناك كذب شديد القبح في حياة الناس ، نوع خطير سيء الأثر ألا وهو شهادة الزور ، ولهذا قرنه الله تعالى بالتحذير من الشرك ، فعلى الموجات الإيمانية من سورة الحج : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور) .

أسمعتكم كيف قرنها الإسلام بالشرك ؟ ولهذا نرى القائد الأعلى للأمة يحذر أشد التحذير من شهادة الزور ، ويعدها من أكبر الكبائر ، ففي الحديث : (ألا أنبئكم بأكثر الكبائر ؟) قلنا : بلى يا رسول الله ، قال

: (الإشراف بالله وعقوق الوالدين) وكان متكئاً فجلس فقال : (ألا وقول الزور وشهادة الزور) فما يزال يكررها حتى قلنا ليته سكت .

أيها السادة :

تعالوا معي لنشهد صورة هي أقبح وأفحش وأعظم من صور الكذب كلها ، إنه الكذب الذي يؤكده صاحبه باليمين ليوثق كلامه به ، هذه اليمين التي تسمى باليمين الكاذبة أو الفاجرة ، هذه اليمين التي تسمى بالغموس ، أندرون لم سميت بالغموس ؟ لأنها تغمس صاحبها في الإثم الكبير ثم تغمسه في النار .

لأن الله عظيم معظم لا يتجرأ أحد أن يحلف به كاذباً ليأخذ حقاً ليس له ، ليقطع مال امرئ مسلم بغير حق ، وسمع معي إلى البيان النبوي وقد سئل رسول الله عن الكبائر فقال : (الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس) ، وفي رواية : وما اليمين الغموس ؟ قال : (الذي يقطع مال امرئ مسلم) .

بل نبه علينا فقال : (من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان) . وهذه اليمين لا كفارة لها ، وليس على صاحبها إلا التوبة النصوح ، ففي الحديث : (خمس ليس لمن كفارة : الشرك بالله وقتل نفس بغير حق وبهت المؤمن) اتهامها بما لم يفعلها (ويمين صابرة يقطع بها مالاً بغير حق) .

الحمد لله الذي شرع لنا ديناً قويمًا وهدانا إليه صراطاً مستقيماً وجعلنا من أهله تعلماً وتعليماً حمد من عمته رحمته وأفضاله و غمرته أعطيته ونواله .

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستزيد بها وفور نعمه واستفد بها وفور كرمه وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جمع بمبعث شمل الحق بعد تفرقه وقمع برسائله حزب الباطل بعد تطوقه وخصنا بشريعته القويمة خطأ أخا وأبا فآمنا وصدقنا وله الفضل علينا وجبا .

سيدي أبا القاسم يا رسول الله

يا سيدي إن نسير بفقرة زاد البحر بها وقل الماء

يا سيدي كن للنجاة شفيعنا يا خير من شهدت له الشفعاء

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد .

نحن اليوم نتحدث عن التربية الإيمانية التي ربي بها الإسلام أتباعه ، هذه التربية التي نفذت إلى أصقاع الأرض وجوف الصحراء فقلبت صفحات الجاهلية إلى صفحات إسلامية نورانية .

أفتح اليوم معكم صفحة من صفحات الإسلام الناصعة وأرى عنوان هذه الصفحة:

(أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك) ، إنها الأمانة التي تشعبت في نواحي حياتنا ، أمانة التجار بعدم الغش ، وأمانة الأباء بتعليم الأبناء وتهذيبهم ، وأمانة الأبناء تجاه الأباء ببرهم واحترامهم وأمانة الجار يرفعى حرمة جاره ويتجنب إيذائه وأمانة التلاميذ تجاه أساتذتهم يقدرهم جهده ويحترمونه ولا ينسون

فضله ، إنما باختصار أمانة الإسلام التي حددها صاحب الشريعة سيدنا رسول الله ﷺ حين قال : (ألا إنه لا دين لمن لا أمانة له) ، (فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله به) ، يقول ابن سعود رضي الله عنه : القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة فإنه يؤتى بالعبد يوم القيامة (وإن قتل في سبيل الله) فيقال : أد أمانتك . فيقول : أي رب كيف وقد ذهب الدنيا ؟ فيقال : انطلقوا به إلى الهاوية ، وتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها فيهوي في أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أن خارج زلت عن منكبيه فيهوي في أثرها أبد الآبدين . ثم قال : الصلاة أمانة والوضوء أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة . . . وأشد ذلك الودائع .

إننا معشر الأخوة مع الأمانة في الحلقة الخامسة والعشرين بعد المائة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة من كتاب مولانا عز وجل هداية الله تعالى في الأخلاق للعالم :

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)
(إننا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) .

(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) .
أخوة الإيمان :

الأمانة خلق إيجابي لا يستحق أن يوصف بها إلا من سنحت له فرصة الخيانة من غير ضرر يلحق به فأظهر المناعة وقوة الإرادة المبنية على السمو في النفس والروح لأن الأمين من فتح له باب الخيانة قليلها أو كثيرها فأبى أن يخون .

الأمانة خلق وجداني توجده وتركبه تربية الإسلام التي تستوحى من أشرف منازع التدين ، وتربية الإسلام تقسم الأمانة إلى ثلاثة أقسام :

الأمانة في فعل العبادات التي أمر بها الشارع واجتناب المنهيات .
و الأمانة في حفظ النعم التي أنعم الله بها على العبد كالسمع والبصر والعافية .
والأمانة في حقوق العباد ورد الودائع والأموال .

واسمحوا لي قبل أن أُلج معكم إلى الصفحة الثانية من هذه القضية أن أقف بكم على أعتاب الحبيب المصطفى وقد أعز الله عز وجل به الإسلام بفتح مكة ، أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى الأمين المؤمن ، إلى أمين مكة سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

إليكم هذا الحدث الإيماني يذيعه على حضراتكم عثمان بن طلحة (ابن سعدي في الطبقات) ، يقول : (كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الإثنين والخميس فأقبل رسول الله يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فأغلظت له ونلت منه ، فحلم علي ثم قال : يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح بيدي يوماً أضعه حيث

شئت ، فقلت : لقد هلك قريش يومئذ وذلت ، فقال : بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة ، يقول عثمان : فوقعت كلمته في موقع ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال ، يقول عثمان : فلما كان يوم الفتح قال : يا عثمان اتني بالمفتاح فأتيته به فأخذه مني . وهنا قال علي : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك وما هي إلا لحظات حتى نزل الأمين جبريل من رب العالمين : (إن الله يأمركم أن تؤدوه الأمانات إلى أهلها) وهنا أدى رسول الله الأمانة والتفت إلى عثمان وقال : يا عثمان خذوها خالدة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم . ثم قال : ألم يكن الذي قلت لك ؟ ألا تذكر قولي لك بمكة قبل الهجرة حين قلت لك لعلك سترى هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت ؟ فقال عثمان : بل أشهد أنك رسول الله .

وهكذا أيها الأخوة لم يدخر رسول الله لتبليغ دعوته ونشر رسالته شيئاً أثمن من الأمانة فقد أحتره قومه عن غير قصد صغيراً وشاباً وكهلاً ثم توجه بلقب الأمين قبل أن يكون نبياً مرسلأ ، فلما جاءت الرسالة لم يجرو أحد وإن كان ألد ألد الخصام أن يتهمه بالخيانة أو التضليل فأستسلم لدعوته جميع من هداهم الله تعالى .

معشر الأخوة :

اسمحوا لي أن أفضل في آية واحدة تجمع أطراف الأمانة في جوانبها الثلاثة : أمانة الله وأمانة الرسول وأمانة العباد ، هذا هو الأمر الإلهي العظيم : (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) .

فقد جمعت هذه الآية الأمانة العظمى والوسطى ، والصغرى ذكرها رب العزة بضدها وهي الخيانة .

الخيانة : الغدر وإخفاء الشيء .

والخيانة تختلف على قدر الأمانة ، فالأمانة العظمى تقابلها الخيانة العظمى والأمانة الصغرى تقابلها الخيانة الصغرى ، وما بينهما دركات تتفاوت ، فليضع امرؤ نفسه حيث شاء .

فكيف تكون خيانة الله وخيانة رسوله ؟

خيانة الله أعظم خيانة وهي أن تجحد وجوده وتكفر به أو تشرك به أو تنكر وجوده وفضله ونعمه علينا وتترك عبادته وتنفيذ أوامره .

فيا عجباً كيف يعصي الإله أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وأما خيانة الرسول فتكون بتكذيبه وإنكار رسالته وترك ما شرع لنا عن ربه إلى ما شرع غيره من خلقه .

أما خيانة العباد (وتخونوا أماناتكم) فقد جمعت هاتين الكلمتين كل ما يتعلق بالأمانات فيما بيننا وأعظمها أمانة ما حملها كبار المسؤولين في كل دولة نحو رعيتهم ، فإذا كان رئيساً في دولة نخض بمصلحة المؤمنين الداخلية والخارجية والمادية والمعنوية الدينية والدينية السياسية والاجتماعية والعلمية فالحاكم العادل الأمين هو الذي يوفر لرعيته أكبر مقدار ممكن من السعادة بأقل مقدار من الألم يفعل ذلك من غير تفريق في

المعاملة بين أمير ومأمور وكبير وصغير ولا بين مدينة ومدينة يشرف بذلك نفسه على أمور الدولة من غير أن يفرط في شيء من أموالها .

أيها السادة :

انتقل بكم الآن إلى عصر الفاروق عمر ، أين أنت الآن يا فاروق ! أتدرون أين هو الآن ؟ هو على طرف المدينة ماذا يفعل ؟ هو في يوم صائف شديد الحر يهناً (يداوي) بيده إبل الصدقة ، هاهو الأحنف بن قيس سيد قومه يقدم عليه فيقول عمر مباشرة : يا أحنف ضع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه من إبل الصدقة فيه حق اليتيم والمسكين والأرملة ، فقال رجل من القوم : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة فيكفيك هذا ؟

قال عمر وأي عبد هو أعبد مني ومن الأحنف إنه من ولي أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين يجب عليه لهم مثل ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة .

عمر الأمين جاءه يوم فتحت فارس غنائم فيها سيف كسرى وزينته فقال : إن أقواماً أدوا هذا لذنوا أمانة ، فقال له سيدنا علي : إنك عففت فعفوا ولو رعت لرتعوا (ولو خنت لخانوا) .

بهذه الاستقامة المطلقة أندفع المسلمون شرقاً وغرباً ، بهذه الروح الأمانة اجتازوا الحدود وبنوا السدود وحطموا القيود .

أن الموظف الذي تمتد يده إلى خزانة الدولة أو إلى أموال المواطنين للإثراء غير المشروع موظف خائن (ومن يفعل يأت بما غل يوم القيامة) .

إن العامل الذي يسرق عرق العمال وصاحب العمل خائن ، ولهذا أوجب الإسلام قطع يد السارق لأنها يد خائنة ، حين كانت أمينة كانت ثمينة فلما خانت هانت .

ويقول ابن عباس : كلب أمين خير من صاحب خؤون .

رأى رسول الله رجلاً قتيلاً فقال : ما شأنه ؟ قالوا : إنه وثب على غنم بني زهرة فأخذ منها شاة ، فرآه الكلب كلب الماشية فوثب عليه فقتله . فقال ﷺ : قتل نفسه وأضاع دينه وعصى ربه وخان أخاه وكان الكلب خيراً منه) .

وهكذا يا معشر السادة إذا فقد الرجل أمانته أصبح وحشاً كاسراً ينطلق معريداً وراء شهواته يدوس

في سبيلها أركى العواطف يغتال أموال الفقراء غير شاعر نحوهم برقة ، وينظر إلى آلام المنكوبين والمستضعفين فلا يهتز فؤاده بشفقة .

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت وقل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفى عليه يغيب

ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غداً للناظرين قريب

ف (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني) .

الأمانة مسؤولية ، يروي لنا الإمام البخاري : أن رسول الله ﷺ قال : اشترى رجل ممن كان قبلكم عقاراً من رجل فوجد الذي اشترى العقار في عقارة جرّة فيها ذهب ، فقال له الذي اشترى العقار : خذ ذهبك عني إنما اشتريت العقار ولم أتبع منك الذهب ، فقال بائع الأرض : إنما بعثك الأرض وما فيها فتحاكما إلى رجل فقال الذي تحاكما إليه : ألكما ولد ؟ فقال أحدهما : لي غلام ، وقال الآخر : لي جارية فقال : أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا عليهما منه وتصدقوا) .

هكذا علم رسول الله ﷺ صحابته على الأمانة وكان لهم الناصح الأمين ، قال له أبو ذر يوماً : يا رسول الله ألا تستعلمني ؟ فضرب رسول الله بيده على منكبه وقال : يا أبا ذر إنما الأمانة وإنك صفيّ ، وإنها الأمانة خزي وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها .

إذا أسندت الوظائف لغير أهلها حصل خلل عظيم في الدولة والمجتمع ، وهذا مظهر عظيم من الفساد الذي سيقع آخر الزمان ، قال رجل لرسول الله ﷺ : متى تقوم الساعة ؟ فقال ﷺ : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، فقال : وكيف إضاعتها ؟ فقال : إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة .

وهكذا معشر السادة نحن في هذه الأيام ننتظر الساعة (قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين)

هنا مدرسة التوحيد .

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادّون، ولا يؤدّي حقّه المجتهدون الذي لا يدركه بُعدُ الهِمَمِ، ولا يناله غوصُ الفِطَن، الذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أوّل الدّين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصّفات المشبّهة عنه.

وأشهد أنّ سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيّدنا محمّداً عبده ورسوله، وصفيّه وخليله، إمام المخلصين، وسيّد الموحّدين، والقُدوة العظمى في الدّين.

اللّهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد، وعلى آل سيّدنا محمد، وعلى أصحاب سيّدنا محمد وعلى أزواجه أمّهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجّل فرجنا بحقهم، وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

حديثنا اليوم له ذوق خاص، أو له إحساس خاص لا يحدث إلا للصديقين والصالحين، شيء يتعلق بالقلوب، شيء أوجبه الشرع المطهر، أن نمزجه في جميع تصرفاتنا وأحوالنا، هو أغلى وأعزّ من الصّدق، هو صابون القلوب يغسلها وينقيها من كل شائبة، إنه ما يسمّيه علماء القلوب بالله الإخلاص، عطية الله لعباده المخلصين، ففي الحديث القدسي المسند أنّ صحابياً سأل رسول الله ﷺ: ما الإخلاص؟ فقال سيّدنا رسول الله ﷺ: سألت الأمين جبريل ما الإخلاص؟ فقال جبريل: سألت رب العالمين ما الإخلاص، فقال رب العزة والجلال: (الإخلاص سرّ من أسراري أودعه قلب من أحببته من عبادي)، فمن رزق الإخلاص رزق القبول في العمل، ومن أراد أن يرزقه الله الإخلاص يجب أن يتوفر في عمله شيئان: أن يكون صواباً وأن يكون خالصاً، ومعنى كونه صواباً أن يكون موافقاً لما شرعه الله تعالى، ومعنى أن يكون خالصاً أن يقصد به وجه الله تعالى.

إنّنا مع الدّرس السّادس والعشرين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانيّة من جامع الدّرويشيّة، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا شعار التّوحيد:

لا إله إلا الله سيّدنا ومولانا محمد رسول الله

وخير ما نستهلّ به حلقتنا لهذا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عزّ وجلّ هداية الله للعالم: أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم . ولا يحضّ على طعام المسكين . فويل للمصلّين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراؤون . ويمنعون الماعون﴾ / الماعون / .

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة وذلك دين القيمة﴾ / البينة : ٥ / .

﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ / الكهف / .

إخوة الإيمان والدين :

الإخلاص: تجريد قصد التّقرب إلى الله تعالى عمّا سواه، أو: هو قصد الله وحده في العمل والطّاعة، فالعمل الخالص هو الذي لا باعث عليه إلا طلب التّقرب إلى الله تعالى، وضده الشّرك، إلا أنّ الشّرك درجات أدناها الرّياء، والإخلاص شرط لقبول العمل الصّالح الموافق للسّنة، وسببه للخلاص من أهوال يوم القيامة، وهو واجب عيني على كل مكلف في جميع الطّاعات.

وقد سئل مرّة سيّدنا رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حميّة، ويقاتل رياءً، أيّ ذلك في سبيل الله؟ فقال سيّدنا رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

وهذا معناه أنّه لا بد من الإخلاص لله واستحضار النّية في كل عمل وقول وحال ظاهراً وباطناً، وقد أفلح من أخلص قلبه لله، وجعل قلبه سليماً ولسانه صادقاً ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة. ولذلك ورد في الحديث: «إن الله لا يقبل من

العمل إلا ما كان له خالصاً وابشغي به وجهه»، فكيف نكون من المخلصين؟ هذا هو السؤال الهام.

إنّ ممّا يعين على الإخلاص **معشر الإخوة** استحضار أن ما سوى الله لا شيء بيده، لا يضّر ولا ينفع إلا الله، لا شيء ممّا سوى الله بيده شيء، وأن كل شيء إمّا هو بيده وحده، والصادق في إخلاصه لا يحب اطلاع الناس على حسن عمله، المخلص يخاف على عمله الصالح أن يطّلع عليه الناس، كما يخاف أن يروه يفعل الفاحشة، ولا يكره أيضاً أن يطّلع الناس على سيّئه، ولا يبالي بخروج قدره من قلوب الخلق، والنتية في الحقيقة هي التي تحدّد الإخلاص في العمل، فعن طريقها يعلم العبد أنّه عمل عمله مخلصاً به أم لا.

واسمحو لي **معشر السادة الكرام**: أن أوضح هذه النقطة الهامة في الأعمال، وأبادر سريعاً بالانتقال بحضراتكم إلى هناك، إلى عصر الهجرة، إلى صاحب الخلق العظيم، إلى المربي الأعظم سيّدنا محمد ﷺ، فإنّه الآن يصحّ قضية عقائدية هامة، قضية قال عنها الإمام الشافعيّ إنّها ثلث العلم، إذ أنّ رجلاً لقّب بمهاجر أمّ قيس، أحبّ أمّ قيس فلّقّب بها، أبت أن تتزوجه حتى يهاجر، فهاجر لأجل حبّها والزواج بها، فبلغ ذلك القائد الأعلى للأمة ﷺ فقال (ق): «إنّما الأعمال بالنيات وإنّما لكلّ امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه». فالنتية تعمل عملها، وهي التي ترفع العمل، وهي التي تحبطه فتجعله في أسفل سافلين.

وقد توضّحت لنا هذه القضية تماماً من لدنّه ﷺ، اسمعه وهو يضرب لك الأمثلة، وهو يقول: «مثل هذه الأمة كمثّل أربعة نفر، رجل آتاه الله مالاً فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقّه، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤت مالا، وهو

يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه بمثل الذي يعمل، قال رسول الله ﷺ: فهما في الأجر سواء، ثم قال: ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يخبط في ماله ينفقه في غير حقّه، ورجل لم يؤته الله علماً ولا مالاً وهو يقول: لو كان لي مثل الذي أوتي مالاً ولم يؤت علماً لعملت فيه مثل الذي يعمل، يقول عليه الصلاة والسلام: فهما في الوزر سواء».

أيها الإخوة:

إن سيّدنا رسول الله ﷺ يربّينا على الإخلاص، ويعالج قلوبنا لنصل إلى هذه المرتبة، يريد ممّا أن يكون ما عند الله خير لنا ممّا في أيدينا، وأن نتجرّد للأخرة بحيث يتغلب ذلك على القلب، تعالوا بنا نتناول دواءً آخر من طبيب القلوب ﷺ، يقول: «ثلاث لا يعلّ عليهنّ قلب امرئ مؤمن: إخلاص العمل لله، والمناصحة لأئمّة المسلمين، ولزوم الجماعة»، والمعنى أن هذه الثلاثة تستصلح بها القلوب، فمن تحلّى بها طهر قلبه من الخيانة والفساد والشرّ.

أيها المؤمنون :

كم نجد عبداً من إخواننا يتعبون ويعملون أعمالاً ويظنون أنّها خالصة لوجه الله، ويكونون فيها من المغرورين، لأنّهم لم يروا المرض الذي أوقعوا فيه أنفسهم ألا وهو الرّياء، نرى ذلك ظاهراً في بناء المساجد والمستشفيات والأعمال الخيرية مكتوب عليها: مسجد فلان، مستشفى فلان الخيرية، وكل عمل خير يقوم به العبد لأجل الرّياء والسّمعة لا ثواب له به لأنّه مرأي، والرّياء ضد الإخلاص، الرّياء شجرة خبيثة إذا تشعبت فروعها في القلب أماتته، الرّياء أن يعمل العبد الطّاعة ليراه النّاس، وأشدّ منه التّسميع، أن يعمل العبد العمل وحده لا يراه به أحد ثم يخبر به الناس ليعظموه ليجلب لنفسه الخير به، وكلاهما (السّمعة والرّياء) محبطان للأجر والثّواب، ولا يبقى للعامل من العمل إلا التّبكيك والتّفريع

والتحقير على ما فرط في نيّته وقصده، حينما قدّم رضا النَّاس ومديحهم في الدُّنيا على رضا الله ومديحه في الآخرة.

لهذا اسمع إلى الحبيب الأعظم ﷺ: «من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وصغره وحقّره».

فالله يفضحه يوم القيامة ويظهر نيّته الفاسدة في عمله، ليكون جزاؤه العادل من جنس عمله، فهو معدود من المنافقين، هذه الطبقة التي حذّر منها النبي ﷺ مراراً وبين أنّها تتفشّى في آخر الزّمان قرب الساعة، يقول: «يخرج في آخر الزّمان رجال يحتلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضّأن من اللّين، ألستهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذّئاب»، يقول الله عزّ وجلّ: (أبي يغترون، أم عليّ يجترئون؟ فبي حلفت لأبعثنّ على أولئك منهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران).

أتدرون أيها الإخوة هذه الطائفة الملعونة ماذا يفعل بها الله تعالى يوم القيامة؟ اسمع إلى ربّ العزّة يقرّر النّتيجة الحتميّة لمساحي الجوخ المنافقين، يقول: (إنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار ولن تجد لهم نصيراً. إلاّ الذين تابوا)، هذا هو أوّل دواء للنّفاق، والله يدلّنا على أوّل دواء في القرآن: ﴿إلاّ الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً﴾.

أيها الإخوة :

ويوم يصبح القلب خالياً من الإخلاص فلا ثواب لصاحبه على أعماله مهما بلغت، سيرى صحيفته فارغة يوم القيامة، بل يكون حاله ممّن قال الله فيهم: ﴿وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلى ناراّ حامية﴾. وعلى موجات سورة

الكهف: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

إنَّها النتيجة الحتمية لكل عمل لا يراى به وجه الله تعالى، ولهذا اسمع إلى القضاء الأزليّ القلسم الذي قضاه الله رب العالمين، قال: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك)، وهذا بالذات (الرياء) كان يخاف منه سيّدنا رسول الله ﷺ، كان يخاف على أمته منه لهذا كان يحذّرهم من الشرك الخفي (الأصغر) في المدينة المنورة، بعد أن حذّرهم في مكة ثلاث عشرة سنة من الشرك الجلي (الأكبر).

أيها الإخوة :

ما زلنا جلوساً في حضرة الحبيب الأعظم، نتناول أطيب الأخلاق وأدقّها، انظروا إلى سيّدنا رسول الله ﷺ وهو يخرج على أصحابه الكرام قولوا ﷻ، هاهو يسمعهم يتذكرون المسيح الدّجال فيقول لهم: «قد سمعت مقالكم، ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدّجال؟»، (قالوا: بلى يا رسول الله) فقال: (الشرك الخفي: أن يقوم الرجل فيصلّي فيزيّن صلاته لما يرى من نظر الناس إليه).

فرسول الله ﷺ يعلنها صريحة مدويّة: «من صام يراني فقد أشرك، ومن صلّى يراني فقد أشرك، ومن تصدّق يراني فقد أشرك». وسوف يفضحه الله يوم القيامة فضيحة منكّرة، ففي الحديث: «ما من عبد يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء إلا سمّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة». لأنّ الرّياء والسّمعة محبطان للثواب، بل نصّ المالكيّة على أنّ العبادة باطلة، استشهدوا بذلك بنصوص وأحاديث منها حديث ينبغي علينا أن نقف عنده هنية لكي لا ننساه، هو موقف يوقفه ربّ العزّة يوم القيامة لعباده يحتاج منّا أن نصحّ أوضاعنا مع الله، إليكم هذا

المشهد الرهيب: (إنَّ أول النَّاس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأُتي به فعرفه نعمه، فيقول: ماذا عملت فيها؟ فيقول: قاتلت فيك حتى استشهدت، فيقول: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال: هو جريء، فقد قيل، ثم يؤمر به فيسحب على وجهه إلى نار جهنم. ورجل تعلّم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرفه نعمته فعرفها، فقيل له: ماذا عملت بها؟ قال: تعلّمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، فيقول له ربّ العزّة: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النَّار. ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلّ، فأُتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النَّار).

أيّها السّادة :

هذه هي عاقبة الرّياء، فعلينا أن نخفي عبادتنا وأعمالنا، وأن نغلق عليها أبواب السّمعة والرّياء، فالعمل لأجل النَّاس شرك، وترك العمل لأجل النَّاس رياء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل، وإليكم موجزها:

العمل بغير نيّة عناء، والنيّة بغير إخلاص رياء، والإخلاص من غير تحقيق هباء.

هنا مدرسة التّوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لا إله إلا الله

الحمد لله الذي قَرَّبَ إلى جنابه من أحبِّ واختار، وصيَّره من أحبابه السَّادة الأبرار، وطرد عن بابه كلَّ شقيِّ وجَبَّار، وحرَّمه جزيل ثوابه فالحكم لله الواحد القهَّار .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أجدها في يوم تشخص فيه القلوب والأبصار، وتحيط به الأوزار، ويغضب الملك الجبَّار .

وأشهد أنَّ سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيّدنا محمّداً عبده ورسوله، وصفّيه وخليله، أرسله بأيمن شعار، وأنور منار، وأظهر إعلان وإسرار، مؤيِّداً بالمهاجرين والأنصار، منصوراً بالملائكة المقربين الأبرار .

اللّهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيّدنا محمّد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمّهات المؤمنين ، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكننا المقتدر، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجّل فرجنا بحقّهم، وحقّ من جعلته رحمةً للعالمين ورحمةً لنساء العالمين، وسلِّم تسليماً كثيراً.

أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

أتناول معكم اليوم حالة مرضيّة يصاب بها أغلب الناس، صفة حاربها القرآن لأنها صفة مردولة، بل هي أوّل

صفة مردولة ظهرت في الكون بعد خلق أبينا آدم، قولوا عليه وعلى نبينا الصّلاة والسّلام، صفة طرد لأجلها

جنّي، هذا الجنّي لم يترك مكاناً في السماوات والأرض إلا سجد فيه لله، فلما اتّصف بهذه الصّفة طرده ربّ

العزة من جنّة الخلد، إنها صفة الكبر، صفة العظمة، التي لا يرضى بها إلا من ابتلي بمرض الغُجب والغرور،

وقد بدأت أوّل ما بدأت حين قام قائد المتكبرين وحقيهم إبليس اللّعين بعضيان أمر ربّ العالمين، والتكبر

على أمره، تكبر على سيدنا آدم أن يسجد له سجود تحية وإكرام، لا سجود عبودية وإعظام، امتنع من

امتثال أمر ربه بالسجود، وحين فعل ذلك أبعد الله من رحمته وأياسه منها.

وهذا مآل المتكبرين ومآل جميع الملاحدة والزنادقة، تبدأ عندهم نزعة الغرور والعجب فيتكبرون على رسل الله كما فعل فرعون وقارون وأبو جهل وأبو لهب وغيرهم من الخادعين أو المخدوعين الذين جرفهم في عصرنا تيار الزندقة والإلحاد، فباعد بينهم وبين الدين وأهله، وأصروا واستكبروا استكباراً.

يقول سفيان بن عيينة رضي الله عنه: من كانت معصيته في شهوة فارح له التوبة، فإن آدم عليه السلام عصى مشتهياً فغفر له، فإن كانت معصيته من كبر فاحش عليه اللعنة فإن إبليس عصى مستكبراً فلعنه الله.

إننا معشر السادة الكرام مع الدرس السابع والعشرين بعد المئة الأولى من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعا شعار التوحيد:

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا لهذا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل ، هداية الله في الأخلاق للعالم : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿يا أيها الذين آمنوا من يردّ منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين﴾.

﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾.

﴿كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار﴾.

إخوة الإيمان :

الكبر خلق باطني يظهر على الجوارح فيرى به صاحبه نفسه فوق الغير ، وعبد فيه هذه الآفة النفسية يحقر من دونه ويزدرية ، تراه مثلاً حين تلقي عليه السلام لا يرد ، أو يتفضل عليك بابتسامة صفراء ، أو هزة من رأس ، أو إشارة من أصبع ، فهؤلاء لم يتأدّبوا بآداب القرآن لأنّ ربّ العزة والجلالة يقول :

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها﴾، أقله أن تسلّم عليه بمثل ما سلّم عليك، وما أقبحه متغطرساً ذلك الذي يضع السّاق على السّاق لكي لا يقوم، ويضع اليدين في الجيبين كي لا يضافح، ومن تمام السّلام المصافحة، أو لا يمشي إلا ومعه أحد يمشي خلفه، هو يريد أن يقنع الناس بأنّه سيّد وهم عبيد، وأنّه عزيز وهم أذلاء، وأنّه غني وهم فقراء، أو تراه يحبّ قيام النّاس له، فليسمع هذا المدّعي ما أعدّ الله له ولأمثاله بعد أن تصلي على حبيبك النّبي ﷺ، يقول الصّادق المصدوق: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذّرّ في صور الرّجال، يغشاهم الدّلّ من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنّم يقال له بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال».

بل ورد في الحديث: «من أحبّ أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار».

ولهذا كان سيّدنا رسول الله ﷺ ينهى عن القيام له، والتّشبه بالأكاسرة والقياصرة، طبعاً هذا إذا طلبه المتكبر بلسانه أو بلسان حاله، فهو حرام، وأما قيامنا لعلمائنا وصلحائنا بدون طلب منهم أو امتعاض منهم إن لم نقم، فهذا أمر ندب إليه الشّرع المطهر، «فليس منّا من لم يرحم صغيرنا، ويعظّم (أو يحترم) كبيرنا، ويعرف لعالمنا حقّه»، ولهذا قال ﷺ لقوم سيّدنا سعد حين قدم عليهم: «قوموا لسيّدكم»، فهو يعلمهم احترامه تعليماً لأمته، والصّحابة حول هذا قسمان: قسم نزل تحت رغبته ﷺ وقلبه مليء بتعظيم النّبي، وقسم من الصّحب لا يتمالك القعود

حين يدخل عليه رسول الله ﷺ، تراه يقوم حين يرى طلعة النبي الأعظم ﷺ، هاهو رسول الله ﷺ يدخل على الصّحب فيقول لهم: «ألم أنهكم عن القيام؟» فعرضت حاجة للنبي فدخل حجرته الشّريفة (اللهم ارزقنا زيارتها)، فوقف سيدنا حسّان رضي الله عنه ورفع سيفه وقال: والله لئن عاد رسول الله ﷺ ودخل علينا ولم تقوموا له علوتكم بسييفي هذا، فدخل رسول الله، فقام الصّحب الكرام، قال: «ألم أنهكم عن القيام؟» فالتفتوا إلى حسّان وقالوا: أجب عنا رسول الله، فقال سيدنا حسّان رضي الله عنه مخاطباً أعظم شخصية في الوجود الإنساني:

قيامي للعزير عليّ فرض وترك الفرض أتى يستقيم
عجبت لمن له عقل ولبّ يرى هذا الجمال ولا يقوم
فأقرّهم عليه الصلاة والسلام.

وأما المتكبرون الذين ينزعجون لمن لا يقوم لهم، فهؤلاء حرّم الله عليهم الجنة، صرّح بهذه القضية القائد الأعلى للأمة ﷺ يقول: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشّيخ الزاني، والإمام الكذاب، والعائل المستكبر»، لذلك أصدر التّبي قراراً وجاهياً غير قابل للطّعن لأنه محكم، وغير قابل للنقض لأنه مبرم: «لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر»، أسرع رجل من الصّحب الكرام رضي الله عنه فقال: إن الرّجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنةً، فقال ﷺ: «إن الله جميل يحبّ الجمال، الكبير بطر الحقّ وغمط الناس» (احتقارهم وازدراؤهم).

ولهذا لم يدخل العلماء في الكبر التحمل بالملايس وغيرها، لأن التحمل قد يكون مندوباً، في الجمع والجماعات وحضور الصلوات، وفي تحمل المرأة لزوجها، وفي تحمل العلماء ليعظم العلم في نفوس الناس.

وقد ذكر لنا رسول الله ﷺ مثالا على المحرّم فقال: «بينما رجل ممن كان قبلكم يجر إزاره من الخيلاء خسف به في الأرض، فهو يتجلجل في الأرض

إلى يوم القيامة، وهنا أرى بعين الإيمان الصديق الأكبر وقلبه يرتجف، قال: يا رسول الله إن إزاري يسترخي، إلا أتيّ أتعاهده، فقال رسول الله: يا أبا بكر إنك لست ممن يفعله خيلاء».

أيها السادة:

وقد تُسبَّبُ هذه الصفة إذا تمكنت في ذات الإنسان أن يرتدّ عن دينه بسببها، واسمحوا لي أيها الإخوة أن أنتقل بكم إلى عصر ازدهار الإسلام، إلى الرجل الذي كان يهتّ ذكره عرش كسرى وقيصر، إلى عملاق الإسلام وسيد أهل عصره، إلى سيدنا ومولانا عمر الفاروق، هاهو حول الكعبة، ورجل يطوف اسمه جبلة بن الأيهم، أحد ملوك الغساسنة في الشام، وهو الآن يطوف حول الكعبة وثوبه على الأرض، فإذا بأحد الناس من أوساطهم يدوس على طرف ثوب جبلة، فيلتفت جبلة إليه ويضرب وجهه، فقال الرجل: والله لأذهبنّ إلى عمر، استعدي عليه سيدنا عمر، فأرسل إليه الفاروق وقال له: هل ضربت هذا الرجل؟ قال: نعم، قال: لماذا؟ قال: وطئ على طرف ثوبي، قال: لا بدّ من القصاص، قال: أضرني وأنا ملك وهو سوقة؟ قال: لا بدّ من القصاص، فقال: أمهلني إلى الغد يا أمير المؤمنين، فأمهله، فإذا به يهرب ليلاً إلى بلاد الشام إلى عند هرقل ويرتدّ عن الإسلام، فلما قربت وفاته ندم حيث لا ينفع الندم، فقال بيتين :

تنصّرت الأشراف من عار لطمة ما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنّفي فيها لحاج وعزة وئدلت العيّن الصحيحة بالعور

فيا ليت أُمي لم تلدني وليتني رجعت إلى القول الذي قاله عمر

معشر السادة :

وتبدأ هذه الخصلة عند الإنسان عندما يرى نفسه يقوم بعمل من أعمال الخير أو الطاعة، فيعجب بها ويستعظمها، كما يعجب العابد بعبادته والعالم بعلمه، وهذا حرام، وسبب حرمة بطلان ثواب عمله لأنه أساء الأدب مع الله تعالى، إذ لا ينبغي للعبد أن يستعظم ما يتقرب به لسيده، بل يستصغره بالنسبة لعظمة سيده، لا سيما عظمة الله، وهو القائل: ﴿وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدره﴾ أي ما عظموه حق تعظيمه، ولهذا ورد النَّهي عن تلقيب المنافقين والكافرين بألقاب الفخر والعظمة، اسمع قول حبيبك النَّبي يقول: «لا تقولوا للمنافق سيّد، فإن يكن سيّداً فقد أسخطم ربكم عزّ وجل».

فالمؤمنون هم السّادة لأنهم أهل الجنّة، والمتكبرون هم العبيد لأنهم أهل النار، هذه الحقيقة قرّرها ربّ العزّة والجلال، يقول: (الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار)، فكما أن الإنسان لا يشاركه أحد في رداءه وإزاره، فكذلك الله لا يسمح لأحد أن يشركه في العزّة والكبرياء يقول عليه الصلاة والسلام: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتلّ جواظ مستكبر».

أيها السادة:

مازلنا معاً في أعتاب الحبيب الأعظم، نأخذ الدّرس تلو الدّرس، وأرى بعين الإيمان واليقين رجلين يتفاخران بالحسب والنسب، قال أحدهما ورسول الله ﷺ يستمع وينظر: أنا فلان بن فلان، فمن أنت؟ قال عليه الصلاة والسلام: افتخر رجلان عند موسى عليه الصلاة والسلام فقال أحدهم: أنا فلان بن فلان بن فلان بن فلان حتى عد تسعة أجداد، فأوحى الله إلى موسى: قل للذي افتخر: التسعة من أجداده في النار وهو عاشرهم.

وأنقل بكم الآن إلى رأس الملة الهجرية الأولى، إلى العراق، إلى عصر المتكبر الجبار الحجاج، هذا الرجل

الذي لا نسب ولا نخب، وقف أمامه رجل من رعيته، وراح الحجاج يجادل ويجادل ويأبى الرضوخ للحق، فقال

للرجل: أنت تجادلني! ألا تعرف من أنا؟ ألا تعرف أمام من تقف؟ فقال الرجل: بلى، أعرفك وأعرف

أصلك، قال: تعرف أصلي؟ قال: نعم، أصلك نطفة مذرة، وآخرك حيفة قدرة، وأنت بينهما تحمل العذرة.

وهكذا معشر السادة :

من تأمل في صفات نفسه عرف مقدارها ، عظمتك بالإسلام ، عزك بالإسلام، شرفك بالقرآن، فعليك بالتواضع، اسمع ماذا يقول سيّدك وحبيبك محمد ﷺ: «**ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك، فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته، وإذا تكبر قيل للملك: ضع حكمته**»

تعالوا معاً أيها السادة لأشهد معكم هذا المشهد العظيم لعملاق الإسلام سيّدنا عمر رضي الله عنه، فقد خرج ومعه سيّدنا أبو عبيدة إلى هنا إلى الشام، وطئت قدما عمر باب الجابية، فأتوا في الطريق قرب الشام على ساقية، وعمر له ناقة له، فنزل وخلع خفيه، فوضعها على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته، وخاض برجليه الساقية، نظر إليه أبو عبيدة، قال له: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟ قال له: يا أبا عبيدة، لو غيرك قالها لجلعته نكالا لأمة محمد، إنّنا كنا أذلّ قوم فأعزّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزّنا الله به أذلّنا الله.

إنّنا مع التوجيهات النبوية الأخيرة في قضية اليوم، يليقها على حضراتكم أستاذ الإنسانية الأكبر سيّدنا محمد ﷺ يقول: «**إنّ الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**» :

تواضع تكن كالنجم يبدو لناظره
على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدهان يعلو بنفسه
على طبقات الجو وهو ضيع
هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله .

لا إله إلا الله

الغناصق والمنسوخ

- ١٢٨ -

الحمد لله الذي تتبدل الأعوام ولا يتبدل على الدوام، يرفع أقواماً ويخفض آخرين، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء كل يوم هو في شأن.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كتب على نفسه: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله كان يدعو ربه دائماً ويقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، وقف مرة يعدد نعم الله تعالى عليه فقال:

«أعطيت خمساً لم يعطين أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمي أدركته الصلاة فليصل، وأحللت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلي الناس كافة».

سيدي أبأ القاسم يا رسول الله:

أرى كل مدح في النبي مقصراً	ولو سطرت كل البرية أسطرا
فلا أحد يحصي فضائل أحمد	وإن بالغ المثني عليه وأكثر
إذا الله أنى بالذي هو أهله	كفاه بدا فضلاً من الله أكبر
و في سورة الأحزاب صلى بنفسه عليه فما مقدار ما تمدح *	

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فنحن اليوم في القضية الخالقة عن القرآن الكريم الذي ختمنا به ملف الإيمان بالكتب السماوية الذي كنا فتحناه قبل سفري إلى حج بيت الله الحرام.

إنما قضية أهتم بها هذا الركن الإيماني العظيم في حديثي عن الشريعة الإسلامية، هذه الرسالة الخالقة لجميع الرسالات والشرائع والباقية أبد الدهر، هذه الشريعة قد نسخت وأزالت جميع الأحكام السابقة للأمم الماضية.

فقد بعث نبينا ﷺ لجميع الناس أنبياء وغيرهم لكن باعتبار عالم الأرواح فإن روحه خلقت قبل الأرواح وأرسلها الله تعالى لهم فبلغت الجميع،

والأنبياء والرسل نوابه وخلفاؤه في عالم الأجسام ولهذا علينا أن نعتقد ونحزم أنه ﷺ مرسل إلى الناس من لدن آدم إلى يوم القيامة حتى إلى نفسه ﷺ لدخول

الجميع تحت قوله ﷺ: «بعثت إلى الناس كافة» وقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾، ولذلك يقول الإمام الشيخ النقي سیدنا عبد الغني

النابلسي رحمه الله:

كل النبيين والرسل الكرام أتوا نياية عنه في تبليغ دعواه

فهو الرسول إلى كل الخلاق في كل الدهور وناب عنه أخواه

إننا مع قضية الناسخ والمنسوخ، مع الحلقة الثامنة والعشرين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل هداية الله للعالم:

﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً إن الدين عند الله الإسلام﴾ /الفرقان: ١/، ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ /آل عمران: ٥٨/، ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مغتر﴾ /النحل: ١٠١/.

إخوة الإيمان والعقيدة:

من القضايا المسلم بها في العقيدة والتي أصبحت بديهة من البديهيات أن شريعتنا نسخت العمل بالشرائع المتقدمة فشرع من قبلنا ليس شرعاً لنا، ولهذا كل عبد بالغ عاقل لا يؤمن بنبينا وشريعتنا يكون من أصحاب النار (والعياذ بالله) نص على هذا النبي المختار سيدنا محمد حكماً غير قابل للطعن لأنه محكم

وغير قابل للنقض لأنه مريم يقول ﷺ /م-النووي ١٨٦/٢: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» (قولوا صدق رسول الله).

فهذا الحديث يقسم فيه النبي الكريم بالله العظيم الذي بيده نفس سيدنا محمد ﷺ على أن دعوته موجهة لليهود والنصارى كفرضهم على السواء وأن

شريعته ناسخة لما يخالفها من الشرائع وأن رسالته للخلق كافة والأحاديث في ذلك كثيرة بلغت جملتها مبلغ التواتر وهذه خصوصية له ﷺ، ورحم الله من قال:

وخص خير الخلق أن قد تمحا به الجميع *

بعثته فشرعه لا ينسخ بغيره حتى الزمان ينسخ

ونسخه لشرع غيره وقع حتماً أذل الله من له مع

فلا داعي لعقد مؤتمرات التقارب بين الأديان فدين الله واحد هو دين الإسلام (قولوا نشهد).

أيها الإخوة المؤمنون:

بعد أن سلمنا بهذه القضية وأما بما وصدقنا، علينا أن نفتح الصفحة التالية مما يسمى بالناسخ والمنسوخ ضمن الشريعة الغراء، فقد سرّ مولانا رحمه بعباده سنة التدرج في الأحكام لتبقى الشريعة سمحة سهلة لا عسر فيها ولا تعقيد وصدق الله العظيم: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾، وقال: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾.

فمولانا نراه يشرع حكماً في وقت من الأوقات تدعو الحاجة إليه، ثم نراه لحكمته البالغة يشرع حكماً آخر عندما تزول الحاجة إلى الحكم الأول، ينسخه ويبدله بحكم يوافق الحاجة الجديدة، فيكون هذا التبديل والتغيير أنفع وأفضل وأقرب مصلحة للعباد، ومما مثّل ذلك إلا كمثل الطبيب الذي يغير الأغذية والأدوية للمريض باختلاف الحالة والقابلية والاستعداد فما يكون منها في وقت مصلحة قد يكون في وقت آخر مفسدة وما يصلح لأمة لا يصلح لأخرى، ذلك حكم الله العليم الحكيم.

فهل حدث في شريعته مثل هذا التبديل للأحكام؟ والجواب نعم، حدث ذلك في زمن نبينا ﷺ، وعلينا أن نعلم أنه لا يجوز لأحد أن ينسخ حكماً من أحكام الشريعة لأن ذلك خاص بالنبي ﷺ فمن يقول اليوم إنه يلغي حكماً إلهياً أو نبوياً يكفر، فالذي ينسخ الأحكام ويبدلها هو الإله الواحد أو سيدنا رسول الله ﷺ، والدليل على ذلك آية من كتاب الله تعالى أرى أن أتدبرها معكم، يقول عز من قائل: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير مكانها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة: ١٠٦]، (ما ننسخ من آية): ما نبدل حكماً شرعياً بحكم آخر شرعي يأتي بعده. (أو ننسها): نذهب حفظها من القلوب (ضد الذكر) أو نمنحوها من الذاكرة. (نأت بخير منها أو مثلها): في السهولة والخفة فيكون الحكم الناسخ خيراً من الحكم المنسوخ بحسب ما علم الله من اشتغالها على مصالح العباد أي أيا كان الناسخ قرأنا أو سنة لأن الكل تشريع الحكيم العليم.

ليفهم هذا الكلام من يفرق بين الكتاب والسنة، الذين يتركون السنة ويقولون لا نعرف إلا بالقرآن في التشريع (جمعية القرآنين) يقولون لك لا نقبل إلا بالقرآن، لا ندرس إلا القرآن، هم ينكرون ثبات السنة وأهميتها في التشريع، بل وصل بعض هؤلاء أن قال قائل منهم يجب أن نجرد القرآن عما سوى كلام الله، يعني كل آية فيها (قال الرسول)، قال نوح، قال لوط... يخففونها من المصحف ويقولون هذا ليس من كلام الله النبي ﷺ، حذر أشد التحذير من هؤلاء الكفار، حذر من قضية رفض السنة وتركها، اسمعوا إلى هذا الحديث الذي يعد من أعلام نبوته ﷺ، وكان الله كشف لبيه عن هؤلاء المنكرين للسنة فقال: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله ما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه (ثم) اسمعوا إلى الرد القاصم على هؤلاء يقولون ﷺ) وإن ما حرّمه رسول الله كما حرّمه الله».

إذا علينا أن نفهم أنه لا فرق بين الكتاب والسنة في التشريع فكله بحسب الأصل من عند الله وصدق الله العظيم: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾، لذلك إذا رأينا آية في كتاب نسخ حكمها بحديث رسول الله ﷺ فلا نستغرب ذلك.

فما هي الأمور التي وقع فيها النسخ في الشريعة؟

أيها السادة:

إننا في قلب القضية الرئيسة في حلقتنا اليوم، أول نسخ حدث في الشريعة أمر الصلاة، كانت ركعتين صباحاً مساءً، ثم أصبحت خمساً (حنفية). ثم أمر القبلة ثم الصيام الأول ثم الأعراض عن المشركين ثم الأمر بجهادهم ثم أمره بقتل المشركين ثم أمره بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، ثم هدم منار الجاهلية لئلا يحالطوا المسلمين في حجهم. ثم نسخ نكاح المتعة ثم تحريم أكل لحم الخمر الأهلية ثم نسخ عدة المتوفى عنها زوجها ثم نسخ آية الوصية ثم نسخ النهي عن زيارة القبور ثم نسخ عشر رضعات من تحريم الرضاع إلى خمس، ومنعها تحريم الخمر بعد الإباحة المشروطة، وإباحة الأكل والشرب والنساء للصائم لئلا بعد أن كان يحرم عليه.

أيها الأحبة:

وقبل أن أدخل معكم في حِسِّم هذه القضية أريد أن أقر حقيقة هامة هي أن (النسخ لا يكون إلا في الأحكام الشرعية فقط) أما في قضايا الاعتقاد وتحريم الكفر والأخبار الإلهية عن الأمم السابقة واللاحقة فهذا كله لا نسخ فيه، النسخ فقط في الأوامر والنواهي.

أيها الأخوة:

اسمحوا لي الآن أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك:

الزمن: الشهر الرابع من السنة الثانية المحرقة.

المكان: المدينة المنورة.

الحدث: تحويل القبلة.

فقد كانت الكعبة قبله الأنبياء من آباءه عليه السلام وكان يستقبلها في صلاته، ثم لما فرضت الصلاة خمساً أمر بالتوجه لبيت المقدس قبل المحرة بثلاث سنوات، فكان في مكة عليه السلام يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس ويصلي، فلما هاجر إلى المدينة المنورة تعذر عليه استقبال الكعبة فصار يقلب وجهه في السماء كأنه ينتظر خيراً يأتيه من السماء.

أيها السادة:

إننا الآن في حضرة سيدنا رسول الله عليه السلام هاهو يصلي الظهر فما أن أتم ركعتين منها حتى نزل عليه الأمين جبريل بأمر إلهي عظيم: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ /البقرة: ١٢٩/.

وهنا يدور رسول الله عليه السلام وهو في الصلاة متوجهاً مستقبلاً الكعبة المشرفة، فيدور الصحابة كما دار رسول الله عليه السلام، فنسخ القرآن الكريم ما كان معمولاً به في السنة المطهرة فهذا (كما يقول) نسخ الشيء بمثل. وقد يكون نسخ الأثقل إلى الأخف في الحكم الشرعي. هنا يوجد لطيفة ينبغي على العقل فهمها، ما هي الحكمة من النسخ؟ الحكمة تربية الله لعباده بنسخ الأحكام الثقيلة إلى الأحكام الخفيفة، وسيلة من الوسائل التربوية الإلهية لإعداد المسلم، تعطينا صورة صادقة عن الجبل القرآني جبل الصحابة كيف رباحهم القرآن وتقلهم من حال إلى حال. نرى هذه التربية في الموقف التالي: حينما كان الصحابة يقاتلون أعداء الله فثبث الصحابي أمام عشرة من أعداء الله فيغلبهم اسمعوا الآية: ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ...﴾ كل واحد يقتل عشرة، ثم خفف الله تعالى على المؤمنين لعلمه بضعفهم، ونسخ الحكم الأول بآخر فقال: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مائتين﴾. تخفيف وتربية إلهيان.

موقف آخر:

كانت المرأة إذا مات زوجها تنتظر بلا زواج سنة كاملة. اسمعوا هذا الحكم فما زال موجوداً نقلوه في كتاب الله وتندرسه في الأحكام يقول عز من قائل: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيتهن لأزواجهن متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾، هذا الحكم الإلهي خففه الله عن عباده فأنزل نسخ الآية أو استبدلها بأخرى أحسن منها في الحكم فقال: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾، فهذه الآية ناسخة والأولى منسوخة، وكلاهما آية من القرآن، وقد تكون الأولى المنسوخة آية، والثانية الناسخة حديثاً (من السنة) مثلاً قوله تعالى: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾ أن بوصي الولد زيادة على نصيبه من التركة، ولكن رسول الله أوحى الله إليه أن يلغي هذا الحكم فقال عليه السلام: «لا وصية لوارث»، كل إنسان يرث من الميت لا بوصي له زيادة على التركة وإنما الوصية لغير الوارثين (ت ٢١٢١ ج٦)، ولهذا يستحق سيدنا محمد تحية عطرة.

أيها الأخوة:

ومن الآيات المنسوخة آية عظيمة تسمى آية الرجم لكنها منسوخة التلاوة فقط وحكمها باقٍ إلى يوم القيامة، آية كانت فيما يتلى من كتاب الله ثم نسخت تلاوتها من المصحف الشريف وبقيت في السنة المطهرة اسمعوها: «الشيخ والشيخة إذا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم» (الإنفا ٢٥ / ٢)، كانت آية تنعبد بتلاوتها فصار حكماً شرعياً يتقيد باتباعه ومن الأمور المنسوخة صوم يوم عاشوراء والأيام المعدودة (ثلاثة من كل شهر على قول ابن عباس) هكذا كان الصيام خفيفاً لكن مولانا نقل هذا الحكم إلى الأثقل منه ليتعبد عباده ويرى مدى طاعتهم لمولاهم ففرض صيام شهر رمضان كله. هذا كله بين القرآن والسنة. فهل

من نسخ في السنة، هل هناك نسخ بين الأحاديث النبوية؟ نعم قد تنسخ السنة في السنة ففي الحديث عنه عليه السلام أنه غي عن زيارة القبور ثم نسخ هذا النهي وقال: «كتب نهيكم عن زيارة القبور فزوروها» (ت ١٠٥ ج٤)، وكان هناك الأمر بالتوضؤ من أكل لحم الجوز (الجمل) ثم نسخ ولهذا يقول بعض الصحب الكرام كان آخر

الأمرين من فعله عليه السلام ترك الوضوء مما مسته النار.

أيها الأخوة الكرام:

ستبقى شريعتنا حقاقة عالية لا يقبل من أحد إيمان إلا بما، ستبقى شريعتنا أبد الدهر رغم أنف اليهود وغيرهم. رغم أنف الكافرين وغيرهم، وصدق رسول الله: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» (ت)، وفي رواية (هم بالشام). اللهم اجعلنا منهم ووفقنا لطاعتك، وأعوذ بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا. هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لا إله إلا الله

شرفه الصحابة

- ١٢٩ -

الحمد لله الذي قرب جنته من أحب، واختار نصيره من أحبائه السادة الأبرار، وطرد عن بابه كل شقي وجبار، وحرمه جزيل ثوابه، فالحكم لله الواحد القهار، أبدع الخلاق بقدرة، وقدر أرزاقهم وأجالحهم بحكمته، وفضل بعضهم على بعض في الشرف والنسب، فانتخب منهم الأنبياء والرسل والأخيار، واصطفى من الجميع خير الأنام سيدنا محمداً فهو خيار من خيار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أجددها في يوم تشخص فيه القلوب والأبصار، وتحيط به الأوزار، ويغضب الملك الجبار.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وقف ليعلمن على الأمم بعده قضيته أمانيه هامة فقال: «النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما يوعدون، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أنا، أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» (م/أحمد/٤/٢٢٩).

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، ورضي الله عن أصحابه أبي بكر الصديق رفيقه في الغار، ورضي الله عن عمر بن الخطاب الذي نزه الحق عما يقول الكفار، وحض اللهم عثمان بن عفان شهيد الدار، وأجعل أفضل رضاك وأتمه على سيد الأحرار ومهلك الكفار بالصارم البتار علي بن أبي طالب سيد الأسهار وابن عم نبيك المختار، وعلى الستة الباقيين من العشرة الكرام الأخيار وعن عمي نبيك المحمزة والعباس الذين يبركتهم هطل الغيث المدار، ورضي الله عن أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين اللذين كانا من أهل التقوى والاستغفار وعن سائر الصحابة والمجاهرين والأنصار ما تعاقبت الشهور والسنون بأدوار وعدد ما ناح طائر وترتم في الأسفار وسلم تسليماً.

شرف الله الأمة المحمدية بانتسابها إلى أشرف العرب والعجم، وكرمها بثقة مباركة حملت لواء الإسلام عالياً خفاقاً في سماء الجزيرة العربية هذه الثقة المباركة هي طبقة الصحب الكرام الذين رآهم القرآن الكريم وجعل تأسيس دولة الإسلام على أيديهم، فقاموا بنصرة الدين، والجهاد، والهجرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الأبناء والأبناء، وترك الأوطان، والمناصرة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، ولهذا يقول عنهم سيدنا عيسى (نقله الإمام مالك في البيان والتحصيل لابن رشد ٧/١٨) «أمة محمد حكماء علماء كأنهم من الفقه أنبياء». كل ذلك لأنهم اجتمعوا بالنبي الكريم وأمنوا به وتخرجوا على مدرسته، فأرسل الله لهم مدحاً في كتابه العزيز في أكثر من موضع من كتابه، فحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم حتى كان الواحد منهم يزن أمة بأكملها.

إننا مع شرف الصحبة في الحلقة التاسعة والعشرين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستله في حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة الفتح:

﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوارة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره...﴾

أيها الأخوة:

اختار الله تعالى لنبينا ومصطفاه الصحابة الأبرار وحين توفي رسول الله ﷺ كان من رآه وسمع منه زياداً على مئة ألف إنسان من رجل وامرأة كلهم قد

روه عنه سماعاً أو رواية يقولون: «إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين»، ولهذا أجمع أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تركية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم، والكف عن الطعن فيهم، والثناء عليهم (لابن حجر الهيتمي). وكيف يجوز الطعن في حملة ديننا أو فيمن لم يأتنا خبر من نبينا إلا بواسطتهم فمن طعن في الصحابة فقد طعن في نفس الدين، ومن فعل ذلك وجب تأديبه وعقوبته، لأن القرآن ونبي الإسلام رزقاهم وعلقوا على صدورهم الأوسمة أيد الدهر، لتبقى الأمة الإسلامية محترمة ومعظمة لهم، فنرى النبي الكريم يلقب سيدنا أبا بكر بالصديق، ولقب سيدنا عمر بالفاروق، ولقب سيدنا عثمان بالخي ذي النورين، ولقب سيدنا أبا عبيدة بأمين الأمة، ولقب الحسن بالسيد ولقب سيدنا خالد سيف الله، واليكم هذا الحديث الشريف

الجامع لبعض الأوسمة لعدد من الصحب الكرام يقولون ﷺ (ت): «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمر الله عمر، وأشدُّهم حياءً عثمان، وأفضاهم علي، وأعلمهم بالحلل والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقروهم أبي بن كعب، ولكل قوم أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح،

٨ الصحابة

وما أظلمت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدقه لهجة من أبي ذر (أشبه عيسى في ورعه)، قولوا رضي الله عنهم أجمعين. (اسمعوا إلى الوسام الأعظم الذي علقه رسول الله على صدر كل صحابي قال(ت): «ما من أحد يموت من أصحابي إلا بعته الله قائداً ونوراً لهم يوم القيامة».

معشر السادة الكرام:

هذه هي الطبقة التي جعلها الله مناراً للإسلام طبقة مدحها رب العزة والجلال في كتابه الخالد فقال: ﴿وَالزَّمِهِمْ كَلِمَةَ النُّفَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ ومدحهم فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكَلَّ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، فحيم واحترامهم فرض على كل مسلم كما أن حب واحترام أهل البيت النبوي فرض آخر. واحفظوا هذه العقيدة الحققة في هذه القضية التي وضعها أهل السنة والجماعة، عقيدة أهل السنة: حب القرابة واحترام الصحابة. فخلف من بعدهم خلف عظموا أهل البيت وزهدوا الصحابة، وأعلنوا العداء لهم وصاروا يسبونهم ويلقبونهم بألقاب لا تليق بمقامهم السامي فهؤلاء فساق الأمة. وحين ظهرت هذه الففة الفاسقة قامت طائفة سمو أنفسهم بالناصبة ناصبت آل البيت النبوي العداء، وقررت الصحابة فهؤلاء المفرطون هم أقرب إلى الكفر من الإيمان.

يروي لنا أبو عروة الزُّبَيْدِيُّ قال: كنت عند الإمام مالك فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله فقرأ الإمام: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾، حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿يُعِجِبُ الزَّوَاجُ لِيُعِظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾، فقال متى أصبح من الناس في قلبه عيظ على أحد من

أصحاب رسول الله، فقد أصابته هذه الآية (أي محكوم عليه بالكفر). لكن المذهب الشافعي والخنفي أن من سب عامة الصحابة فقد فسق لقوله ﷺ: «سُبَّابُ الْمُسْلِمِ فَسُوقٌ وَقَالَ كُفْرٌ...» أما من سب الشيخين والوزيرين والشريفيين الصديق والفاروق فقد نص الملكية والجمالية والإمام السبكي في الشافعية ومتأخرو الخنيفة أن من سبهما كفر، لأن سبهما ينتقص من رسول الله، ولهذا قال ابن عابدين الخنفي في حاشيته المشهورة (٢٣٦/٤): (من سب الشيخين أو

طعن فيهما كفر)، ولا تقبل توبته رعاية لجانب حضرة المصطفى ﷺ. وقد وردت الأحاديث النبوية الشريفة باحترام هذه الطبقة بالذات وإجلالها وتعظيمها

يقول ﷺ: «اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَخَذُوهُمْ غُرَضاً بَعْدِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ». ويقول

الإمام العلم النقي الورع أحد بن حنبل رحمه الله: (إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب النبي ﷺ بسوء فاقمه على الإسلام)، وقال أبو زرعة الرازي (إمام عصره ومن أجل شيوخ الإمام البخاري): (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق، ذلك أن الرسول حق والقرآن حق وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء الزنادقة)، يريدون أن يجرحوا شهوداً ليبتلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم الزنادقة [الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ٤٦-٤٧]، قال تعالى: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أَمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، فائت لهم الخيرية على سائر الأمم ولا شيء يعادل شهادة الله لهم بذلك. وإن من يقرأ كتاب الله تعالى يجد أن الله تعالى يكره سبهم، اسمع إلى مولانا عز وجل وهو يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ /الحشر: ١٠، فالآية تبين وتوضح أن الله يكره السب لهم (الذي هو ضد الاستغفار) والبغض (وهو ضد طهارة القلب)، وهذا تماماً معنى قول سيدتنا السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق (م): (أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد فسبواهم).

أيها الإخوة الكرام:

إننا في الصفحة الثانية من هذه القضية، وأرى الحبيب الأعظم يوجه لنا توجيهاً نبوياً عظيماً، فاسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك لأنقل لكم نبأ

حياً مباشراً على القنوات الإيمانية واليقينية، حديث القائد الأعلى للأمة الإسلامية سيدنا محمد ﷺ، فأرسلوا تحيتكم للحبيب الأعظم، اسمعوا وهو يقول: «اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَخَذُوهُمْ غُرَضاً مِنْ بَعْدِي فَمَنْ أَحْبَبَهُمْ فَبِحَبِي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبْغَضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ» /ت/.

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على عدم جواز الانتقاص من أحد من الصحابة الكرام بجمز أو لمر لأثم لا يضرهم على عمد المعاصي وإن لم يكن معصومين، يقول الإمام ابن تيمية غفر الله له: (من زعم أن الصحابة ارتكبوا بعد رسول الله إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عنهم فهذا لا ريب في كفره).

وكل ما حدث بينهم من الاختلاف فنحن مأمورون إذا خضنا فيه أن ننوِّله، مثل الذي حدث بين الخليفة الراشدي الرابع جدي سيدنا علي وبين الملك الصحابي معاوية ابن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية رضي الله عنهم فقد اختلفت الصحابة في شأنهما ثلاث فرق:

- فرقة اجتهدت فظهر لها أن الحق مع سيدنا علي فقاتلت معه.
- فرقة اجتهدت فظهر لها أن الحق مع معاوية فقاتلت معه.
- وفرقة توقفت.

وقد قال العلماء: المصيب منهم له أجران والمخطيء له أجر واحد. وقد شهد الله ورسوله لهم بالعدالة فلم يخرج واحد منهم عن العدالة بما وقع بينهم لأتعم مجتهدون.

أخوة الإيمان:

إنما قلت هذا لأننا لسنا مأمورين بالخوض في شجر بينهم لأنه ليس من العقائد الدينية ولا من القواعد الكلامية وليس مما ينتفع به في الدين. بل ربما ضر في اليقين، وقد سئل سيدنا عمر بن عبد العزيز عن هذا الخلاف وعن الحق فيه فقال: (تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نخضب بها ألسنتنا)، فالخلاف الذي حدث بينهم رضي الله عنهم لا يباح الخوض فيه إلا للرد على المنتهيين أو للتعليم كتدريس الكتب التي تشتمل على الآثار المتعلقة بذلك، وأما العوام فلا يجوز لهم الخوض فيه لشدة جهلهم وعدم معرفتهم بالتأويل، وربما جرهم ذلك إلى الحسد الحامل على الميل مع أحد الطرفين على وجه غير مرضي، ورحم الله من قال:

وأول التشاجر الذي ورد إن خضت فيه واجتنب داء الحسد

أيها السادة:

إننا في الصفحة الأخيرة في هذه المسألة الاعتقادية، فليس من الانتقاص لواحد منهم أن نفضل بعضهم على بعض، فالصحابة ليسوا في مرتبة واحدة عند أهل السنة فلا يخفى ترجيح مرتبة من لازمه صلى الله عليه وسلم وقتل معه وقتل تحت رايته على من لم يكن كذلك وإن كان شرف الصحة حاصلًا للجميع.

فما هي سلسلة الأفضلية بينهم؟ وكيف تكون الأفضلية؟ هذان هما مكنى القضية.

الأفضلية تكون بكثرة الثواب ورفع الدرجات.

وأما أفضل الصحابة عند الأشاعرة فأولادهم صلى الله عليه وسلم السبعة، فهم يأتون في المرتبة الأولى من الفضل ولهذا يقول الإمام مالك وشيخ الشافعية الشيخ زكريا الأنصاري: لا أفضل على بضعة رسول الله أحداً.

وأما الماتريدي فهم يجعلون الصديق أفضل الصحابة، وعلى التفضيل تقول: إن الإجماع منعقد على تفضيل الصديق الأكبر ولكن بالتفضيل الذي ذكرت، ثم يليه في الأفضلية سيدنا عمر الفاروق، فسيدنا عثمان بن عفان، فسيدنا علي بن أبي طالب، فبقية العشرة للبشرين بالجنة وهم طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة بن الجراح، ولم يرد نص بتفاوت بعضهم على بعض في الأفضلية.

وتخصيص هؤلاء العشرة بأتم مبشرون بالجنة مع أن المبشرين أكثر منهم فإن جدتي السيدة فاطمة وولديهما سيدنا الحسن والحسين عليهما السلام من المبشرين قطعاً. بل قال ابن حزم: الصحابة كلهم من أهل الجنة لأن الله تعالى قال عنهم: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ / النساء: ٩٥، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعْدُونُ﴾، وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِتَوْفِيقِنَا وَالْحَسَنَاتُ﴾ / آل عمران: ١٠١، فجميعهم من أهل الجنة بإحسان فرضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم، فسبب التخصيص أن هؤلاء العشرة جمعوا في

حديث واحد مشهور (ت-حب) يقول صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة»، ويمكن أن نقول بحق: من أحبهم جميعاً كان معهم في الجنة، لأن رسول الله يقول: «المرء مع من أحب»، فاللهم اشهد بأننا نحب نبيك وأهل بيته وصحابته والعشرة المبشرين بالجنة.

وهكذا أيها الأخوة:

عشنا مع هذه القضية والاعتقادية مع هذه الطبقة التي هي أعلى طبقات الخلائق بعد الرسل والنبيين ورؤساء الملائكة. من هي الطبقة التي تليها من هم هؤلاء الصحابة كيف نالوا هذا الفضل العظيم؟

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها إن شاء الله تعالى وأعود بكم إلى هنا، وما أدراكم ما هنا؟ هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

- ١٣٠ -

الحمد لله يتخص من يشاء برحمته، ويلبس من سبقت له منه الحسنى أثواب عنايته، ومفضل بعض الخلق بما منحهم به من طرائف نعمته ولطائف منته، ومصرف الأحكام في العبيد، فمرئ شقي وسعيد، ومقرب وطريد لا ينال عما يفعل ولا راد لمقتضى إرادته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد أنبيائه، وأولى أوليائه وصفي صفوته، وقف في حجة الوداع ليعلم على منبره الشريف فضل الصديق أبي بكر فقال: «أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤني قط فأعرفوا له ذلك».

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

أنت الذي قاد الجيوش محطماً عهد الضلال وأدب السفهاء

وسموت بالبشر الذين تعلموا سنن الشريعة فارتقوا سعداء

سعدت بطلعتك السموات العلا والأرض صارت حنة حضراء

صلى عليك الله يا علم الهدى

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:

إلى أي قضية اليوم نتوجه؟ وبين يدي أي المحاكم نخل اليوم؟ وإلى أي الشهود نستمع؟

هذه الأسئلة أجيب عنها بمشيئة الله مع الدرس الثلاثين بعد المئة من سلسلة القضايا الإمامية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

يقول عليه الصلاة والسلام: «ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل بعد النبيين أفضل من أبي بكر». الله الله من الذي أولى بهذه الشهادة، وفي أي ساحات المحاكم أولى بها، وأمام أي قاض أولى بها، (ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل بعد النبيين أفضل من أبي بكر)، الشاهد هنا هو سيدنا محمد

رسول الله ﷺ، والقاضي الذي أولى أمامه بتلك الشهادة هو علام الغيوب، والحكمة التي وقف الحبيب في ساحتها هي محكمة العدل الإلهية الكبرى. ولهذا وقف الحبيب الأعظم بيشير أمته ويقول: «إن سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب، قالوا: يا رسول الله: ألم تستزد ربك؟ قال: لقد استزدته، قالوا: فماذا أعطاك؟ قال الحبيب المصطفى: أعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً، قالوا: ألم تستزد ربك يا رسول الله؟ قال: لقد استزدته، قالوا: فماذا أعطاك؟ قال الحبيب سيدنا محمد: أعطاني ربي ثلاث دفعات بيده الكريمة ولا يعلم مقدار عطية الكريم إلا الكريم وحده».

أتدرون (أيها الإخوة) من الذي سيكون رئيساً على هؤلاء الذين سيدخلون الجنة بغير حساب؟ أتدرون من الذي سيكون رئيسهم وأولهم!!!

إنه سيدنا أبو بكر الصديق. سيدنا أبو بكر سيكون على رأس هذا الوفد الكريم العظيم، فأين عمر، أين الفاروق عمر، إذا كان أبو بكر رئيساً على الذين سيدخلون الجنة بغير حساب، فأين أنت يا عمر بن الخطاب، إن عمر بن الخطاب أول من يأخذ كتابه بيمينه يوم القيامة.

أفضلية سيدنا عمر

الله، الله، الله ياوزيري سيدنا محمد ﷺ، الله، الله يا رجال سيدنا محمد ﷺ، الله يا حريجي مدرسة سيدنا محمد ﷺ. أبو بكر أول من يدخل الجنة بغير حساب، ومع ذلك كان له تشييد يردده. أتدرون ماذا كان يقول الصديق لربه؟ كان يقول:

إلهي لست للفردوس أهلاً
ولا أقوى على نار الجحيم
فهب لي توبة واغفر ذنوبي
فإنك غافر الذنب العظيم

لا إله إلا الله، لا إله إلا الله يا أبا بكر، لست للفردوس أهلاً؟! إذاً فمن أهله!!!

إنه تواضع في غير ذل، إنه ترفع من غير كبر. يا سيدنا أبا بكر ماذا كنت تقول لربك يا صديق؟ إلهي لست للفردوس أهلاً... بارك الله لنا فيك يا صديق، يا ثاني اثنين إذ هما في الغار، إذا كنت لست للفردوس أهلاً فما بالنا، أو ماذا نقول لربنا، نقول: يا ربنا إن لم نكن أهلاً لبلوغ رحمتك أهل لأن تبلغنا فإنك قلت: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾، ونحن شيء فلتسعنا رحمتك.

إخوة الإيمان:

نحن اليوم مع صحابي جليل لم يثبت بدلالة القرآن لأحد من الصحابة له صحبته غيره، قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

نحن مع سيدنا عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمر ابن كعب ابن سعد بن تميم بن مرة. للملقب بالصديق والعتيق. أسلم أبوه يوم الفتح، وكانت أمه أم الخير سلمى بنت صخر قد أسلمت قديماً في دار الأرقم ابن أبي الأرقم. أما الصديق الأكبر فتقول أم سلمة (كما خرج ابن اسحق) إنه كان خدناً للنبي وصيفاً

له، فلما بعث ﷺ انطلق رجال من قريش إلى أبي بكر فقالوا: يا أبو بكر إن صاحبك هذا قد حن. قال أبو بكر وما شأنه؟ قالوا: هو ذاك يدعو إلى المسجد إلى توحيد إله واحد ويزعّم أنه نبي، فقال أبو بكر: وقال ذلك. قالوا: نعم هو ذاك في المسجد. يقول الراوي: فأقبل أبو بكر إلى النبي، فطرق عليه الباب فاستخرجه. فلما ظهر له قال له أبو بكر: يا أبا القاسم ما الذي بلغني عنك؟ قال وما بلغك عني يا أبا بكر؟ قال: بلغني أنك تدعوا لتوحيد الله وزعمت أنك رسول الله. فقال النبي: نعم يا أبا بكر. إن ربي عز وجل جعلني بشيراً ونذيراً وجعلني دعوة إبراهيم، وأرسلني إلى الناس جميعاً. قال له أبو بكر: والله ما جرت عليك كذبا وإنك لخليق بالرسالة لعظم أمانتك وصلتك لرحمك وحسن مقالك مد يدك فأنا أبايعك، فمد رسول الله يده فبايعه أبو بكر وصدقه، ولهذا

يقول ﷺ: «**ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت منه كوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر...**»، فهو أول من أسلم من الرجال، وأسلم بإسلامه ودعوته أكابر الصحابة سيدنا عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعثمان بن مظعون، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة فهؤلاء نفر الثمانية الذين سبقوا بالإسلام وصدقوا برسول الله (فقولوا رضي الله عنهم).

وهنا يأتي سؤال هام: ما الفرق بين أبي بكر وعمر؟ الفرق بينهما دقيق أدق من الشعرة، ذلك أن أبا بكر عرف سيدنا محمد النبي، وأما عمر فعرف سيدنا النبي محمد. سيدنا أبو بكر عرف سيدنا محمد قبل أن يكون سيدنا محمد نبياً، وآمن وصدق به، وسيدنا عمر عرف سيدنا محمد بعد ما صار سيدنا محمد نبياً، ولذلك كان لأبي بكر فضل السبق، ولو لم يكن للصديق الأكبر إلا يوماً وليلة لكفاه فخراً ومجداً. لو خرفنا النظر عن إنفاق ماله في سبيل الدعوة إلى دين الله، وأداه في سبيل ذلك، لو تركنا كل ذلك ونظر إلى يوم وليلة في حياته لكفاه عزاً ومجداً.

أما اليوم الذي أقصده فهو اليوم الذي وقف فيه يوم حروب الردة. بعد وفاة سيدنا رسول الله فقد وقف وحده بعد أن يبيع خليفة ليعلم قولته: (والذي بعث محمدًا بالحق لأقاتلنهم ما استمسك السيف في يدي) وقف الصديق وحده، ولكنها كانت غضبية بكربة مضرية تكاد تحتك حجاب الشمس، فقد منع بعض المنافقين الزكاة فوقف الصديق يقول: والله لو متعوني عقلاً (حبل بعير) كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلهم عليه.

وأما الليلة التي امتاز بها الصديق وحده من بين الصحب فهي الليلة التي قضاه مع رسول الله في الغار ليلة الهجرة، وهنا أكشف الستار وأميط اللثام

وأزيل الحجب عن فدائية أبي بكر الصديق مع الحبيب سيدنا محمد ﷺ، عندما وقف أمام الغار، قال أبو بكر للحبيب (وأبو بكر أول من يعرف قواعد الإتيكيت مع سيدنا رسول الله، لكنه عند الغار قال: أتأذن لي أن أدخل الغار قبلك يا رسول الله؟ ومن ذا الذي يتقدم على صاحب الخلق العظيم، من ذا الذي يتقدم عليك يا خير خلق الله؟ لكن أبا بكر الصديق لم يكن متقدماً ليتقدم إنفاكاً متقدماً ليضحى، لم يكن تقدم الصديق هنا من أن يتقدم، فحاشا لله أن

يتقدم أحد على رسول الله، وحاشا لله أن يخطو أحد خطوة قبل رسول الله ﷺ، أما سيدنا أبو بكر فقد دخل الغار أولاً ليستري الغار، فربما يكون في جحر من جحوره حية أو عقرب تؤذي الحبيب، فليكن أبو بكر ذلك الاستطلاعي الذي يستري الغار قبل أن يدخله حبيب الواحد القهار. ودخل الصديق الأكبر وراح يسد الجحور بثوب كان معه حتى بقي جحر كبير لم يجد له خرقة، هنا تتحلى الفدائية البكرية. إذا بالصديق يسد ذلك الجحر بقدمه حتى لا يخرج منه شيء يؤذي رسول الله. (الله أكبر).

أيها الإخوة الكرام:

ويدخل الحبيب الأعظم الغار، وأبو بكر واضح قدمه على الجحر، وتمر الساعات ورسول الله واضح رأسه على رجل أبي بكر، ونام رسول الله. نام رسول الله بعد أن قضى ليلته في بيته ساهراً، ولكن الأنبياء إذا نامت عيونهم لا تنام قلوبهم دائماً يقطعة مع الله تعالى، إن جهاز اللاسلكي الذي جهز الله به الأنبياء لا يغفل لحظة عن ذكر الملك. وانتبهوا إلى هذا الموقف العظيم: بنام رسول الله واضعاً رأسه على رجل أبي بكر، وتخرج من الجحر عقيب أو حية فتلدغ أبا بكر، وأبو بكر يتملل، ولكنه لا يتحرك خوفاً من أن يوقظ رسول الله من نومه.

ما هذا؟ ما هذه الفداية البكرية، ما هذه العظيمة البشرية، ما هذا العلو في الهمة، ما هذا الرقي في العزّة، ما هذه التضحية في الله، ما هذا الإقدام فداء لرسول الله، حية تلدغ، وتلدغ في القدم الذي وضعه على الجحر، ومع ذلك يخشى أن يحرك رجله خشية أن يوقظ الحبيب من نومه. لكن دمة ساخنة فزت من عين أبي بكر، فزت دونما إرادته فسقطت على الجبين الشريف، على جبين المصطفى، دمة عين تسلفت من حراسة نفس أبي بكر فسقطت على جبين سيدنا

محمد ﷺ، فاستيقظ النبي من نومه وقال: خيراً يا أبا بكر، فقال: يا رسول الله لدغني عقرب أو حية، فإذا رحل الصديق منتفحة، وإذا بالطبيب (صلوا على الحبيب) يمس من ريقه ويمسح مكان اللدغة بريقه الشريف فيشفي الله أبا بكر على جناح السرعة / ابن السمان في كتاب الموافقة: ١/١٨، هذه هي الليلة المشرفة المعرّة التي ذكرها رب العزة في كتابه آخر سورة التوبة، ولكنني وقبل أن أغادر مكاني هذا أرى لزماً عليّ أن ألتقط لكم هذا المشهد الفريد من أمام باب حجرة

المصطفى ﷺ، فإني أرى سيدنا الصديق وحيداً قد أتيا لزيارة النبي فلتقيا على الباب، قال سيدنا أبو بكر: تقدم يا علي، قال سيدنا علي: وكيف أتقدم عليك يا أبا بكر وقد قال فيك رسول الله: «ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل بعد النبيين أفضل من أبي بكر»، قال سيدنا أبو بكر: كيف أتقدم عليك يا علي وقد قال فيك رسول الله: «زوجت خير النساء لخير الرجال زوجت فاطمة لعلي»، فقال سيدنا علي: وكيف أتقدم عليك يا أبا بكر وقد قال فيك رسول الله: «لو وزن إيمان الأمة بإيمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر»، قال سيدنا أبو بكر: وكيف أتقدم عليك يا علي وقد قال فيك النبي: «يحشر علي بن أبي طالب مع فاطمة والحسن والحسين وراكبين يوم القيامة فيشير الناس إلى علي في الموقف ويقولون: من هذا النبي؟ فيقال ما هو بني وإنما هو علي بن أبي طالب»، قال سيدنا علي وكيف أتقدم عليك يا أبا بكر وقد قال فيك رسول الله: «لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً»، قال سيدنا أبو بكر: وكيف أتقدم عليك يا علي وقد قال فيك رسول الله: «آتي يوم القيامة مع علي فيقول الله لي: يا حبيبي لقد اخترت لك إبراهيم خير والد، واخترت لك علياً خير أخ وصديق»، فقال سيدنا علي: وكيف أتقدم عليك يا أبا بكر وقد قال فيك مولانا: «الذي جاء بالصدق (أي سيدنا محمد) وصدق به (أي أبو بكر) أولئك هم المقنون»، فقال سيدنا أبو بكر: وكيف أتقدم عليك يا علي وقد قال فيك الله تعالى: «ومن الناس من

يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد»، وبينما هما يتحاذيان أطراف الحديث إذا بالأمين جبريل يهبط على الأمين سيدنا محمد ﷺ: (يا رسول الله إن أبا بكر وعلياً واقفاً ببابك فقم إليهما)، فقام رسول الله إليهما أبو بكر عن يمينه وعلي عن يساره ودخل بهما بيته وقال لهما: هكذا نحشر يوم القيامة.

أيها السادة:

هكذا تكون الصحة، وبهذا الشكل تكون المحبة الصادقة وقد بقي عليها الصديق طيلة خلافته الستين والثلاثة أشهر حتى دنى أجله فاستخلف سيدنا عمر الفاروق ثم انتقل عن عمر ٦٣ سنة وهو السن الذي عاشه رسول الله، وتوفي يوم الإثنين في اليوم نفسه الذي توفي فيه رسول الله، وأصبح ثاني اثنين في الحجرة النبوية الشريفة رغم أنف الحاسدين والمنافقين، عاش محباً ومات محباً ودفن بجوار الحبيب، فمن هو بعده في الأفضلية؟

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا؟ هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لا إله إلا الله

* * *

مرفضالية سيدنا عمر

- ١٣١ -

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعّال لما يريد، ذي العرش المجيد والبطش الشديد، الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد، والمسلّك السديد، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم من ظلمات التشكيك والتزديد، السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقفاء آثار صحبه الأكرمين، لا سيما الصديق والفاروق المكرمين بالتأييد والتسديد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ينادي منا إذ يوم القيامة: أين الفاروق عمر؟ فيؤتى به، فيقول الله تعالى: (مرحباً أبا حفص هذا كتابك فإن شئت فأقره وإن شئت فلا فقد غفرت لك) / الفضائل.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله قال: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب» / أحمد-ت/، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحابه أجمعين.

أما بعد:

فنحن اليوم مع من؟ نحن عند من؟ عظماء المسلمين؟

نحن اليوم مع رجل من المهاجرين ممن صلى إلى القبلتين، وشهد بدرًا والمدينة، وبيعة الرضوان، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، ولما أسلم أعز الله به الإسلام، وهاجر علاقته، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ وبشّره بالجنة وأخبره أن الله جعل الحق على لسانه وقلبه، وأن رضاه وغضبه عدلٌ، وأن الشيطان يفرُّ منه، وأن الله أعزّه به الدين، واستبشر أهل السماء بإسلامه، وسمّاه عبقرياً ومحدثاً وبشّره أهل الجنة، ودعاه صاحب رحا داره العرب، وأنه يعيش حميداً ويموت شهيداً، وأنه رجل لا يجب الباطل.

إننا مع علقا عظيم كان أول من كتب التاريخ للمسلمين من الهجرة، وأول من حضّ على جمع القرآن، وأول من جمع الناس على قيام رمضان، وأول من عسّ (حرس منفقداً رعبته) في عمله وحمل الدّرة (العصا) وأدّب بها، ووضع الخراج ومصر الأمصار، واستقضى القضاة، ودوّن الدواوين، وفرض الأعطية، وحقّق بأزواج النبي في آخر حجة حجها (وعدها عشر)، وأول من لقب بأمر المؤمنين.

نحن اليوم على موعد مع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مع الحلقة الواحدة والثلاثين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

إخوة الإيمان:

وقبل أن أُلجّ مقام غيبة الدرس اسمحو لي أن أنقل بحضراتكم إلى أقدس مكان، إلى حيث المسجد الحرام، لأنقل لحضراتكم هذا المشهد الإيماني، وأرى إمام المرسلين وسيد الأولين والآخرين قائماً يصلي وخلفه سيدنا عمر وهو لم يسلم بعد، هاهو يسمع رسول الله يتلو من سورة الحاقة، (يقول سيدنا عمر: فعجبت من تأليف القرآن فقلت: هذا والله شاعرٌ كما قالت قريش، قال فقرأ رسول الله: ﴿إِنَّه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾، قال فقلت: كاهن، فقرأ رسول الله: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تُذَكِّرُونَ تَنْزِيلٍ﴾ من رب العالمين، ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾، قال سيدنا عمر: فوقع في قلبي الإسلام كل

موقع) الإمام أحمد، ثم تناهى إلى سمعه أن أخته وخخته (مهرة) قد دخلتا في الإسلام فمشى حتى أتاهما وأغضبهما، ثم طلب شيئاً من القرآن عندهما، فقرأ قوله تعالى من سورة طه: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، فقال عمر: دلوني على محمد، فلما سمع حياجه، أخذ به وقال:

أبشر يا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ (متميماً دعا): «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب، أو بعمر بن هشام»، فأتى عمر دار الأرقم بن

أبي الأرقم عند الصفا، فضرب الباب، قال: وسيدنا حمزة في أصحابه جلوس في الدار مع رسول الله ﷺ، فنظر القوم وتحامسوا: عمر، عمر. فإذا يرسل

الله ﷻ يقوم فيفتح الباب ويأخذ بمجامع ثياب عمر ثم نزه نزهة وقع فيها عمر على ركبتيه وقال: (ما أنت بمنته يا عمر؟!)، فقال سيدنا عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك محمد عبده ورسوله.

فقال الراوي: فكبر أهل الدار تكبيرة سمعت في أطراف المسجد. وهنا قال سيدنا عمر: (يا رسول الله أسألك على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم، قال: فقيم الاختفاء والذي بعثك بالحق لنخرجن، فخرج رسول الله ﷺ بين صفين حمزة في أولهما وعمر في الآخر حتى دخلوا المسجد فنظرت إليهم قريش فأصابتهم كآبة لم يصيبهم مثلها. وهنا نال سيدنا عمر لقب الفاروق ففرق الله به بين الحق والباطل /صفة الصفوة/.

أيها المؤمنون:

بقي هذا اللقب ملازماً سيدنا عمر طيلة حياته حتى في يوم هجرته إلى المدينة، إذ كان الناس يهاجرون مختلفين، أما سيدنا عمر فإنه لما هاجر تقلد سيفه وتكب قوسه واتسقى في يده سهماً، ومضى قتل الكعبة والدلاً من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبياً ثم أتى المقام فضلى ثم وقف على الحلق واحدة واحدة وقال لهم: شأنت الوجوه لا يرغم الله إلا هذه المعاطس (الأنوف) من أراد أن تتكلم أمه أو يتيم ولده أو يرمل زوجته فليقلن وراء هذا الوادي، قال سيدنا علي فما أتبعه أحد /ابن السمان في المواقفات والفضائل/.

ومن الفضائل التي امتاز بها هذا الصحابي الجليل قول سيدنا رسول الله ﷺ /أحمد-طب-أبو يعلى/: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»، ولهذا فإن عشرين موضعاً من القرآن نزل موافقاً لرأيه. يقول سيدنا عمر /م/: وافقت ربي في ثلاث: مقام إبراهيم (أن يتخذ مصلى فنزل قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مِصْلَى﴾)، وفي الحجاب (أن يحتجب نساءه ﷺ وألا يراهن أحد فنزلت: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾)، وفي أسارى بدر (عندما رأى أن تضرب أعناق الأسرى).

معشر الإخوة:

وحين تولى الصديق كان سيدنا عمر وزيره ومستشاره وأمينه وصاحبه، ولهذا استخلفه من بعده. فلما ولى سيدنا عمر بقي على حاله قبل الولاية في لباسه وزنه وأفعاله وتواضعه يسير مفرداً في حضرته وسفره من غير حرس ولا حجاب، لم يغيره الأمر ولم تبطره النعمة، ولا استطال على مؤمن بلسانه ولا حاشى أحداً في الحق لمنزلته، لا يقطع الشريف في حيفه، ولا ييأس الضعيف في عدله، ولا يخاف في الله لومة لائم، وكان كما قال بعضهم: كانت درة عمر أهدب من سيف الحجاج. وكان أول مرة جلس فيها على المنبر جلس في المكان الذي كان يضع سيدنا أبو بكر قدميه عليه وهو أول درجة، ووضع قدميه على الأرض فقالوا: لو جلست حيث كان أبو بكر يجلس! قال: حسبي أن يكون مجلسي حيث كانت تكون قدما أبي بكر.

أيها الإخوة:

ما أن تولى الفاروق حتى دبت الهيبة في الإمبراطورية الإسلامية حتى ترك الناس المجالس بالأقنية، فنادى مناد في المدينة المنورة: الصلاة جامعة، فحضر الناس، فحمد الله تعالى ثم قال: (بلغني أن الناس هابوا شدي وخافوا غلظتي، وقالوا قد كان عمر يشدد علينا ورسول الله ﷺ أشد علينا وأبو بكر والينا دونه، فكيف إذا صارت الأمور إليه) ومن قال ذلك فقد صدق... واعلموا أن هذه الشدة قد أضعفت ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسكين، فأما أهل السلامة والدين والفضل فإن أئنا لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحداً يظلم أحداً ويتعدي عليه حتى أضع حده على الأرض وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن بالحق، ولكم علي أيها الناس خصال أذكركم لكم فخلوني بما: لكم علي أن لا أخبأ شيئاً من خراجكم مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم علي إذا وقع عندي أن لا يخرج إلا بحقه، ولكم علي أن أرد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى، ولكم علي أن لا ألتقيكم في المهالك، وإذا رغبتم في البعوث (في الجهاد) فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم).

أيها السادة:

نقذ الفاروق خطاب الخلافة حقيقياً، لم يقصّر في حرف واحد قط وكان بركة على أهل عصره، ولقد أعز الله به الإسلام شرقاً وغرباً وكان أعداء الإسلام يخافون من ذكر اسمه أمامهم، وأجبه القاضي والداني، فعن أنس بن مالك قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر فجهأ إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسقي لأمتك فأفهم قد هلكوا، قال: فأتاه رسول الله في المنام وقال: إئت عمر فمره أن يستسقي للناس فأفهم سيسقون. يقول الراوي: فأتى الرجل إلى عمر فأخبره، فأمر الناس فخرجوا إلى الاستسقاء، ففصلى بهم ركعتين وخالف بين طرف رداءه. وما هو إلا أن قال: اللهم إنا نستغفرك ونستغفرك ودعنا حتى مطروا بإذن الله تعالى، فبينما هم كذلك إذ قدم الأعراب فأتوا عمر فقالوا: يا أمير المؤمنين بينما نحن في بوادينا في يوم كذا (يوم استسقاء عمر) إذ طلعتنا غمامة فسمعنا منها صوتاً يقول: أتاك الغوث أبا حفص، أتاك الغوث أبا حفص.

أيها السادة:

وكان مما مرَّ الله به على الفاروق أن بلغت الدولة في عهده مبلغاً عظيماً ففتح الله على يديه في سني خلافته دمشق ثمَّ القادسية حتى انتهى الفتح إلى حصص وطرابلس وبيت المقدس والبرموك وجلولاء والرقّة والعراق وفارس ومصر والنهوند والري وما وراء النهر حتى بلغ عدد ما فتح في عهدنا اليوم سبع عشرة جمهورية، وكانت هذه الجمهوريات تتألف من ولايات أو إمارات ويسمى أميرها بالعامِل، عامل أمير المؤمنين، وكان سيدنا عمر الفاروق يختار بلاده من أنقى الناس وأبزهم، كان هو يختارهم (دون أن يرشحوا أنفسهم) وكان بذلك ينفذ أمر رسول الله حينما قال: «إنا لا نولي هذا الأمر أحداً يسأله، أو يحرص عليه»، وكان إذا وجهه إلى ولايتهم يكتب كتاباً ويرسله إلى الولاية قائلاً لهم: (ألا إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أجسامكم ولا يأخذوا أموالكم، ولكني أرسلهم ليعلموكم دينكم، فمن فعل به سوى ذلك فاليرفعه إليّ، فالذي نفسي بيده لأقصّته) (الأجزيّ الوالي بمثل عمله)، ثمَّ يأمر ولاته وعماله ويقول: ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تمنعوا حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياط فتضيعوهم.

هكذا كان أمير المؤمنين عمر يوجه ولاته للاعتناء بالرعية، وكان يقدم مصلحة الرعية على مصلحة الولاة، وكان لا يبغي الولاة كثيراً ولا يهتم إلا ما ندر، وبأمرهم ألا يتحروا بأي تجارة، فإذا جاؤوا بمال كثير وكثرت ثروتهم وادّعوا أنما من التجارة أمر بمصادرة نصفها لبيت مال المسلمين حتى لا يستغلوا مناصبهم في جمع الثروات، كما أنه كان إذا استعمل عامداً كتب له واشترط عليه أن لا يركب برذوناً (سيارة آخر موديل) ولا يأكل نقياً ولا يلبس رقيقاً ولا يغلق بابه دون ذوي الحاجات، فإن فعل حلّت عليه العقوبة.

هكذا كان سيدنا عمر يعبد النواهي للوالي الذي يعينه، وفعله هذا إنما هو ليعيش في مستوى الشعب الفقير، وليبقى الوالي خادماً للناس لا سيداً لهم. هذه هي عظمة عمر، إن سيدنا عمر لا يريد لولائه أن يفتنوا أو يتفوا أو يتألموا باسم الحكم أي امتياز على أفراد الشعب. هذه هي عظمة الفاروق التي قال عنها سيدنا رسول الله ﷺ: «لم أرَ عبقرياً يفري فريته». هذا ليس بأسطورة، إن سيدنا عمر بحمد الله لم يكن أسطورة، بل كان حقيقة واقعة ملأت الزمان والمكان، أتدرون لماذا؟ لأنه احتذى النبوة قدوة. إن سيدنا عمر أتعب كل حكام التاريخ، إنه لم يكن إلهاً ولا ملكاً ولا رسلاً يوحى إليه، إنما كان فرداً من الناس بلغ الذروة في العدالة والرحمة والعظمة. إن سيدنا عمر الحاكم حجة الله على كل حاكم، فإذا قال حاكم ما ساعة حسابه يوم القيامة: يا رب عجزت، فإن رب العزة سيقول له: لكن عمر لم يعجز.

لنتذكر الأمة إن سيدنا عمر حاكم أكبر إمبراطورية إسلامية عاش فقيراً ومات فقيراً، عاش حميداً ومات شهيداً، فمن أراد أن يلحق به هناك فليترسّ عنه هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله

مرفضية سيدنا عثمان

١٣٢

الحمد لله الذي جعل النظر في أخبار من عبر من أعظم العبر. حمداً يوازي نعمه ويدفع نقمه ويكافئ مزيده من شكر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي من نار جهنم. قائلها من أهل البدو والحضر.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صفوة الصفوة من البشر القائل:

«ليس من نبي إلا ومعه من أصحابه رفيق في الجنة وإن عثمان رفيقي في الجنة» (أحمد-ت مختصراً).

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فموعدنا اليوم من إتمام سلسلة الأفضلية في العقيدة. هذه العقيدة التي تعلمنا منها:

وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا فملا عن الشقاق

وبعدهم ملائكة ذي الفضل

والأنبياء يلونه في الفضل

وصحبه خير القرون فاستمع فتابعي لمن تبع

وتخبرهم من وحي الخلافة وأمرهم في الفضل كاخلافة

إننا ما زلنا في سلسلة الخيرية للخلفاء الراشدين. مع رجل حمل المسؤولية في عزم مجيد ومدد رشيد، وحين لم يجد ما يحمي به مسؤولياته سوى حياته جاد بما في سماح منقطع النظر.

أفضلية سيدنا علي

نحن اليوم في صدد الحديث عن رجل من الرعيّل الأول رجل الله تعالى أن يكون من أشرف الأمة وسادتها. رجل اختاره الله واصطفاه من بين سادات الصحابة ليكون خليفة سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ. إنه سيدنا عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. أحد زعماء قريش ورجالها، حدثنا عن نفسه فقال: (ما زينت ولا سرقت في جاهلية ولا في إسلام). جمع ماله وتجارته من الحلال والطيب بلا نصب ولا خداع. لأنه كان طاهر القلب نقي السيرة، هذه الطهارة الظاهرة والباطنة أهله ليكون له شرف دخول الإسلام وهداية الله تعالى. إننا مع الدرس الثاني والثلاثين بعد المئة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

إخوة الإيمان:

علينا أن نعلم حقيقة هامة أن إسلام سيدنا عثمان كان في صحيفة الصديق أبي بكر رضي الله عنهما. وما أن أسلم حتى بدأت المخاطر تحتاج حياته عن طريق عمه الحكم بن أبي العاص، فأكرمهم رسول الله ﷺ أن زوجه ابنته رقية، ودخل رسول الله ﷺ على ابنته يزورها فسألها كيف تجددين أبا عبد الله؟ فقالت خير الرجال. قال ﷺ: «أكرميه فإنه من أشبه أصحابي بي خلقاً».

لكن وطأة العذاب تشدت على المسلمين فأمر رسول الله ﷺ سيدنا عثمان وابنته رقية مع بعض المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، فكان الوسام الثاني الذي ناله سيدنا عثمان وسام الهجرة، وقد كتب على هذا الوسام كلمات قالهن سيد الأنبياء والرسل الكرام قال عن سيدنا عثمان: إنه أول المهاجرين إلى الله بعد نبي الله ﷺ لوط عليه السلام. بل نال وسام المحترمين إذ هيأ الله له بعد ذلك الهجرة إلى المدينة المنورة.

أيها الإخوة:

لم يدع سيدنا عثمان شيئاً مما يرضي الله ورسوله إلا فعله، وكان ينفذ رغبات سيدنا النبي في حبور وغبطة ورضا. اشترى بئر رومة ليستقي منها المسلمون لما رأى رسول الله ﷺ يرغب في تسهيلها للمسلمين، واشترى أرضاً بجوار المسجد لضمها إلى المسجد حين سمع رسول الله ﷺ يقول: «من يوسع لنا هذا البيت في المسجد بيت له في الجنة». وكان المسجد النبوي على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر مبنياً باللين وسقفه بالخريد وعمده خشب النخل، فزاد فيه سيدنا عثمان زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والفضة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج /خ/، كانت هذه الإنفاقات العظيمة تؤهل هذا الصحابي لئيل وسام التكريم، ولكن وساماً أعظم ناله سيدنا عثمان هو أعظم من هذه الأوسمة كلها، ولهذا سمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى المدينة المنورة لأنقل لكم هذا الحدث الهام:

الزمان: هو العام التاسع من الهجرة.

والمكان: هو مجلس ضم كبار رجالات الإسلام.

وأما الحدث: فهو قلق عظيم الروم على بلاده خوفاً من هذا الدين الجديد وقراره أن يغزو هذه الأمة في بلادها وديارها، ووصلت أنباء هذا الزحف

المرتقب إلى القائد الأعلى للقوات الإسلامية سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ وكان الصيف حاراً يصهر الجبال، والبلاد تعاني من جذب وعسرة ويحتاج الجيش الإسلامي لعبور الصحراء إلى أطراف بلاد الشام إلى نفقة باهظة.

وراح السيد الأعظم يحض أصحابه على التبرع لتجهيز هذا الجيش الذي سيرأسه والذي أطلق عليه جيش العسرة، وأسرع أهل اليسار والأحوال والمقتدرون بخدومهم الإيمان ليقدموا للمسلمين الفقراء الذين قدموا للجهاد في سبيل الله، وبلغ الجيش المسلم ثلاثين ألفاً أو يزيد.

ونظر الحبيب الأعظم إليهم ونادى في الناس: «من يجهز هؤلاء...؟ ويغفر الله تعالى له».

سرت هذه الكلمات بين الصحابة الكرام فنذت إلى قلوبهم وراحت تضرب على أوتار الإيمان العظيم الذي كانوا يحملونه بين جوانحهم، فسارع الصحابة كل منهم يتفق حسب سعة ومقدرته، وقُدِّمت النساء حليها لله ورسوله وابتغاء مغفرة الله ورضوانه.

أما سيدنا عثمان، فلهه درك يا ذا النورين. إن سيدنا عثمان لما سمع النبي الكريم أسرع فأتى بعشرة آلاف دينار صهبا بين يدي سيدنا محمد ﷺ (عشرة آلاف ليرة ذهبية) ويحضر رسول الله ﷺ أصحابه على النفقة فيقول سيدنا عبد الرحمن بن عوف: (شهدت رسول الله ﷺ وقد جاءه عثمان بن عفان في

جيش العسرة بسيعة أوقية من الذهب). ويحضر رسول الله أصحابه على النفقة، فيقول ابن شهاب الزهري قدّم عثمان لجيش العسرة في غزوة تبوك تسعة وأربعين بعيراً وستين فرساً أتم بها الألف).

وهنا جعل رسول الله ﷺ وقد رفع يديه إلى السماء وهو يدعو: «غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كان إلى يوم القيامة»، وراح يعلن للصعب الكرام ويقول: «ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم»، وحين كان الليل وقف رسول الله، أتدرون لماذا وقف؟ تعالوا نسأل سيدنا أبا سعيد الحديري فإنه كان يرمقه في المسجد اسمعه يقول: رمت رسول الله ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر يدعو لعثمان بن عفان وهو يقول: «اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه، عثمان رضيت عنه فارض عنه...»، فما زال رافعاً يديه حتى طلع الفجر. ونزلت الآية القرآنية تمدح سيدنا عثمان والمنفقين للغزوة: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْأً وَلَا أَذًى﴾.

هذا هو الوسام الأعظم الذي ناله سيدنا عثمان وسام الرضا. لكن زوجة عثمان السيدة رقية بنت رسول الله تنتقل إلى جوار ربها، فحزن سيدنا عثمان فلقه النبي ﷺ عند باب المسجد فقال: «ياعثمان هذا جبريل أخبرني أن الله قد أمرني أن أزوجه أم كلثوم بمثل صداق رقية» (هـ)، وفي رواية (الفضائي): «والذي نفسي بيده لو أن عندي مئة بنت تموت واحدة بعد واحدة زوجتك أخرى حتى لا يبقى من المنة شيء». فنال سيدنا عثمان لقب ذي النورين.

معشر السادة:

وكان هذا الصحابي الجليل كثير الفضائل وعظيم المناقب حتى إنه كان يصوم الدهر، وبقي الليل بركة يقرأ فيها القرآن كله، وكان يعتق كل جمعة عتقاً لوجه الله ولم يمس فرجه يمينه منذ بايع رسول الله على الإسلام، وإنه ليكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع الثوب عنه وهو يغتسل بمنعه من ذلك الحياء من الله تعالى. ولأجل ذلك نال وسام الحياء الإسلامي فقال رسول الله ﷺ: «أصدق أمتي حياءً عثمان»، وكان رسول الله ﷺ يستحي منه فلما قيل له في ذلك قال: «ألا أستحي من رجل والله إن الملائكة تستحي منه»، ولهذا جعله رسول الله كاتب وحيه وأمين سره، وقال له: «إن الله عز وجل مقمص قبصاً مستحض خلاقه) فإذا أراؤك المنافقون على أن تخلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة» /أحمد-حسن/.

أيها الأخوة:

وحيث آلت الخلافة إلى سيدنا عثمان سنة أربع وعشرين بعد وفاة صاحبيه الصديق والفاروق بقي على أخلاقه العالية وإنفاقه وكرمه وحيائه، وقام بعمل عظيم لم يسبق إليه وهو كتابة القرآن الكريم أي نسخه في عدة نسخ، وإليك هذا الحدث كما سطره الإمام البخاري في صحيحه. فعن سيدنا أنس أن حذيفة قدم على عثمان وكان يغاري أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة أن ترسل إليه بالمصحف الذي جمعه الصديق أبو بكر ثم بقي عند عمر خلافة، فبعثت إليه به، ثم أمر سيدنا زيد بن ثابت مع ثلاثة من قريش أن ينسخوه في المصاحف، فلما فعلوا أرسل إلى كل أفق بمصحف بما نسخوا، وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أن يحرق، وفتح الله في أيام خلافته الإسكندرية وساحل فلسطين وشمال إفريقية وسواحل الروم وقبرص وما وراء النهرين، وحج بالمسلمين عشر حجج متواليات، ولقد كثر المال في زمنه وفاض حتى بيعت الجارية بوزنها وبيع الفرس بمئة ألف درهم، وكانت ولايته وخلافته اثني عشر سنة حتى استشهد بخديعة من أعوان ابن سبأ لعنه الله.

أيها الإخوة:

استمحو لي أن أنقل لكم هذا الحدث الأخير في الصفحة الأخيرة من فضائل هذا الصحابي الجليل فإنه في اليوم الأخير له أعقق عشرين مملوكاً وقال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقت حاصرة المنافقين ومنعوه من الخروج إلى المسجد، رآه فقال له: **حضورك يا عثمان؟** قلت نعم، فقال: **عطشوك؟** قلت نعم، قال: فأدلى لي دلواً من ماء فشربت حتى رويت فإني لأجد برداً بين كتفي وبين ثديي، قال: **إن شئت نصرت عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا،** فقال: بل أفطر عندكم يا رسول الله.

وهكذا معشر السادة أفطر هذا الصحابي هناك في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى.

لا إله إلا الله

* * *

مفضلية سيدنا علي

- ١٣٣ -

الحمد لله الموصوف بصفات الكمال، المنزه في جلاله عن الشبيه والمثال. فسبحانه من إله نطقت بوجدانيته عجائب مخلوقاته وشهدت بقدرته على تنفيذ مراده بدائع مصنوعاته. أحمده سبحانه وتعالى على ما خصنا به من نعمه وآلائه، وأشكره وأستجير به من أليم عقابه وبلائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إله شرفنا بكلمة التوحيد وأزال عن قلوبنا ظلمات الشك والترديد.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وحبيبه وخليفه. نبي أرشد أمته إلى الإيمان وحذرها من مخالفة الملك الديان، ووقف يعدد مناقب أصحابه الخلفاء الكرام فقال: «رحم الله أبا بكر زوجي ابنه وحملني إلى دار الهجرة وأعقب بلالاً من ماله، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مراً تركه الحق وماله صديق. رحم الله عثمان تستحيه الملائكة. رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار» /ت/، وبين أن حرمة سيدنا علي من حرمة فقال له: «أنت مني وأنا منك». ونادى في الناس: «لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن».

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فنحن اليوم مع رجل تنفجر حياته عظمةً وجلالاً ولكنها تنوج بالأسى والهول موجاً، نحن اليوم مع رجل التقى في حياته النصر والهزيمة والبأساء والضراء،

حتى لقب أبا تراب. إننا مع فتي بني هاشم وبطلها المقدام. مع فتي ربه سيدنا محمد ﷺ.

إننا في رحاب الخليفة الراشدي الرابع سيدي وحدي أبي الحسن علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب شعبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف

القرشي الهاشمي، وأمه السيدة فاطمة بنت أسد المرأة الصالحة التي ربت في حجرها سيدنا محمد ﷺ، والتي كان يقول عنها الحبيب الأعظم: «أمي بعد أمي». وقد أسلمت وحسن إسلامها. ولما ماتت نزل الحبيب الأعظم في قبرها وقال: «إن الله تعالى وقاها فتنة القبر». وأما والده فهو سيد قريش أبو طالب وصاحب

الخل والعقد فيها، وقد استخدم زعامته في نصرة نبينا ﷺ، وحمايته من ضلالات قريش، وقد ربي الحبيب الأعظم وتولى رعايته بعد جدي عبد المطلب شعبة الحمد.

إننا مع الرابع في سلسلة الأفضلية ومع الحلقة الثالثة والثلاثين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعو المؤمنين جميعاً ليرفعوا شعار التوحيد.

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

إخوة الإيمان:

قبل أن أستعرض على حضراتكم أفضلية هذا الكوكب اللامع في سماء الإسلام، اسمحوا لي أن أنقل لكم أولى صفحات الحمد التي نالها هذا الصحابي الجليل، وأنقل بكم إلى هناك، إلى مكة المكرمة، إلى بيت الحمد والرفعة، إلى بيت الشرف والنبوة إلى بيت أعلى شخصيتين في سماء الإسلام إلى بيت سيدنا

ومولانا محمد ﷺ. وأرى بعين الإيمان واليقين سيد الخلق وحبيب الحق، وإلى جواره السيدة الأولى في الإسلام السيدة خديجة بنت خويلد وهما يصليان، ويدخل عليهما سيدنا علي فيراهما، فلما انتهيا سألهما: لمن تسجدان. فأجاب سيدنا محمد رسول الله: «الله الذي بعثني رسلاً». وأمرني أن أدعو الناس إلى الإسلام وأنا أدعوك يا علي. فلبث علي ملياً وكان قد بلغ العاشرة وقال: هذا أمر لم أعهد أبداً، فدعني أستشر أبا طالب. فلما كان الغد دخل سيدنا علي وأعلن

إسلامه أمام سيدنا رسول الله ﷺ. وهنا سأله سيدنا النبي: هل استشرت أبا طالب؟ فقال سيدنا علي: لا. فسأله النبي: ولم؟ فقال: لأن الله عندما خلقتني لم يستشر أبا طالب.

أيها الإخوة:

وما هي إلا أيام حتى رآه أبو طالب يصلي خفية بجوار سيدنا رسول الله، فلما أتم صلاته قال لأبيه بكل ثبات: يا أبت قد آمنت بالله ورسوله وصدقت ما جاء به محمد واتبعه. فأجاب سيد قريش: أما إنه لا يدعوك إلا إلى خير فالزمه.

أيها السادة:

كان جدي سيدنا علي يحمل سحايًا ومكارم أبي طالب وحده عبد المطلب ويمكن أن نقول: إنه كان خلاصة بني هاشم السادة والقادة والأشراف فإذا أضفنا إلى سحايه ما نتج به بنو هاشم من أنعم أجدود الناس كفاً وأحفظهم للحوار، وحماة الحرم المكي، إذا أضفنا ذلك كله إلى الإيمان العظيم الذي حياه الله تعالى لهذا الفتى الهاشمي فيكون قد جمع الكمومات من جميع أطرافها، وصدق رسول الله ﷺ: «**خيركم في الجاهلية خيركم في الإسلام إذا فقهوا**».

إننا اليوم مع فتى مخطوط. بدأ حياته تحت أنظار سيدنا رسول الله ﷺ فحق لم يسجد لصنم قط، فتى هو أول المؤمنين من الرجال، وأن السيدة خديجة أول المؤمنين من النساء، وأن زيد بن حارثة أول المؤمنين من العبيد.

إنه الفتى البطل الذي رأيناه عند الهجرة بطلاً من أعظم أبطال الدنيا الذين يضحون بحياتهم، فإنه بقي في فراش رسول الله ﷺ ليخضع أنظار مشركي مكة وفوارس قريش وهم وراء الباب. شاهرين سيوفهم ينتظرون أن ينقضوا عليه في أية لحظة ليغمدوا سيوفهم ويسفكوا دمه في البلد الحرام.

كانت هذه البطولة الفذة مدعاةً للمكافأة العظيمة من نبي الإسلام، فما أن هاجر إلى المدينة حتى كافأه من جهتين. الأولى حين آخى بينه وبين الأنصار أمسك يد سيدنا علي ورفعها وقال: «**وهذا أخي في الله**». والمكافأة الثانية التي قدمها لابن عمه أن زوجه أحب بناته إليه سيده نساء العالمين السيدة فاطمة بنت سيدنا محمد ﷺ. وهاهي تزف إليه عقب رجوعه من غزوة بدر.

بل أكرم الله هذا الصحابي الحليل بذرية ملؤوا الأرض علماً ومجداً وفخراً فأكثر آل البيت النبوي من ذريته ﷺ.

أيها الإخوة المؤمنون:

كان سيدنا علي ليس له مال موروث أو مكتسب ولم يعمل برعي ولا تجارة، وإنما كان عمله الجهاد في سبيل الله، فكانت حياته حياة شظف وقلة ذات يد، وربما كانا يذهبان إلى النبي الكريم يطلبان منه ما أفاء الله عليه من السبي والغنائم فيقول لهما: (لا والله لا أعطيكما وأدع أهل الضعة). وصبر سيدنا علي مع السيدة فاطمة على المعيشة التي قَدَّرها الله لهما فشهد سيدنا علي الغزوات والمشاهد كلها مع سيدنا رسول الله ﷺ، وكانت له بطولات تجرت الأنساب وكانت

السيوف تنكسر بيده في المعارك الجهادية. حتى أعطاه رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار فكانت القتلى تسقط على الأرض تحت سيفه البتار فيقول ﷺ: «**لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي**». وتابعت الغزوات حتى السنة السابعة للهجرة في خيبر، وكان قد بلغ عمر سيدنا علي ثلاثين سنة وأعجزت خيبر القادة الصديق والفاروق، وكانت الكلاب ترتد واحدة بعد واحدة عن حصن في خيبر حتى قال رسول الله ﷺ: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه**». فإذا به ينادي على سيدنا علي ويعطيه الراية وكان يشكو مداً في عينيه فإذا بالحبیب المصطفى يبلى أنامله بريقه الظهور ويمسح بحما عيني البطل فتراً عيناه بإذن الواحد القهار.

أيها الإخوة المسلمون:

إننا بجوار المدينة المنورة في أعظم موقعة مع اليهود، وهاهو البطل المقدم الهاشمي مع سرية المقاتلين أمام باب الحصن وينادي بأعلى صوته: أنا علي بن طالب، وبشر بهذا الاسم قلوب أعدائه. وأطل حرس الحصن من أعلى السور، فنادى في أصحابه: (والذي نفسي بيده لأذوقن مذاق عمي حمزة في أحد أو ليفتحن الله لي).

يقول أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: لقد همت أنا وسبعة معي أن نحرك باب الحصن من مكانه على الأرض فما استطعنا، فما الذي حدث؟ لا يدري الناس ما ذا حدث كل ما يتركز الصحابة أن علياً صاح: الله أكبر وأمسك باب الحصن ورفع به يديه وكأنه يحمل ترساً خفيفاً، وبكلمة الله أكبر سقط الحصن بكل ما فيه وفتح الله تعالى عليه وصدق الله وصدق رسوله ولذكر الله أكبر.

هذه بطولة سيدنا علي الذي نال أوسمة لم ينلها غيره من الصالح الكرام على جلالته قدرهم ورفعة شأنهم عند الله تعالى. من هذه الأوسمة توليته القضاء

في اليمن، ومنها قوله ﷺ: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**»، وقوله فيه: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» (أحمد). وما أن تولى الصديق الخلافة الراشدة حتى راحت طائفة تدعي أن سيدنا أبي بكر اغتصب الخلافة من جدي سيدنا علي، وهنا انبرى سيدنا علي ليصيح هذه الدعوى أمام الناس، فيقول: (من فضلي على أبي بكر وعمر جللته حداً مقترى).

وما أن آلت إليه الخلافة سنة خمس وثلاثين (٣٥ هـ) بعد موت أصحابه الثلاثة قبله تخلف عن مبايعته جمع من الصحابة حتى يؤخذ الثأر لمقتل الخليفة سيدنا عثمان. وثار الاضطراب في الدولة الإسلامية وخاصة بعد أن حاول سيدنا علي أن يعامل الناس بسياسة الصديق والفاروق بعد أن لان أمرهم في خلافة سيدنا عثمان. لكن الاضطرابات بلغت مداها في عهده وشهد التاريخ ولأول مرة اقتتال الصف المسلم الواحد. ضمن ثلاث معارك ضارية ذهب ضحيتها آلاف المسلمين: موقعة الجمل — صفين — النهروان.

معارك ثلاث ضارية خلال خمس سنوات قضاهما هذا الخليفة وهو يحاول تثبيت دعائم الدولة الإسلامية. لكن مجموعة من المنافقين على رأسهم الحقيز ابن السوداء عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أسلم ليشق الصف المسلم. هؤلاء شنوا حرباً بين الناس وقتنة عمياء، ولان سلم الله المسلمين في معركة الجمل التي تم التغلب عليها بحكمة وبراعة سياسة من سيدنا علي، فإن آلاف القتلى سقطوا في معركة صفين بين سيدنا علي وسيدنا معاوية. استمر القتل فيها سبعة أيام كله كان حول الأخذ بثأر الخليفة عثمان وتسليم القتال إلى بني أمية، لكن سيدنا علياً كان ينتظر هدوء الخلافة ليأخذ بثأر صاحبه قبله. أما سيدنا معاوية فكان يرى أن بيعه سيدنا علي لم تنعقد لافتراق الصحابة في الأمصار والبلاد، ولا تتم البيعة إلا بهم جميعاً، فامتنع عن البيعة حتى يقتص من قتلة عثمان. كانت مشكلة عويصة تلك التي وقع فيها الخليفة الراشدي الرابع سيدنا علي.

إذ طلب سيدنا معاوية أن ترفع المصاحف على الرماح وأن ينادى باسمه: هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم لا حكم إلا لله.

فانتشق الصف خلف سيدنا علي، إذ طلبت طائفة لقبوا أنفسهم بالخوارج أن يحكم القرآن في الأمر، فقال سيدنا علي: هذه كلمة حق أريد بها باطل. لكن هؤلاء الخوارج انقلبوا على سيدنا علي وحده وعصوا وأفسدوا واستحلوا الدماء المسلمة، وراحوا يقتلون كل من ينتسب لسيدنا علي، فانتزى جيش الخليفة ليقاتل هؤلاء في معركة النهروان. التي انتصر فيها سيدنا علي ففطّح برؤوس قادتهم وزعمائهم.

وفي ليلة الجمعة من شهر رمضان عام (٤٠ هـ) خرج سيدنا علي لصلاة الفجر ففاجأه رجل من الخوارج يدعى عبد الرحمن بن ملجم فضره بسيف مسموم على أم رأسه. حمل على أثرها إلى داره وهو مغشى عليه. والتفت حوله أولاده (أربعة عشر ذكراً وتسع عشرة بنتاً) واستيقظ الخليفة ليوصي بآخر الكلمات من حوله، وجاءت سكرة الموت بالحق، ومات سيدنا علي وسار أهل الكوفة بجنازته ودفن في مقبرتها دار إمارته، وحيء بابن ملجم فتولى سيدنا الحسن قتله قصاصاً.

إخوة الدين والعقيدة:

هذا أهم درس نتلقاه اليوم لم يكن سيدنا علي إلهاً ولا رسولاً ولا نبياً ولا معصوماً ولا تاه الوحي عنه. بل كان بشراً كجميع البشر، مات وارتقت روحه لتلتقي مع أرواح الصالحين في جنة الخلد. فمن أراد أن يكون معه هناك في أعلى الجنان، فليترضى عنه هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة التوحيد، الجالس فيها عليه أن يوحد الله.

لا إله إلا الله

* * *